mygool.com

شرف الأمة المحمدية

تأليف

محمد بن علوي المالكي الحسني

خادم العلم بالحرمين الشريفين

الطبعة الثانية

١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى خص هذه الأمة بخصائص وشرفها بمزايا . منها ما انفردت به عن الأمم السابقة — فلم يشاركها فيه مشارك ولم ينافسها منافس ، ومنها ما شاركها فيه غيرها ، ولكنها متميزة عنهم بالكمال والتمام . وعلى هاتين القاعدتين تنبنى كل المزايا والفضائل . وقد جمعنا هذا الموضوع فى هذا السفر المبارك الذى نرجو به القرب من الله سبحانه وتعالى والزلفى لديه والمشاركة فى الدعوة إلى الخير وتقريبه إلى العاملين وحثهم عليه .

وأول مزية بل هى أم المزايا والفضائل رصيد هذه الأمة من الايمان وكمال يقينها بالله .

رصيد الأمة المحمدية من الايمان .

أما رصيد هذه الأمة من الايمان فعظيم ونصيبها منه كبير وذلك لأنها تؤمن بكل كتاب انزله الله وبكل رسول ارسله الله وبكل ملك خلقه الله بلا تفريق بين احد . وهذا مصداق قول الله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسولُ بما أُنْزِلَ إليه من ربِّهِ والمؤمِنون كلٌّ آمنَ باللهِ ومَلائِكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ وقالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

وقد أمرنا بالاقرار بهذه الحقيقة الايمانية الاعتقادية قولا واعتقادا من قوله سبحانه : ﴿ قُولوا آمَنَّا باللهِ وما أُنْزِلَ إلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إلىٰ إبْراهيمَ وإسماعيلَ وإسْحٰقَ ويَعْقوبَ والأَسْبَاطِ وما أُوتِيَ مُوسىٰ وعيسىٰ وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحدٍ مِنْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

فرصيدنا من الايمان أكبر من غيرنا من الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض . ولهذا المعنى كانت قيمة المسلم فى الموازنة أعلى من قيمة غيره لأن التفاضل انما هو بالايمان . ومن هنا جاز للمسلم أن يتزوج بالكتابية ولم يجز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم لأنها أفضل منه بايمانها . أما ايمانه فأنقص منها . وهناك معنى آخر فى هذا الباب وهو أن المسلم إذا تزوج بالنصرانية أو باليهودية وذكرت نبيها فانه يصلى ويسلم عليه مع الاحترام والتعظيم والتكريم ، بخلاف ما إذا تزوجت المسلمة بيهودى أو نصرانى فإنها إذا ذكرت نبيها محمداً ﷺ لا يبعد أن يسبه أو يشتمه زوجها أو على الأقل أن لا يرضى بذلك ولا يقع منه موقع الرضا والقبول .

كمال يقين هذه الأمة

ومن شرف هذه الأمة أن الله تعالى وفر حظها من اليقين بشهادة المعصوم ﷺ إذ قال : « ما أُعطِيَتْ أُمّةٌ من اليَقين أفضلَ مما أُعطيتْ أمّتِى »[1] .

أي ما ملأ الله قلوب أمة نورا شرح به صدورها لمعرفته تعالى ومجاهدة أنفسهم على سبيل الاستقامة عليها بحيث تصير الأخرة لهم كالمعاينة أفضل مما أعطيت أمتى ولا مساويا لها فإن الأولين لم ينالوا ذلك إلا الواحد بعد الواحد وقد حبا الله سبحانه هذه الأمة بمزيد التأدب وقرب منازلهم غاية التقرب وسماهم فى التوارة صفوة الرحمن وفى الإنجيل حلماء علماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء فالفضل الذى أعطيته هذه الأمة النور الذى به انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدى اللهِ أَنْ يُؤْتىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوْتِيْتُمْ ﴾ قالوا : واليقين يتفاوت على ثلاث مراتب : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعين اليقين أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان وحق اليقين هو المشاهدة مع شدة الالتصاق والامتزاج .

قال السرى السقطى : واليقين سكونك عند جولان الموارد فى صدرك لتيقنك أن حزنك منها لا ينفعك ولا يرد عنك مقضيا .

وسنذكر فى أول هذا الكتاب الخصائص العامة التى منّ الله بها على هذه الأمة . ثم نذكر بعد ذلك الخصائص التفصيلية للأعمال التعبدية وغيرها .

خصائص عامة للأمة المحمدية

وأول تلك الخصائص

أولا ــ رفع الإصر

وذلك بنص القرآن قال تعالى ﴿ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذى يَجِدُوْنَهُ مَكْتُوْباً عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَاةِ وَالْاِنْجِيْلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ

(١) رواه الحكيم عن سعيد بن مسعود الكندى .

الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ .

والإصر أصله الثقل الذى يأصر صاحبه فلا يقدر على التحرك ومعنى ذلك أن الله تعالى لم يوجب على هذه الأمة أمة محمد ﷺ ــ شيئاً فوق طاقتهم ولم يجعله من شرعهم كما كان ذلك على من قبلهم من الأمم .

وذلك كبنى اسرائيل مثلا الذين كلفوا بجملة من الأعمال الصعبة والتكاليف الشاقة هى أشبه ما يكون بأطواق الحديد التى تحيط بالاعناق (وهى الأغلال) .

تلك الاغلال والاثقال كثيرة فمنها :

١ ــ قطع موضع النجاسة .

فإذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم فانه عليه أن يقطعه ليطهره ولا يكفى غسله كما أخرجه البخارى فى صحيحه (باب البول عند سباطة قوم كتاب الوضوء) وقد زعم بعضهم انه كان يجب قطع ما أصابته النجاسة ولو كان من الجسم اعتمادا على ظاهر رواية أبى داود وفيها :

« كانوا إذا أصابَ البَوْلُ جسَدَ أحدِهم قَطَعوا ما أُصابه البولُ منهم » .

(باب الإستبراء من البول) .

ورواية مسلم وفيها : جلدَ أحدِهم ، وأول القرطبي هذا بأن المراد بالجلد واحد الجلود التى كانوا يلبسونها (قال الحافظ) ورواية البخارى صريحة فى الثياب فلعل بعضهم رواه بالمعنى (كذا فى الفتح ١/٣٣٠) أما هذه الأمة فإنه يكفى فى شرعها فى مثل ذلك اراقة الماء وغسل المحل فقط سواء كان ذلك مسجدا أو ثوبا أو بدنا ــ كما فصلته كتب السنة .

٢ ــ عدم مؤاكلة الحائض .

وذلك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يخالطوها ولم يساكنوها فى بيت واحد بل يتركوها فى البيت منفردة .

كما ثبت فى الحديث الصحيح (الذى رواه مسلم وأحمد) ابن كثير ٢٦٨
أما هذه الأمة فقد أبيح لها فى دينها معاشرة الحائض فى المأكل والمشرب والمضاجعة ونهى عن النكاح والاستمتاع بما بين السرة والركبة إحتياطا . (اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ رواه مسلم) .

وهكذا راعى الإسلام بهذا الحكم ميول الإنسان وبشريته بجانب نورانيه وروحانيه فيرابط بين نزوه الجسد العارضة وغاية الروح . وهذا المنهج الراقى فى معاملة الإنسان هو الذى يتلاءم مع الفطرة كلها لانه من صنع خالق هذه الفطرة .

٣ ـــ تعيين القصاص فى العمد والخطأ .

فقد كان متحتما على بنى اسرائيل القصاص حتى فى الخطأ ولم تكن فيهم الدية فى نفس أو جرح . كما جاء فى الصحيح (بخارى الديات باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ١٢/٢٠٥) .

وهو معنى قوله تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيْهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) .

فخفف هذه الأمة بمشروعية الدية بدلا عن القتل لمن عفا من الأولياء بقوله تعالى لهذه الأمة : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلٰى إلى قوله فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيْهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوْفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيْفٌ مِنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) .

٤ ـــ قتل النفس بالتوبة .

وذلك أنهم لما عبدوا العجل بين لهم موسى عليه السلام طريق التوبة بعد العزم عليها وهو أن يقتل البريء منهم المجرم « فَتُوْبُوْا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) » .

وذلك أيضا هو طريق التوبة فى جملة من المعاصى يكون بقطع الاعضاء الخاطئة كاللسان فى الكذب والذكر فى الزنا وفقأ العين فى النظر للأجنبية (المواهب ٥/٣٨١) .

أما الأمة المحمدية فإن الله سبحانه سهل لها طريق التوبة واخبر أنه يقبلها ويعفو عن السيئات وأنه يفرح بها أشد من فرح الأم بولدها الرضيع الغائب عنها ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوْراً رَّحِيْماً ﴾ .

٥ ــ افتضاح أصحاب المعاصى منهم :

فقد كان بنو اسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبا أو فعل معصية فإنه إذا أصبح يجد مكتوبا على باب داره فلان فعل كذا وكذا . وكفارتها كذا وكذا ويرى ذلك الخاص والعام (الخصائص ٣/٢٠٤) .

أما الأمة المحمدية فإنّ الله تفضل عليها بالستر كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال « كُلُّ أُمَّتى مُعَافىً إلاّ المُجَاهِرِينَ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بالَّليْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصبِحَ وقَدْ سَتَرهُ اللهُ تعالى فيَقُولَ يا فلانُ عَمِلْتُ البَارِحةَ كَذَا وكذا وقد باتَ يسْتُرهُ رَبُّهُ ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ » . متفق عليه .

٦ ــ المؤاخذة بحديث النفس مما لم تعمله الجوارح

وذلك أن الله تعالى ما بعث من نبى ولا أرسل من رسول أنزل عليه الكتاب إلا أخبره أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه فى صدورهم ــ فكانت الأمة تأتى على أنبيائها ورسلها ويقولون نؤاخذ بما تحدث به انفسنا ولم تعمله جوارحنا فيكفرون ويقولون سمعنا وعصينا ولما قال المؤمنون من هذه الأمة سمعنا وأطعنا وأسلمنا وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ــ طمأنهم الله تعالى بأنه تجاوز عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ــ من خير ــ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ــ من شر ﴾ .

٧ ــ المؤاخذة على الخطأ والنسيان

وذلك بتعجيل عقوبته من تحريم شيء من مطعم أو مشرب عقوبة على حسب ذلك الذنب من كبر وصغر (مواهب ٣٨٤) .

أما الأمة المحمدية فإن اللهَ وضَعَ عنها الخطَأَ والنِّسْيانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه كما ثبت فى الحديث الذى رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه والطبرانى والدار قطنى بأسانيد جيدة وحسنه النووى (مواهب ٣٨٤) (الخصائص ٣/٢٠٢) .

٨ ــ تحريم اشتغالهم يوم عيدهم

وهو يوم السبت ــ إذ أخذ عليهم العهد والميثاق بتعظيم يوم السبت والقيام بامره وعدم إشتغالهم وعملهم فيه ولذلك لما خالفوا وتحيلوا على اصطيّاد الحيتان

فيه قال الله لهم عقابا : ﴿ كُوْنُوْا قِرَدَةً خَاسِئِيْنَ ﴾ (بقرة ٦٥ والأعراف ١٦٣) .

أما الأمة المحمدية : فان الله تعالى رفع عنهم هذا الإصر : فهم يتعاملون حتى فى يوم عيدهم يوم الجمعة قبل الصلاة وبعدها : ﴿ يَا أَيُّهاَ الَّذِيْنَ آمَنُوا إذَا نُوْدِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ .

٩ ــ الطاعون عذاب على الأمم السابقة

وقد أخبرنا ﷺ أنه كان رجسا وعذابا ــ أرسل على طائفة من بنى إسرائيل وغيرهم أما هذه الأمة فان الله جعله رحمة بهم وشهادة لهم (كذا فى الصحيح مواهب ٥/٣٩١) (والخصائص ٢/٣ ٢٢١) .

١٠ ــ تحريم بعض الطيبات من الأطعمة

وهذا كان من العقوبات التى عاقب بها الله بنى إسرائيل بسبب بغيهم وظلمهم وتلاعبهم بشرائع الله وأشرتهم التى جعلتهم يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ــ قال الله تعالى ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ كَثِيْراً ﴾ (النساء ١٦٠) .

وقد بين الله تعالى أنواع ما حرمه عليهم . وهو :ــ

١ ــ كل ذى ظفر أى ما ليس بمنفرج الأصابع من البهائم والطير كالابل والنعام والاوز والبط فهي عليهم حرام .

٢ ــ الشحم أى المادة الدهنية التى تكون فى الحيوان فهو عليهم حرام فى البقر والغنم واباح لهم منها الشحوم المختلطة بالعظم وكذا ما تحويه البطن وكذا ما عليه بالظهر من الشحوم كما فى أية الأنعام (ابن كثير ٢/٢٠٠) .

أما الأمة المحمدية فان الله تعالى أباح لها كل طيب ــ (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) (يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) وحرم عليها كل خبيث (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) .

١١ ــ تحريم الغنائم عليهم

فكانوا إذا اغتنموا شيئا من أعدائهم لم يحل لهم أن يأخذوه ويتصرفوا فيه بل يجمعونها وتنزل نار من السماء فتحرقه فيكون ذلك علامة قبول غزوتهم (مواهب ٣٦٤) كما قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ .

أما الأمة المحمدية فان الله لشرف نبيها عنده أحل لهم الغنائم كما ثبت فى الحديث الصحيح المتفق عليه وجعلها حلالا مباركا ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ .

١٢ ــ تحريم الصلاة عليهم إلا فى مواضع مخصوصة

وذلك أن من مضى من الأمم كانوا لا يصلون إلا فى أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع والكنائس فمن غاب منهم عن موضع صلاته لم يجز له أن يصلى فى غيره من بقاع الأرض حتى يعود إليه ثم يقضى كل ما فاته (فتح ١/٤٣٦) .

وعند البزار من حديث ابن عباس : ولم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه (فتح ١/٤٣٨) .

أما الأمة المحمدية : فان الله جعل لها الأرض مسجدا أى موضع صلاة لا تختص الصلاة منها بموضع دون غيره كما ثبت فى الصحيح (البخارى التيمّم أوله) .

١٣ ــ تخصيص الطهارة بالماء

وذلك أن من مضى من الأمم كان فى شرائعهم وجوب الإقتصار على الماء فى الطهارة وعدم جواز الإكتفاء بغيره فإذا عدم أحدهم الماء لم يصل حتى يجده ثم يقضى ما فاته .

أما الأمة المحمدية : فان الله تعالى جعل لها الأرض طهورا فأيما رجل أتى الصلاة ولم يجد ماء وجد الأرض طهورا كما ثبت فى الصحيح (فتح ١/٤٣٨) (ومواهب ٥/٢٦٤) .

ثانيا ــ الاكرام بالرحمة الخاصة

ومن خصائص هذه الأمة : إكرامهم فى الآخرة بالرحمة الخاصة وذلك بنص القرآن الكريم .

فقد وصف القرآن الكريم هذه الأمة المحمدية بأنه جعل السابق منهم سابقا والمقتصد لاحقا والظالم لنفسه مغفورا له . قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيْرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُوْنَهَا يُحلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُوْرٌ شَكُوْرٌ الَّذى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِه لَا يَمَسُّنَا فِيْهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيْهَا لُغُوْبٌ ﴾ .

ومعنى هذا أن الحق سبحانه وتعالى قسم هذه الأمة إلى ثلاثة أنواع :

الأول : أشار إليه بقوله فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المنهيات وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا .

الثانى : أشار إليه بقوله ومنهم مقتصد وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات .

الثالث : أشار إليه بقوله ومنهم سابق بالخيرات وهو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات .

قال ابن عباس رضى الله عنه « السَّابِقُ بِالْخيراتِ يدخُلُ الجَنَّةَ بِغيرِ حسابٍ والمقتصِدُ يدخلُ الجَنَّةَ برحمةِ اللهِ والظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بشفاعةِ سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ » وكذا روى عن غير واحد من السلف وجاء ما يؤيده فى السنة بطرق جيدة ثابتة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون

حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون بعد ذلك ﴿ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور ﴾ . صدّق الله العظيم .

قلت هو المناسب لسياق الآية الشريفة ولحال الظالم لنفسه . فانه إذا حبس فى المحشر لنقصان حاله عن السابق والمقتصد اصابه حينئذ الهم والحزن والغم فإذا تداركه الله برحمته ودخل الجنة تذكر ما كان فيه فقال الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن لأن الله تعالى بعد أن ذكر الأصناف الثلاثة وذكر أنهم يدخلون الجنة ذكر بعد ذلك أنهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن .ولا يتصور أن يصيب السابق أو المقتصد حزن لانهم لا يحزنهم الفزع الأكبر فبقى الصنف الثالث وهو الظالم لنفسه ، ولهذا كانت هذه الأمة أمة مرحومة ، كما قال محمد بن الحنفية رضى الله عنه إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنات والسابق فى الدرجات . رواه الثوري وغيره . وهذا كله من محض فضل الله سبحانه وتعالى الذى شمل الأنواع الثلاثة إذ كلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم على تفاوت فى الدرجات وهو يشهد بكرامة هذه الأمة على الله وهذه الكرامة ليست رخيصة أو سهلة لأن الله سبحانه أخبر قبل ذلك أنه اصطفا هذه الأمة لوراثة الكتاب والقيام به فقال : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا . فجعل فى مقابلة هذه الكرامة الاخروية العظمى التبعة الكبرى والمسئولية الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة وهى تبعة ضخمة ذات تكاليف والزامات .

فهو إذن إكرام بالفضل فى الجزاء حتى لمن أساء وتقليد بأمانة الوراثة للكتاب والاصطفاء .

ثالثا ــ جعلهم أمة وسطا

ومن خصائص هذه الأمة : انهم هم الأمة الوسط ، وأنهم هم الشهداء على الناس : بنص القرآن ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُوْنُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً ﴾ .

وقد جاء ذكر هذه المنقبة والخصوصية فى أثناء الكلام عن القبلة كما قال

تعالى : ﴿ سَيَقُوْلُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسَ مَا ولّـٰهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتى كَانُوْا عَلَيْهَا قُل لله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدى مَنْ يَشَاءُ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ ﴾ ثم قال بعدها ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ الآية .

وحاصل الأمر انه قد كان ﷺ يستقبل في المدينة المنورة بيت المقدس وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التى هي قبلة إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ولما وقع هذا التحويل حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبط وشك وقالوا ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ فأنزل الله جوابهم فى قوله ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

ثم بين لهم أنه كما أنعم عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم كذلك أنعم عليهم بأن جعلهم أمة وسطا والوسط أيضا هو الخطّ المستقيم والطريق المستوى وهذا ما تقضيه الحكمة من كونه سبحانه هداهم إلى الصراط المستقيم وجعلهم أمة (وسطا) أى على صراط مستقيم أى عدولا خيارا لأن الوسط حقيقة فى البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان فالمتوسط فى الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين فكان معتدلا فاصلا .

وهكذا يحدثنا القرآن من حقيقة هذه الأمة فى الكون وعن وظيفتها في هذه الأرض وعن مكانها العظيم فى هذه البشرية وعن دورها الأساسي فى حياة الناس مما يقتضى أن تكون لها قبلتها الخاصة وشخصيتها الخاصة وذاتيتها المستقلة . إنها الأمة الوسط التى تشهد على الناس جميعا فى الدنيا والآخرة .

فاما فى الدنيا فانها سمعت أخبار كل الأمم السابقة فى كتابها الأكبر الذى هو القرآن أو عن نبيها المصطفى ﷺ فيما جاء عنه فتسمع من أخبار العصاة والمطيعين والمصدقين والمكذبين وجزاء كل وتسمع أخبار الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وأعمالهم وجهادهم وتضحيتهم وومالاقوا من عنت وتعب ومشقة ثم تبدي رأيها فيهم وتزن قيمتهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل فى أمرها وتقول : هذا حق منها وهذا باطل .

وأما فى الأخرة فانه إذا كان يوم القيامة ووقف الناس للسؤال يقال لكل أمة هل بلغكم رسولكم فيقولون لا فيقال للرسول الذى أرسل اليهم : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم فيقال من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيدعى محمد وأمته فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقال لهم وما أدراكم ؟ فيقولون : جاءنا نبيّنا فاخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

رابعا ـــ يسر الشريعة المحمدية

ومن خصائص هذه الأمة

أن شريعتها أيسر الشرائع ـــ وذلك بنص القرآن

فما من فريضة من الفرائض إلا وييسرها الله سبحانه وتعالى بفتح باب الرخصة والعذر فيها فخذ مثلا الصلاة وهى أهم واعظم الفرائض. بل هى عماد الدّين واساسه المتين . فإنها مع ذلك ، جعل الله تعالى لها أحكاما خاصة تختلف عن الحكم الأصلى لها . مراعاة لظروف خاصة فى احوال خاصة كالمرض والسفر والحرب وفى حالة عدم وجود اللباس الساتر أو عدم معرفة القبلة أو نسيانها أو النوم عنها .

وهذا التيسير هو الصفة العامة لهذه الشريعة المطهرة قال تعالى ﴿ يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ .

وقال ﷺ : إنَّ اللهَ رَضِىَ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ وكَرِهَ لَهٰا الْعُسْرَ (رواه الطبرانى برجال الصحيح) .

وروى أحمد فى مسنده عن حذيفة قال : سجد ﷺ فلم يرفع رأسه حتى ظننا أن نفسه قبضت فلما فرغ قال : رَبّى اسْتَشَارَنى (الحديث) وفيه : وأحَلَّ لنَاَ كَثِيْراً مِمّا شَدَّدَ عَلىٰ مَنْ قَبْلَنَا وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيا مِنْ حَرَجٍ فَلَمْ أَجِدْ شُكْراً إلَّا هٰذِهِ السَّجْدَةَ (مواهب ٣٨٢) .

وكان ﷺ يفتخر بهذه النعمة تحدثا بنعمة الله ويقول : إنّى بُعِثْتُ بِالْحَنِيْفِيَّةِ السَّمْحَةِ . (رواه أحمد بسند حسن) (كشف الخفاء ٢١٧) .

ويوصى بذلك بعوثه ورسله فيقول لهم : بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا ويَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا . رواه أحمد والشيخان .

وهذه هي القاعدة الكبرى فى تكاليف هذه العقيدة كلها فهي ميسرة ولا عسر فيها وهى توحى للقلب الذى يتذوقها بالسهولة واليسر فى أخذ الحياة كلها وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التى لا تكلف فيها ولا تعقيد مما كان على من قبلهم من الأمم .

خامسا ـــ كمال الشريعة المحمديّة

ومن خصائص هذه الأمة

أن شريعتها أكمل الشرائع ـــ وذلك بنص القرآن

قال تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً ﴾ .

وهذا اعلان صريح من الحق سبحانه وتعالى بإكمال العقيدة واكمال الشريعة فلا نقص يستدعى الكمال ولا قصور يستدعى الاضافة ولا محلية أو زمانية تستدعى التطوير أو التحوير وهذا الكمال هو من حتميات العمومية المكانية والزمانية فى هذه الرسالة وذلك لأن كل رسول قبل خاتم النبيين إنما أرسل لقومه فى عصره فهى رسالة خاصة لمجموعة خاصة فى بيئة خاصة فى زمن محدود ـــ فكانت أحكامها وشرائعهامتكيفة ومحكومة بتلك المقتضيات والظروف لتناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان .

لكن لما كان (النبى ﷺ) سيدنا محمد أرسل لكافة الناس فهى رسالة الإنسان فى كل زمان وفى كلّ مكان التى تخاطب فطرته التى لا تتبدل ولا تتحور ولا ينالها التغيير فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فصّل فى هذه الرسالة شريعة تتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها وفى كل جوانب نشاطها وتضع لها المبادىء الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وجعلها محتوية على كل ما تحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات لكى تستمرّ وتنمو وتتطور وتتجدّد حول هذا المحور وداخل هذا الاطار .

سادسا ـــ نورهم يسعى بين أيديهم

ومن خصائص هذه الأمة

أن نورهم يسعى بين ايديهم يوم القيامة بنص القرآن

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ نُوْرُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُوْرَنَا ﴾ أى إلى الجنة .

وقد وضحت السنة المشرفة هذه الخصوصية كما ثبت فى الحديث أن النبى ﷺ قال : إِنِّىْ لَأَعْرِفُ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ أَعْرِفُهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ فِى وُجُوْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُوْدِ وَأَعْرِفُهُمْ بِنُوْرِهِمْ يَسْعٰى بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ (رواه أحمد باسناد صحيح) .

سابعا ـــ كونهم خير أمة

ومن خصائص هذه الأمة الخيرية بنص القرآن

قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وبنص السنة كما قال ﷺ : أَنْتُمْ تُوْفُوْنَ سَبْعِيْنَ أُمَّةً أَنْتُم خَيْرُهَا وأَكْرَمُهَا عَلٰى اللهِ عَزَّ وجَلَّ . رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه ـــ وقال ﷺ أيضا أُعْطِيْتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فقلنا يَا رَسُوْلَ اللهِ مَا هُوَ ؟ قال نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وأُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ الأَرْضِ وَسُمِّيْتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُوْراً وَجُعِلَتْ أُمَّتى خَيْرَ الْأُمَمِ . رواه أحمد واسناده حسن ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى من أوصافهم المحمودة إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الخاص والعام فقال تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا أيضا بمثابة الشرط الذى يؤهل للاتصاف بتلك الخيرية كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خطبة له فى الحج وقد قرأ هذه الآية كنتم خير أمة أُخرجت للناس ـــ قال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللهِ فِيْهَا .

وهذه المنقبة الجليلة أشار إليها ﷺ فى الحديث المشهور : لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتى ظَاهِرِيْنَ عَلٰى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ـــ فهو بيان إبقاء هذه الشعيرة فى الأمة المحمدية ولو على صورة ضيقة .

وهذه بخلاف أهل الكتاب فانهم أهملوا هذه الشعيرة وتناسوها مجاملة ورياء أو نفاقا واستبدالا للذى هو أدنى بالذى هو خير ولذلك ذمهم الله تعالى فى كتابه العزيز فقال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيْلَ علَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُوْنَ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ ﴾ .

فظهر أنهم بتركهم لهذه الشعيرة استحقوا اللعنة من النبى داود وعيسى عليهما السلام وسمى فعلهم معصية وعدوانا وهو بئس الفعل والعياذ بالله .

وتتضح صورة هذه الخيرة الإلٰهية فى الأمة المحمدية فى جلالة أكثر وعظمة أكبر عند ذكر ما يقابلها بالِنّسبة لغير هذه الأمة كاليهودية مثلا . فان الله تعالى لما امتدح الأمة المحمدية بانها خير أمة اخرجت للناس ووصفها باوصاف كريمة هيأتهم لهذه الخيرية ذم اليهود بأقبح الصفات وتوعدهم سوء المصير وضرب الذلة عليهم والمسكنة لكفرهم باياته سبحانه وقتلهم لانبيائه وتعديهم حدوده فقال كنتم خير أمة أخرجت للناس . وبجانِب هذه الخصوصية الجليلة التى دلت عليها هذه الأيات المباركات فانها تحمل هذه الأمة بشارة صادقة ــ صدق القرآن ــ بأن هذه الكثرة من اعدادهم لن يضروهم ضررا بليغا ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذىً ﴾ أى لا يضروكم إلا ضررا يسيرا كأن يؤذوكم بألسنتهم ويلقوا الشبه بينكم ليصدوا من ضعف ايمانه عن الحق وهو الأذى من قوله ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾ وهذا الضرر فى الواقع لا يؤدى إلى هدم كيان الأمة ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها فهو ضمان حق ووعد صدق من الحق سبحانه وتعالى أكده بعده بوعد ثان وهو أن أهل الكتاب لوقاتلوا المؤمنين الصادِقين فان المؤمنين سيكون لهم النصر عليهم فقال ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوْكُمْ يُوَلُّوْكُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ .

ثم ختم هذا بوعد ثالث وهو انهم بعد نصرهم عليهم لن تكون لأهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود قوة أو شوكة للأخذ بثأرهم بعد ذلك ﴿ ثُمَّ هُمْ لاَ يُنْصَرُوْنَ ﴾ . إلا أن هذه الضمانات العظيمة التى هى بشارات كريمة ــ مشروطة بمحافظة الأمة الإسلامية على أصلين عظيمين أشارت إليهما الآية الأول الايمان بالله ﴿ تؤمنون بالله ﴾ الثانى : الدعوة إلى الخير ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ فاذا ارادت الأمة المحمدية أن لا تصاب من جهة اليهود بما يأتى على كيانها

فعليها باخلاص العبادة لربها والعمل بسنة نبيها والتقيدّ بأحكام كتابها واعداد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها فإذا لم تلتزم بذلك أصابها الضرر من جهة أعدائها وأثر فى كيانها ومكن عدوها منها .

إن وعد الله تعالى ما تخلف ولن يختلف وقد حققه سبحانه لاسلافنا الصالحين الذين آمنوا بالله حقا وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولكن المسلمين هم الذين تغيرت أحوالهم فقد فرطوا فى دينهم واضاعوا الصلاة وأكلوا الربا وانغمسوا فى الشهوات واتبعوا خطوات الشيطان وتفرقوا شيعا وأحزابا وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولم يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ولم يعدوا ما استطاعوا من قوة لقتال عدوهم كما كان اسلافهم من قبل ولم يحسنوا الشعور بالمسئولية كما تريدها تعاليم الإسلام .

أكثر حكامهم يحكمون بغير ما أنزل الله وسنة رسول الله ﷺ . وأكثر علمائهم غلب عليهم الحرص على الدنيا فنافقوا وجاملوا أو سكتوا فتسلط عليهم الحكام فلا كلمة حق تقال ولا حدود تقام ولا ضرب على أيدى الفساد والمخربين ولا غيرة على الحرمات أو المقدسات .

فلما فعلوا ذلك تبدل حالهم من الخير إلى الشر وسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم لأنه سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم — ولئن عادوا إلى منهج الحق يعود إليهم كل ما فقدوه ولئن صدقوا الله يصدقهم — ولئن نصروه ينصرهم ولئن وفوا بعهد امانة ما ورثهم يحقق لهم ما وعدهم — ومن أصدق من الله قيلا .

وإنّ العرب فى حربهم اليوم مع اعداء انبيائه وملائكته وكتبه لما تذكر معظمهم ربهم فرجعوا إليه ذاكرين داعين مصلين خائفين راجين معترفين بأن النصر منه ثبتهم الله بقدر رجعتهم تلك مع ما هم عليه فى مجتمعاتهم من مخالفة لله ومحاربة لاحكامه ومجاهرة بمعاصيه .

أقول إنّ العرب — مع ما هم عليه — لما تذكروا الله سبحانه وتعالى ولمجرد تذكرهم فقد تحقق لهم خير كبير ونصر كثير واندفع عنهم عار خطير ووقفت معهم الدنيا محاربة ومناصرة ومؤيدة إما بالفعل أو بالقول .

وإنّ الأمل يملأ القلوب فى أن يتم البعث الايمانى الاسلامى فيربط الحاضر بالماضى ويروى حديث المجد العزيز المشهود متصلا مسندا مرفوعا .

ثامنا ـــ كون المسيح عيسى من أفراد هذه الأمة

أن من أفراد هذه الأمة نبيا عظيما من أولى العزم وهو المسيح عيسى عليه السلام فانه حين ينزل يكون من هذه الأمة اتفاقا مع بقائه على نبوته بل ذهب جمع من العلماء إلى أنه صحابى لاجتماعه بالنبى ﷺ وهو حي مؤمنا به ومصدقا.

وإذا نزل فانما يحكم بشريعة نبينا ﷺ فهو تابع لنبينا ﷺ ولذلك فانه يصلى مأموما مع جماعة المسلمين كما جاء فى الحديث فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ . وفى صحيح مسلم : كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيُقَالُ صَلِّ بِنَا فيقول لاَ إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةً لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ وفى مسند أحمد : فإذا بِعيسىٰ فَيُقالَ تَقَدَّمْ فيقولُ لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ .

وفى سنن ابن ماجه : إنّ عيسى يقول للامام صَلِّ فَإِنَّها أُقِيْمَتْ لَكَ . والحاصل أن الأخبار تواترت بأن عيسى يصلى مأموما يوم ينزل خليفة فى الأمة المحمدية وهو وان كان واحدا من أفرادها ومن أتباع نبيّها محمد ﷺ إلّا أنه رسول ونبى كريم لا كما يظن بعض الناس أنه يأتى واحداً من هذه الأمة بدون نبوة ورسالة ويجهل أنهما لا يزولان بالموت فكيف بمن هو حي وقد جاء فى الصحيحين : لَيُوْشِكَنَّ أَنْ يَنْزلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطَاً فَيَكْسِرُ الصَّلِيْبَ وَيقْتُلَ الخِنْزِيْرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، ويزيد هذا المعنى وضوحا حديث عبد الله بن مغفل : يَنْزِلُ عيسى بنُ مريَمَ مُصَدِّقاً بِمُحَمَّدٍ علىٰ مِلَّتِهِ (رواه الطبرانى) (ونقله الزرقانى ٣٤٩/٥) .

وليس فى الرسل من يتبعه رسول عاملا بشريعته تاركا للشرع الذى أوحى إليه به إلا نبينا ﷺ لأنه نبى الانبياء .

تاسعا — ثبوت البشارة بالجنة
لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

جاء فى الحديث عن أبى امامة الباهلى انه ﷺ قال : طُوْبىٰ لِمَنْ رَآنِى وَآمَن بِى وطُوْبَىٰ سَبْعَ مَرَّاتٍ لِمَنْ لَمْ يَرَنِى وَآمَنَ بى . أخرجه أحمد والبخارى فى التاريخ وابن حبان والحاكم بلفظ : طُوْبىٰ لِمَنْ رَآنِى وَآمَنَ بى مَرَّةً وطُوْبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِى وَآمَنَ بِى سَبْعَ مرَّاتٍ وصححه الحاكم وتعقب لكن له شاهد من حديث أنس عند أحمد وروى الطيالسى وعبد بن حميد عن ابن عمر قال سُئِل رسولُ الله ﷺ فقيل أرأيتَ مَنْ آمَنَ بك ولم يَرَكَ وصَدَّقَكَ ولم يَرَكَ قال أُولٰئِكَ إِخْوَانِى أُولئِكَ مَعى طُوبى لِمنْ رَآنِى وَآمَنَ بى طُوْبَى لِمَنْ آمَنَ بى وَلَمْ يَرَنى ثلاثَ مرات .

وروى الطبرانى برجال ثقات والحاكم عن عبد الله بن بسر مرفوعا طُوْبَى لِمَنْ رَآنِى وَآمَنَ بِى وَطُوْبىٰ لِمَنْ رَأى مَنْ رَآنِى وَطُوْبىٰ لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِى طُوْبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ .

وجاء فى حديث أخرجه أحمد وابن حبان زيادة وهى أنه سُئِل ﷺ وما طُوبى فقال شَجَرَةٌ فى الجنَّةِ .

وبهذا ثبت فضل الايمان به ﷺ أولا واخرا لهذه الأمة .

عاشرا — ثبوت الفضل لآخر هذه الأمة
كما ثبت لأولها

تثبت بالاتفاق افضلية عصره ﷺ ويدل على ذلك ما جاء فى الصحيحين وغيرهما : خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ .

قال العلماء المقصود بذلك عصر الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة أو دونها بقليل أو فوقها بقليل على الخلاف فى وفاة آخر الصحابة موتا أبى الطفيل .

وقوله ثم الذين يلونهم أى القرن الذين بعدهم وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة وقوله ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين نحوا من خمسين إلى حدود عشرين ومائتين وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل من كل من يأتى بعده وذهب أبو عمر بن عبد البر انه قد يكون فيمن يأتى بعد الصحابة أفضل ممن كان فى جملة الصحابة .

جاء عن عمر بن الخطاب قال كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال أَتَدْرُوْنَ أَىُّ الْخَلْقِ أَفْضَلُ إِيْمَاناً قلنا الملائكةُ قال وحُقَّ لهم بل غيرهم قلنا الانبياءُ قال وحُقَّ لَهُمْ بَلْ غَيْرُهُم .

قال ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيْمَاناً قَوْمٌ فى أَصْلَابِ الرِّجَالِ يُؤْمِنُوْنَ بِى وَلَمْ يَرَوْنِى فَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيْمَاناً .

رواه الطبرانى باسناد حسن وأبو داود الطيالسى وحسنه ابن عبد البر .

وأيضا جاء فى الحديث عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال يا رسول الله : هَلْ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا أسلمْنا معك وجاهَدْنا معك قال قومٌ يَكُوْنُوْنَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُوْنَ بِى وَلَمْ يَرَوْنِى رواه أحمد والطبرانى وصححه الحاكم .

ونحن لا نحب أن نتعرض إلى الخلاف الجارى بين العلماء فى قضية التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها فى فضل الأعمال غير أن ذلك لا يمنعنا من القول بان مشاهدة رسول الله ﷺ ورؤيته لا يعدلها شىء .

الحادى عشر
وجود قبر نبينا ﷺ بالتعيين

ومن فضل الله الذى شرّف به هذه الأمة فامتازت به على من سواها من الأمم هو أن قبر نبينا وسيدنا محمد ﷺ معلوم عندنا بيقين وتواتر لا شك فى ذلك ولا ريب فترد الناس فى كل وقت وحين وتتكبد مشاق السفر وعناءه إلى قبره الشريف مع امتلاء قلوبهم بالعلم التام واليقين الكامل على أنه ﷺ فى هذا المكان المشهود وهذه حجراته المعروفة ومساكن زوجاته وهذه روضته المطهرة .

هذا الشرف والفضل لم يثبت لنبى غيره ﷺ ولا لأمة غير الأمة المحمدية .

وفى هذا يقول ابن حجر :

ولم تعلم مقابرهم بأرض يقينا غير ما سكن الرسول

وقال الامام مالك رضى الله عنه للمهدى يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم اولاد المهاجرين فسلم عليهم فانه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة فقال له ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله قال لأنه لا يعرف قبر نبى اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ ومن قبر محمد عندهم فينبغى أن يعلم فضلهم على غيرهم .

(كذا فى المدارك)

فالقبر الشريف موضع تنزل الرحمة الإلٰهية كما جاء فى الحديث عن كعب رضى الله عنه « مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إلاّ وَيَنْزِلُ سَبْعُوْنَ اَلْفاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحُفُّوا بِالْقَبرِ يَضْرِبُوْنَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّوْنَ عَلٰى النَّبِىِّ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفاً حَتَّى يَحُفُّوا بِالْقِبْرِ يَضْرِبُوْنَ بِأَجْنِحَتِهِمْ فَيُصَلُّونَ على النَّبِىِّ سبعونَ ألفاً بِاللَّيْلِ وسبعون اَلْفاً بالنَّهارِ » رواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى ﷺ .

الثانى عشر
ذكر الأمة المحمدية فى الكتب السابقة

قال الله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيْمَاهُمْ فى وُجُوْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُوْدِ ذٰلِك مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيْلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ الآية .

وأخرج الدارمي فى مسنده وابن عساكر عن كعب قال فى السطر الأول محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام . وفى الثانى محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة

إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة[١] ويأتزون[٢] على أوساطهم ويوضؤن أطرافهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل .

وفى رواية أخرى عند الدارمى وابن سعد وابن عساكر زيادة وهى :—

يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدويّ النحل يسمع مناديهم فى جو السماء .

وفى رواية عند الزبير بن بكار وأبى نعيم زيادة :— أناجيلهم فى صدورهم قربانهم الذى يتقربون به إلىّ دماؤهم رهبان بالليل ليوث بالنهار .

وفى رواية عن أبى هريرة عند أبى نعيم جاء فى أوصافهم هذه الأمة فى التوارة أنهم الأخرون السابقون المستجيبون المستجاب لهم ،أناجيلهم فى صدورهم يقرؤونه ظاهرا ، يأكلون الفىء يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات واذا همّ أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة يؤتون العلم الأول والآخر فيقتلون قرون الضلالة والمسيح الدجال .

وفى رواية عن كعب الأحْبار عند أبى نعيم أيضا جاء فى وصف هذه الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، إذا اردوا أمرا قالوا نفعله إن شاء الله ، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد غُرٌّ محجلون من آثار الوضوء أمة مرحومة ضعفاء يؤتون الكتاب اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات لا يدخل النار منهم إلا من برئ من الحسنات مثل ما برئ الحجر من ورق الشجر ، وفى رواية عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن كعب أخرجها أبو نعيم أيضا وفيها إذا غزوا فى سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد وان حضروا الصف فى سبيل الله كان الله عليهم مظللا .

---

(١) مزبلة .

(٢) يشدون الأزر .

وفى رواية عن أنس مرفوعا أخرجها أبو نعيم فى الحلية وفيها : إن الجنة محرمة على جميع الخلق حتى يدخلها (أى محمدٌ ﷺ) وأمته صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله .

وفى رواية عن وهب بن منبه أخرجها إبن أبى حاتم وأبو نعيم جاء فى وصف الأمة المحمدية ما يأتى أن الله جل جلاله قال ألهمهم التسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم هم أوليائى وانصارى أنتقم بهم من اعدائى عبدة الاوثان يصلون لى قياما وقعودا وركعا وسجودا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى الوفا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ثم قال أجعلهم أفضل الأمم واجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس إذا غضبوا هللونى وإذا قبضوا كبروني وإذا تنازعوا سبحونى يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب إلى الانصاف ويهللون على التلال والأشراف .

وروى البيهقى عن وهب بن منبه وفيه ان الله سبحانه وتعالى قال : أمته ﴿ يعنى محمدا ﷺ ﴾ مرحومة اعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء .

الثالث عشر

ان هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة

اختص الله هذه الأمة بان لا تجتمع على ضلالة ونشأ من ذلك أن اجماعهم حجة وبأن اختلافهم رحمة فكان اختلاف من قبلهم عذابا .

أخرج أحمد والطبرانى عن أبى بصرة الغفارى عن رسول الله ﷺ قال : سألتُ اللهَ أَنْ لاَ يَجْمَعَ أُمَّتِى عَلَىٰ الضَّلَالةِ فأَعْطَانِيْهَا وسألته أنْ لا يُظْهِرَ عليهم عَدُوّاً فأَعْطَانِيْهَا . الحديث .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : لاَ يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِى عَلَىٰ الضَّلَالَةِ أبداً .

وأخرج الشيخ نصر المقدسى فى كتاب الحجة قال رسول الله ﷺ : اختلافُ أُمَّتِى رَحْمَةٌ .

وهذا الحديث رواه أيضا الديلمى فى مسند الفردوس عن إبن عباس مرفوعا .

وروى الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إنَّ اللهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي أو قال أمةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ ويَدُ اللهِ على الْجَمَاعَةِ ومن شَذَّ شذّ فِى النَّارِ .

وروى أبو داود عن ابى مالك الاشعرى عن رسول الله ﷺ قال : قَدْ أَجَارَكُمُ اللهُ مِنْ ثَلاثِ خِلالٍ ذكر منها وَانْ لاَ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ .

الرابع عشر
ان الله لا يهلك هذه الأمة بجوع ولا غرق

اختص الله هذه الأمة بأن لا يهلكها بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدوا غيرهم يستبيح بيضتهم .

أخرج مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : إنَّ اللهَ زَوىٰ لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها وإنَّ مُلْكَ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مَازُوِيَ لِى مِنْهَا وأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ وإنّي سَأَلْتُ رَبّى لِأُمَّتِى أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ولا يُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُمْ فَأَعْطَانِى .

وأخرج ابن أبى شيبة عن سعد أن النبى ﷺ قال : سَأَلْتُ رَبِّى أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتى بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيْهَا وسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِى بِالْغَرقِ فَأَعْطَانِيْهَا وسَأَلْتُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّتْ عَلَيَّ .

وأخرج الدارمى وابن عساكرعن عمرو بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : إنَّ اللهَ أَدْرَكَ بِى الْأَجَلَ الْمَرْحُوْمَ واخْتَارَنِى اخْتِيَاراً فَنَحْنُ الآخِرُوْنَ السَّابِقُوْنَ يومَ القِيَامَةِ وَإِنِّى قَائِلٌ قَوْلاً غَيرَ فَخْرٍ إِبْرَاهِيْمُ خَلِيْلُ اللهِ ومُوسىٰ صَفِيُّ اللهِ وَأَنَا حَبِيْبُ اللهِ وَمَعِى لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمِ القِيَامَةِ .

وإنَّ اللهَ وَعَدَنِى فى أُمَّتِى وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلَاثٍ لاَ يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ وَلاَ يَسْتأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ وَلاَ يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ .

وعند أبى داود من حديث أبى مالك الأشعرى قَدْ أَجَارَكُمُ اللهُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالٍ أَنْ لاَ يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيْعاً وَأَنْ لاَ يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحقِّ وَأَنْ لاَ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ .

شرف الوضوء وفضله

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ما اعده الله من الثواب الجزيل والفضل الجميل على الوضوء .

فمن ذلك .

أن الوضوء يطهر الإنسان من الخطايا وينظف جوارحه واحدة واحدة فكلما غسل جارحه خرجت منها الخطايا التى اقترفتها . قال ﷺ : مَنْ توضَّأَ وأَحْسَنَ الْوُضوءَ خَرَجَتْ خطَايَاه من جَسَدِه حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِه[١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا توضَّأَ العبْدُ المسْلِمُ أو المؤْمِنُ فغسَلَ وجْهَهُ خرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خطيئَةٍ نَظَرَ اليهْا بعَيْنِه معَ الْماءِ أو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ . فاذا غسَلَ يدَيْهِ خرَج مِنْ يدَيهِ كلُّ خطِيئةٍ كانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ معَ الماءِ أو معَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ . فاذا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كلُّ خطيئةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الماءِ أو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ[٢] .

وفى رواية عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : ما مِنْكُم رجلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَه فَيَمَضْمِضُ ويَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إلّا جَرَتْ خَطَايَا وجْهِه وفِيهِ وخَيَاشِيْمِهِ ثم إذا غَسَلَ وجْهَهُ كما أَمَرَهُ الله إلّا جَرَتْ خطَايَا وجْهِهِ من أَطْرافِ لَحْيَتِهْ مَعَ الماءِ . ثم يَغْسِلُ يدَيه إلى المِرْفَقَيْنِ الا جَرَتْ خطَايا يدَيه مِنْ أَنَامِلِه مع

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

الماءِ ، ثم يَمْسَحُ رأْسَه إلا جَرَتْ خَطَايا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرافِ شَعَرِه مَعَ الماءِ ، ثم يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إلىٰ الكَعْبَينِ إلّا جَرَتْ خَطَايا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِه مَعَ الماءِ ، فَإنْ هُوَ قَامَ فصَلَّى فَحمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليهِ ومَجَّدَه بالَّذى هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ إلَّا انْصرَفَ مِنْ خَطِيْئتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْه أُمُّهُ[1] .

ومن ذلك :

أن الوضوء على المكاره يرفع الدرجات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلىٰ ما يَمْحُو اللهُ به الْخطَايا ويرفَعُ الدَّرجاتِ قالوا : بَلىٰ يا سول الله قال : إسْباغُ الوُضوءِ على المكَارِهِ ، وكثرةُ الخطَا إلى المساجِدِ وانْتِظارُ الصلاةِ بعدَ الصَّلاةِ فذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ فذلكم الرِّباطُ[2] .

ومن ذلك :

ان الشهادة بعد الوضوء سبب دخول الجنة .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَوضَّأَ فأَحْسَنَ وُضوءَه ثم قال : أشهَدُ أنْ لا الٰهَ الّا اللهُ وحدَه لا شرِيكَ له وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه اللَّهم اجْعَلْنى مِنَ التَّوابِيْنَ واجْعَلْنى مِنَ الُمتَطَهِّرين . فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانيةُ يَدْخُلُها مِنْ أَيِّها شاء[3] .

فضل الاذان وشرف المؤذنين

ومن شرف الأمة المحمدية أن الله اختصها بالاذان . وَقد جاء فى فضله وفضل المؤذنين أحاديث كثيرة تبين شرفهم وما اختصهم الله تعالى به من مناقب ومزايا .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم والترمذى بمعناه ولم يذكر مسلم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين .

فمنها : ان المؤذن يشهد له كل من يسمع صوته بالاذان كما جاء فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال : لا يَسْمَعُ مَدى صوتِ المُؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلّا يَشْهَدُ لهُ يومَ القيامة(١) . وفى رواية : أنه يشهَدُ لهُ كلُّ رَطْبٍ ويابِسٍ(٢) .

ومنها : ان للأذان فضلا خَفِياً لا يعلمه إلا الله ، فقد جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لو يَعْلَمُ الناسُ ما فى النداءِ والصَّفِّ الاوَّلِ ثم لَمْ يَجِدُوا إلّا أن يَسْتَهِمُوا لاسْتَهَمُوا عليه(٣) . والمراد بالنداء الاذان . وقوله استهموا أى اقترعوا . ومعناه : أنهم لو علموا فضيلة الاذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقا يحصّلونه لضيق الوقت عن أذان بعد اذان ، أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا فى تحصيله .

ومنها أن رفع الصوت بالاذان لتحصيل ثواب الله وشهادة كل شيء بالتوحيد للمؤذن أمر محبوب يستحق أن يتقاتل عليه الناس بالسيوف .

فعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لو يَعْلَمُ الناسُ ما فى التَّأْذِين لَتَضارَبُوا عَليه بالسُّيُوفِ(٤) . أى لحصل نزاع شريف وتقاتل بسيط على النصر والفوز فى المنافسة الخيرية . وهذا من باب الترغيب وإلا فإن المقاتلة لا تجوز . بل الخلاف على ذلك لا يجوز .

ومنها : أن المؤذن معه رحمة الله وعونه ومساعدته وإحسانه وفى أى مكان سار ووصل تحيط به رحمة الله تعالى . رُوى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يَدُ الرَّحْمٰنِ فوقَ رأْسِ المُؤَذِّنِ ، وإنَّه لَيُغْفَرُ له مدى صوتِه أينَ بَلَغَ(٥) .

ومنها : أن المؤذن أمين وهو محل ثقة الناس يعتمدون عليه فى معرفة وقت إفطارهم إن صاموا ، أو يقبلون على الصلاة المكتوبة ، فعن أبى هريرة رضى الله

---

(١) رواه البخـارى .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه البخـارى .
(٤) رواه أحمد وفى اسناده ابن لهيعة .
(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط .

عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الإمامُ ضامِنٌ والمؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ . اللهمَ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ واغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِيْنَ[١] .

وهذا دعاء عظيم من الرسول الكريم ﷺ للمؤذنين فهنيئا لهم بهذه الدعوة النبوية المجابة .

ومنها : ان المؤذن يطرد بأذانه الشيطان . فعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الشيطانَ إذا سمِعَ النِّداء بِالصلاةِ ذهَبَ حتى يكونَ مكانَ الرَّوحاءَ . قال الراوى : والروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلا[٢] . وهى التى تعرف اليوم ببير الراحة بعد المسيجيد .

قال النووى : إنما يدبر الشيطان لعظيم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شعائر الاسلام واعلانه . وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الاعلان بالتوحيد .إهـ .

والمؤذنون هم من أحب العباد إلى الله تعالى .

روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرَرْتُ ، إن أَحَبَّ عبادِ الله إلى اللهِ لَرُعاةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ يعنى المؤذنين ، وإنَّهم لَيُعْرَفُوْنَ يومَ القِيامَةِ بِطُولِ أَعْناقِهم[٣] .

ومن مزايا المؤذنين — أن إتمام غفران الله للمؤذن ودرك رحمته تعالى له بقدر الفراغ الذى يملؤه صوته . فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يُغْفَرُ للمؤذِّنِ مُنْتَهٰى أَذانِه ويَسْتَغْفِرُ له كُلُّ رَطْبٍ ويابِسٍ سَمِعَه[٤] .

ومنها : أن المؤذن سبع سنين إحتسابا لله تعالى تكتب له برآءة من النار .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما إلا أنهما قالا — فارشد الله الائمة وغفر للمؤذنين . ولابن خزيمة رواية كرواية أبى داود .

(٢) رواه مسلـم .

(٣) رواه الطبرانى فى الاوسط . وقوله رعاة الشمس والقمر اى الذين يترقبون حركات الكواكب لترشدهم إلى اوقات عبادة الله عز وجل من صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء . كما أن الراعى يراقب حركات الماشية .

(٤) رواه أحمد باسناد صحيح .

كما جاء فى الحديث عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان النبى ﷺ قال : مَنْ أَذَّنَ سبْعَ سِنينَ مُحْتَسِباً كُتِبَ له بَراءةٌ من النارِ[1] .

ومنها : أن المؤذن محفوظ من أهوال القيامة فى مكان بارز متميز عن غيره من أهل الموقف ، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : الْمؤَذِّنُون أطْوَلُ الناسِ أَعْناقاً يومَ القيامةِ[2] .

ومنها : أن من أذن اثنتى عشرة سنة وجبت له الجنة .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً وجَبَتْ له الجَنَّةُ وكُتِبَ له بتَأْذِينِه فى كلِّ يومٍ ستُّون حسنَةً ، ولكِلّ إقامةٍ ثلاثونَ حسنةً[3] .

والمؤذنون هم من خيار عباد الله . جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : إنّ خِيارَ عبادِ الله الذين يُراعُون الشّمْسَ والقَمرَ والنُّجومَ لِذكْرِ الله[4] .

والمؤذنون يحشرون يوم القيامة على حالهم الذي ماتوا عليه ، فالناس فى هلع وخوف وجزع وهم مشتغلون بالاذان . رُوى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن المُؤَذِّنِيْنَ والُملَبِّينَ يَخْرُجُون من قُبورِهِمْ يؤَذِّنُ المُؤَذِّنُ ويُلَبِّى المُلَبِّى[5] .

والمؤذنون يوم القيامة على كثبان من مسك يراهم الناس فيتمنى كل واحد مقامه ، لا يهولهم الفزع الاكبر ولا يفزعون يوم يفزع الناس .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ثلاثَةٌ على كُثْبانِ المِسْكِ وأراه قال : يومَ القيامة . زاد فى رواية : يَغْبِطُهُم الاوَّلُون

---

(١) اخرجه الترمذى وقال حديث غريب .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابن ماجه فى سننه .

(٤) رواه الطبرانى واللفظ له . والبزارُ والحاكم وقال صحيح الاسناد . ثم رواه موقوفا وقال : هذا لا يفسد الأول لان ابن عينية حافظ وكذلك ابن المبارك إهـ . ورواه أبو حفص ابن شاهين وقال : تفرد به ابن عيينة عن مسعر وحدث به غيره وهو حديث غريب صحيح .

(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط .

والأخِرُون : عبدٌ أدّىٰ حقَّ الله وحقَّ مَواليه ، ورجُلٌ أَمَّ قوماً وهُمْ به راضُونَ ، ورجُلٌ يُنَادى بالصَّلواتِ الْخَمْسِ فى كُلِّ يومٍ وليلةٍ(١) .

وفى رواية عند الطبرانى فى الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به « لا يَهُوْلُهُمُ الْفزَعُ الأَكْبَرُ ولا يَنَالُهُمُ الحسابُ ، هُمْ على كُثُبٍ مِنْ مِسْكٍ حتّى يُفْرَغَ من حسابِ الخْلائِقِ .

وفى رواية أخرى عند الطبرانى فى الكبير : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة ومرة ومرة حتى عدّ سبع مرات لما حدَّثْتُ به : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ثلاثةٌ على كُثْبانِ المِسْكِ يومَ القيامةِ لا يهُولُهم الفزَعُ ولا يَفْزَعون حين يفزَعُ الناسُ .

والمؤذن المحتسب كالشهيد ، جاء فى الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : المؤذِّنُ المُحْتَسِبُ كالشهيدِ المُتَشَحِّطِ فى دمِه يَتَمَنَّى على اللهِ ما يَشْتَهى بينَ الاذانِ والإقامةِ(٢) .

والمؤذن المحتسب إذا مات فان جسمه محفوظ لا يأكله الدود ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : المؤَذِّنُ المُحتَسِبُ كالشَّهيدِ المُتَشَحِّطِ فى دمِه إذا مات لم يُدَوِّدْ فى قبْرِه(٣) .

وهذه مكافأة من الله تعالى للمؤذن الذى يحافظ على ايقاظ الناس أن يحيا فى قبره ويشعر بنعيم ربه وينقى ويطهر جسمه ولا ينتن ولا يقذر ويسلم من الدود الذى ينشأ من عفونة الجسم لكن الشرط أن يكون محتسبا . أما إذا كان مؤذنا فاسقا وطمّاعا ومخاتلا فيطلق الله عليه الحشرات فى قبره تنهشه نهشا ويبلى جسمه ويعذبُ عذابا أليما .

ومن فضائل الاذان أنه أمان لأهله .

---

(١) رواه أحمد والترمذى من رواية سفيان عن أبى اليقظان عن زاذان عنه وقال حديث حسن غريب .

(٢) رواه الطبرانى فى الاوسط .

ومعنى المحتسب : هو يطلب أجره من الله تعالى أكثر ثوابا من المؤجر ومعنى المتشحط : اى المتخبط فيه يعنى المضطرب المتمرغ .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وقال الهيثمى : وفيه محمد بن الفضل القطانى ولم اجد من ذكره .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أُذِّنَ فى قريةٍ أَمَّنَهَا اللهُ عَزَّ وجلَّ من عذابه ذلكَ اليومَ(١) .

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : أيُّما قومٍ نُودِىَ فيهِمْ بالاذانِ صباحاِ إلا كَانُوا في أمانِ اللهِ حتَّى يُمْسُوا وأيما قوم نودى فيهم بالاذان مساء إلا كانوا في أمان الله حتى يُصبِحُوا(٢) .

ومن فضائل الأذان ما جاء فى الحديث عن هلال بن يساف رضى الله عنه أنه سمع معاوية يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : مَنْ سَمِعَ المُؤذِّنَ فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ فَلَه مِثْلُ أَجْرِهِ(٣) .

ومن فضائل الاذان أن من أجابه فله بكل حرف ألف ألف درجة وهذا روى فى الحديث عن السيدة ميمونة رضى الله عنها مرفوعا وهو وان كان ضعيفا إلا أنه تثبت بمثله الفضائل(٤) .

ومن خصائص الاذان أن من خرج من المسجد بعد سماعه الاذان من غير عذر أو إرادة الرجوع إليه مرة أخرى — فهو منافق .

روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ اَدْرَكَهُ الأَذانُ فِى المسجِدِ ثم خرَجَ لم يَخْرُجْ لحاجةٍ وهُوَ لا يُرِيْدُ الرَّجْعَةَ فهو منافِقٌ(٥) .

فضل إجابة المؤذن

ومن شرف الأمة المحمدية ما جاء فى فضل إجابة المؤذن من الفضل العظيم والاجر الكريم .

فمن ذلك — أن النبى ﷺ بشّره بالجنة : عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قال المُؤَذِّنُ اللهُ اكْبرُ فقال أحدُكم الله اكبر ثم

---

(١) رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاث .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث معقل بن يسار .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين لكن متنه حسن وشواهده كثيرة .

(٤) وقد رواه الطبرانى فى الكبير .

(٥) رواه ابن ماجه .

قال أشْهَدُ ان لا اله الا الله قال أشْهد أن لا اله إلا الله ثم قال أشْهد أنَّ محمداً رسولُ الله قال أشهَدُ أن محمدا رسول الله ثم قال حَيَّ علىٰ الصلاة قال لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ثم قال حيَّ على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله اكبر قال الله اكبر ثم قال لا اله إلا الله قال لا اله إلا الله مِنْ قلبه دخلَ الجنة[1] .

وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادى فلما سكت قال رسول الله ﷺ : من قال مثلَ ما قال هذا يقيناً دخلَ الجنة[2] .

وفى رواية : ان النبى ﷺ لما سمع بلالا يُؤَذِّنُ قال : من قال مِثْلَ مقالَتِه وشَهِدَ مثل شهادته فلهُ الجَنَّةُ .

ومن ذلك أن النبى ﷺ بشَّرَ مَنْ أجاب المؤذن بالمغفرة إذا قال : وأنا اشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه رضِيْتُ بالله ربًّا وبالإسلامِ ديْناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً[3] .

ومن ذلك أن النبى ﷺ بشره بالشفاعة يوم القيامة . وينال هذه الشفاعة إذا أجاب المؤذن وصلى على النبى ﷺ ويسأل له الوسيلة . وبهذا تعلم أن الفوز بشفاعته الخاصة مشروط بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له . فعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول : إذا سمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فقُولُوا مثلَ ما يقولُ ثم صَلُّوا عَلَيَّ فإنَّهُ مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللّهُ بها عشْراً ثم سَلُوا اللهَ لِي الوسيلَةَ فإنَّها منْزِلَةٌ فى الجنةِ لَاتَنْبَغى إلَّا لعبدٍ مِنْ عبادِ الله وأرجو أن أكُونَ أنا هُو فمن سأَلَ لي الوسيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعةُ[4] .

وينال هذه الشفاعة أيضا إذا قال : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القَائِمةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيْلَةَ والفضِيلَةَ وابْعَثْهُ مقاماً محموداً الذى وَعَدْتَه .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو عبد الرحمن النسائى فى سننه .

(٣) رواه مسلم والترمذى واللفظ له .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

فقد جاء فى الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال : من قالَ حينَ يَسْمَعُ النداءَ ــ الحديث ــ ثم قال « حلَّتْ له شفاعتى »[1] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول إذا سمِعَ المؤذِّنَ : اللهمَّ ربَّ هذهِ الدعوةِ التامّةِ والصلاةِ القائمةِ صلِّ على مُحَمدٍ وأَعْطِه سُؤالَه يوم القيامة وكان يُسْمِعُها مَنْ حولَه ويُحِبُّ أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذِّنَ قال : ومن قال مِثْلَ ذلِكَ إذا سمع المؤذِّنَ وجَبَتْ لهَ شفاعةُ محمَّدٍ ﷺ يومَ القيامةِ[2] .

وفى رواية أن النبى ﷺ كان إذا سمع النداء قال : اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ صلِّ على عبدِكَ ورسولك واجْعَلْنا فى شفاعتِه يوَم القيامةِ .

ويقول : مَنْ قالَ هذا عِنْدَ النِّداءِ جعلَه اللهُ فى شفاعتى يومَ القيامةِ[3] .

وفى رواية : من سمِعَ النداءَ فقالَ : اشهَدُ ان لا الله إلا الله وَحدَهُ لا شريكَ له وأن محمداً عبدُه ورسولُه : اللهم صلِّ على محمدٍ وَبَلِّغْهُ درجةَ الوسيلةِ عنْدَك واجعَلْنا فى شفاعَتِهِ يومَ القيامةِ ، وجَبَتْ له الشفاعةُ[4] .

وقد بشر نبينا ﷺ مَنْ أجابَ المؤذِّنَ بأن دعوته مستجابة .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ قالَ حينَ يُنادى المنادى : اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ النافعةِ صلِّ على محمدٍ وارْضَ عنِّى رضاً لا سَخَطَ بعدَه ــ استَجابَ اللهُ له دَعْوَتَه[5] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله إن

---

(١) رواه البخارى ورواه البيهقى وزاد فى آخره : انك لا تخلف الميعاد .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وفى إسنادهما صدقة بن عبدالله السمين

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٥) رواه أحمد والطبرانى فى الاوسط وفيه ابن لهيعة .

المؤذِّنِين يفْضُلُونَنا « أى يزيدون علينا فى الثواب » فقال رسول الله ﷺ : قُلْ كما يقولون فإذا انْتَهَيْتَ فسَلْ تُعْطَهُ[1] .

ومن فضائل الاذان — ان بينه وبين الاقامة دعوة مستجابة .

فعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ساعتَان لا تُرَدُّ على داعٍ دعوتُه : حين تُقَامُ الصلاةُ ، وفى الصفِّ فى سبيلِ الله[2] .

وفى رواية : عن أبى أُمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إذا نادىٰ المُنادى فُتِحَتْ ابوابُ السَّماءِ واستُجِيْبَ الدُّعاءُ فمن نَزَلَ به كَرْبٌ أو شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّنْ المُنَادِيَ فاذا كَبَّر كَبَّرَ وإذا تَشَهَّدَ تشَهَّدَ واذا قال حَيَّ علىٰ الصلاةِ ، قال : حيّ على الصلاةِ وإذا قال حيَّ على الفلاحِ قال حيَّ على الفلاحِ . ثم يقول اللهمَّ رَبَّ هذهِ الدَّعوْةِ التامَّةِ الصادِقَةِ المُسْتَجابَة ، المستجابِ لها دعوةُ الحَقِّ وكلمةُ التَّقْوىٰ أَحْيِنا عَلَيها وأَمِتْنا عليها وابْعَثْنَا عليها واجعَلْنا مِنْ خِيارِ أهلِها أحياءً وأمواتاً . ثم يَسْأَلُ اللهَ حاجَتَه[3] .

فضل بناء المساجد والمشي إليها والجلوس فيها

ومن شرف الأمة المحمدية ، اختصاصها بالمساجد وقد جاء فى فضل بنائها وفضل السعي اليها عن النبى ﷺ أحاديث كثيرة .

فمنها ما يدل على فضل بناء المسجد وأنه مضمون له بيت مثله فى الجنة .

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ بَنى مسجداً يَبْتَغى به وجْهَ اللهِ ، بَنىٰ اللهُ له مِثْلَه فى الجنّةِ[4] .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان وهو واهـ وقال صحيح الاسناد . وقوله : فليتحين المنادى أى ينتظر بدعوته حين يؤذن المؤذن فيجيبه ثم يسأل الله حاجته .

(٤) اخرجه البخارى ومسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من بَنىٰ مسجدا يُذْكَرُ فيه اسمُ الله ، بنى اللهُ لهُ بيتاً فى الجنة[١] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ بَنىٰ مسجِداً كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أو أَصْغَرَ بنىٰ اللهُ له بيتاً فى الجنَّةِ[٢] . وقوله كمفحص قطاة : القطاة طائر معروف أى مقدار عُشها ومأواها .

وفى رواية : بَنىٰ اللهُ له بيتاً أَوْسَعَ منه[٣] . وفى رواية : أَفْضَلَ منه[٤] . وفى رواية : من بَنىٰ بيتاً يُعْبَدُ اللهُ فيه من مالٍ حلالٍ بنىٰ اللهُ له بيتاً فى الجنةِ مِنْ دُرٍّ وياقُوتٍ[٥] .

وفى رواية مَنْ بَنىٰ مسجداً لا يُرِيْدُ به رياءً ولا سُمْعَةً بَنىٰ اللهُ له بيْتاً فى الجنَّةِ[٦] .

وثواب بناء المسجد باق وأجره جار لصاحبه حتى بعد وفاته فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ مِمّا يَلْحَقُ المؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وحَسَنَاتِه بَعْدَ مَوْتِه عِلْماً علَّمهُ ونشَرَهُ ، أو ولداً صالحِا تركَه أو مُصْحَفاً ورّثه أو مسجِداً بناه أو بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَناه أو نَهْراً أَجْراه أو صدَقَةً أَخْرجَها مِنْ مالِهِ فى صِحَّتِه وحَياتِه تَلْحَقُهُ مِنْ بعد موْتِه[٧] .

ومنها ما يدل على فضل من كنس المسجد ونظّفه .

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) رواه ابن ماجه أيضا .
(٣) رواه أحمـد .
(٤) رواه أحمد والطبرانى .
(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط والبزار دون قوله من در وياقوت .
(٦) رواه الطبرانى فى الاوسط .
(٧) رواه ابن ماجه واللفظ له .
وابـن خزيمة صحيحـه والبيهقـى واسناد ابن ماجه حسن .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عُرِضَتْ عليَّ أُجورُ أُمَّتى حتى القَذَاةِ يُخْرِجُهٰا الرَّجُلُ مِنَ الْمسجِدِ . وعُرِضَتْ عَليَّ ذُنوبُ أُمّتى فَلَمْ أَرَ ذنْباً أعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقرآنِ أَوْ آيَةٍ أُوْتِيهَا الرَّجُلُ فَنَسِيَهٰا . والقذاة مفرد قذى . وهى ما يقع فى العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك والمعنى يخرج الرجل كل قذر وإن قل .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ أَخْرَجَ أَذىً مِنَ المسْجِدِ بَنىٰ اللهُ له بيتاً فى الَجنَّةِ[1] .

ومنها ما يدل على فضل المشى إلى المساجد وفضل الجلوس فيها .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاةُ الرَّجُلِ فى جماعةٍ تُضَعَّفُ علىٰ صَلَاتِه فى بيتِه وسُوقِه خمساً وعشرين ضِعْفاً وذٰلكِ أنَّه إذٰا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ ثم خرَجَ إلى المسجِدِ لا يُخْرِجُه الّا الصَّلاةُ لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفِعَتْ لهُ بهٰا درجَةٌ وحُطَّ عنْهُ بها خَطِيْئَةٌ . فاذا صَلّى لم تَزَلْ الملائِكةُ تُصَلِّى عليه مادٰام فى مُصَلّاٰه ، تَقُوْلُ اللّهُمّ صَلِّ عليهِ ، اللّهُمّ ارْحَمْهُ ولايَزالُ فى صلاةٍ ما انْتظَرَ الصَّلاةَ[3] .

وعن أبى بن كعب رضى عنه ، قال : كانَ رجُلٌ لا أعلمُ رجلاً أبعدَ من المسجِدِ منْهُ وكانَ لا تُخطِئهُ صلاةٌ ، قال فقيلَ له أوْ قُلْتُ له:لَوِ اشْتَرَيْتَ حِماراً ترْكَبُه فى الظّلْماءِ وفى الرَّمْضٰاءِ ، قال مَا يَسُرُّنى أنَّ مَنْزِلي إلىٰ المسجِدِ إنّى أُرِيْدُ أَنْ يُكْتَبَ لي مَمْشٰايَ إلىٰ المَسْجِدِ ورُجُوعى إذا رَجَعْتُ إلى أَهْلى . فقال رسول الله ﷺ : قد جَمَعَ الله لكَ ذٰلِكَ كُلَّه[4] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كانتْ دِيارُنا نَائِيَةً من المسجِدِ

---

(١) رواه ابن ماجه وفى اسناده احتمال للتحسين .

(٣) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

(٤) رواه مسلم .

فأَرَدْنا أن نَبِيعَ بيوتَناَ فنَقْرُبَ من المسجِد ، فنهانا رسولُ الله ﷺ فقال : إنَّ لكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ درجةً[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَطَهَّرَ فى بيتِه ثم مشى إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ للهِ فريضةً مِنْ فرائضِ اللهِ كانَتْ خَطْوَتاهُ إِحْداهُما تَحُطُّ خطيئةً والاخْرىٰ تَرْفَعُ درجةً[2] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : مَنْ غَدا إلى المسجِدِ أوراحَ ، أَعَدَّ اللهُ لهُ فى الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّما غَدا أو راحَ[3] .

وعن أبى أُمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من خَرَجَ من بيتِه مُتَطَهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فَأَجْرُهُ كأَجْرِ الحاجِّ الْمحْرِمِ ، ومَن خَرَجَ إلى تَسْبيحِ الضُّحىٰ لا يَنْصِبُهُ إلا إياه فأَجْرُه كأَجْرِ المُعْتَمِرِ . وصَلاةٌ على أَثَرِ صلاةٍ لَا لَغْوَ بينهَمُاَ كِتابٌ فى عِلِّيِّيْنَ[4] .

وعن بُريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنه . عن النبى ﷺ قال : بَشِّرِ الْمَشّائِيْنَ فى الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بالنُّورِ يومَ القيامةِ[5] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : المَشَّاؤُوْنَ إلىٰ الْمسَاجِدِ فى الظُّلَمِ ، اولئك الخَوّاضُونَ فى رحمةِ اللهِ .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لِيُبَشَّرِ المشَّاؤُونَ فى الظُّلَمِ إلىٰ المساجِدِ بنورٍ تامٍّ يومَ القيامةِ[6] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) اخرجه البخارى ومسلم .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) رواه أبو داود والترمذى .
وقال حديث غريب . وعن أنس بن مالك مثله رواه ابن ماجه .
(٦) رواهما ابن ماجه .

فضائل الصلاة

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الفضائل على اداء الصلوات والمحافظة عليها .

فمن ذلك :

ان الصلاة تكفر الخطايا . قال الله تعالى : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ .

روى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبابِ اَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كلَّ يومٍ خَمْسَ مرَّاتٍ هل يَبْقَى من دَرَنِه شَيْءٌ ؟ قالوا : لا يَبْقَى من دَرَنِه — أى وَسَخِه — شَيْءٌ فقال ﷺ : فكذلِك الصَّلَواتُ الَخْمسُ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا — أى الصغائِرَ — أما الكبائر فلابد لها من توبة كما دل على ذلك حديث مسلم والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الصَّلواتُ الخَمْسُ ، والجمعةُ إلى الجمعَةِ — وفى رواية — : ورمَضانُ إلى رمضانَ كفّارةٌ لما بينَهُنَّ ما لم تُغْشَ الكبائِرُ . وفى رواية — : إذا اجْتُنِبَتِ الكبائرُ .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إنَّ لله مَلَكاً يُنادى عنْدَ كلِّ صلاةٍ : يا بَنى آدمَ قُوموا إلى نِيرانِكم الَّتى أَوْقَدْتُموها فَأَطْفِئُوها . والمراد بالنيران هنا الذنوب (١) .

وعن أبى مسلم التعلبى قال : دخلت على أبى أمامة رضى الله عنه وهو فى المسجد فقلتُ : يا أبا أُمامةَ إن رجلا حدّثنى عنك أنك سمعت رسول الله ﷺ يقول : من توضَّأَ فأسْبَغَ الوُضوءَ فغسَلَ يَديه ووجْهَه ومسَح على رأْسِه وأُذُنَيْهِ ثم قامَ إلى صلاةٍ مفروضةٍ غَفَر اللهُ له فى ذلك اليومِ ما مَشَتْ إليه رِجْلاه وقَبَضَتْ عليه يَدَاه وسمِعَتْ إليه أُذُناه ونَظَرت إليه عَيْناه وحَدَّث به نَفْسَهُ من سوءٍ .

---

(١) رواه الطبرانى وقال المنذرى : رجاله كلهم محتج بهم — فى الصحيح .

فقال أبو أمامة : والله قد سمعته من رسول الله ﷺ مرارا[1] .

وعن أبى ايوب الانصارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول : إنَّ كُلَّ صلاةٍ تحُطُّ ما بين يَديْها من خطيئةٍ[2] .

ومن ذلك :

أن الصلاة ترفع الدرجات . روى مسلم عن معدان بن أبى طلحة رضى الله عنه قال : لَقِيتُ ثوبانَ مولىٰ رسولِ الله ﷺ فقلت : أخبِرْنى بعملٍ أعمَلُ يُدْخِلنى الله به الجنة ـــ أو قال : أخبرنى بأحبِّ الاعمالِ إلى الله تعالى فسكتَ . ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال ثوبان : سألتُ عن ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقال : عليكَ بكثرةِ السُّجودِ فانك لا تَسْجُدُ لِلهِ سجْدَةً إلاّ رفَعكَ اللهُ بها درجةً وحَطَّ بها عنكَ خطيئةً .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما مِنْ عبدٍ يسجُدُ لله سجدةً إلا كَتَبَ اللهُ له بها حسَنَةً ومحا عنه بها سيِّئةً ورفع له بها درجةً فاستَكْثِروا من السجودِ[3] .

ومن ذلك :

أن الصلاة خيرموضوع شرعه الله تعالى . روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الصلاةُ خيرُ مَوْضوعٍ فَمنِ استْطاعَ أن يستَكْثِرَ فَليَسْتَكْثِرْ .

ومن ذلك :

أن الصلاة خير الأعمال : عن ثوبان رَضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : استَقِيمُوا ولَنْ تُحْصُوا ـــ وفى رواية : استقيموا تُفْلِحوا ـــ واعلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكُمْ الصلاةُ ولا يحافِظُ على الوضوءِ إلا مؤْمنٌ[4] .

---

(١) رواه أحمد وله شواهد .

(٢) قال الهيثمى رواه أحمد وسنده حسن .

(٣) رواه ابن ماجه باسناد صحيح .

(٤) رواه الامام أحمد وابن حبان فى صحيحه .

ومعنى لن تحصوا : اى لن تحصوا ثناء عليه سبحانه . أو لن تحصوا مراتب الاستقامة

ومن ذلك :

أن الصلاة شفاء للأرواح والأشباح . فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إنّ فى الصلاة شِفاءً »(١) .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها اتخاذ عهد عند الله تعالى بدخول الجنة . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خمسُ صلواتٍ كَتبهُنّ اللهُ على العبادِ فمن جاءَ بهِنَّ ولم يُضَيِّعْ منهُنَّ شيئاً استِخْفَافاً بحقِّهن كان له عند اللهِ عهدٌ أن يُدْخِلَه الجَنَّةَ ، ومن لم يأتِ بهن فليسَ له عندَ اللهِ عهدٌ ان شاءَ عذَّبَه وان شاءَ أدْخَلهُ الجَنَّةَ(٢) .

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر ، فقال ﷺ : ما أَجْلَسَكُمْ ؟ قلنا : جلَسْنا ننتظِرُ الصلاة . قال : فأَرَمَّ — أى سكت — قليلا ، ثم أقبل علينا فقال : هلِ تَدْرُونَ ما يقولُ ربّكُم ؟ قلنا لا ، قال : فإنَّ ربَّكم يقول : مَنْ صلَّى الصلاةَ لوقْتِها وحَافَظَ عليها ولم يُضَيِّعْها اسْتِخْفافاً بحقِّها فلهَ عَلَيَّ عهدٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجنةَ ، ومن لم يصلِّها ولم يحافِظْ عليها وضَيَّعَها إستِخْفَافاً بحقِّها فلا عهدَ لهُ علَيَّ ، إنْ شِئْتُ عذَّبْتهُ وان شئتُ غفَرْتُ له(٣) .

ومنها : أن الصلاة تمنح المصلى عفو الله تعالى ورحمته ورضوانه — فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : الوقتُ الأوَّلُ من الصلاةِ رِضْوانُ اللهِ والآخِرُ عفوُ اللهِ(٤) .

وجاء أن النبى ﷺ قال : أوَّلُ الوقتِ رضوانُ اللهِ ووسَطُ الوقتِ رحمةُ اللهِ وآخِرُ الوقتِ عفْوُ اللهِ عزَّ وجلَّ(٥) .

---

(١) رواه أحمـد .

(٢) رواه مالك وأبو داود والنسائى .

(٣) قال المنذرى : رواه الطبرانى وأحمد بنحوه .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) رواه الدارقطنى .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها مباهاة رب العزة ملائكته بالمصلى فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يَتَعَاقَبُون فيكُمْ — وفى رواية أحمد : إن الملائكةَ يتعاقَبونَ فيكم : أى يتناوبون — ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار ويَجْتَمِعُونَ فى صلاةِ الصُّبْحِ وصلاةِ العَصْرِ ثم يَعْرُجُ الذين باتُوا فيكم فَيَسأَلُهم ربُّهم — وهو أعلم بهم — فيقول : كيف تَرَكْتُم عبادى ؟ فيقولون : تَرَكْنَاهم وهم يُصَلُّون وَأَتَيْنَاهُمْ وهم يُصَلُّون [1] .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها صلة العبد بربه ، ترفع الحجب بين المصلى وبين ربه عز وجل . عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إن العبدَ إذا قامَ فى الصلاةِ فُتِحَتْ له الجنَانُ ، وكُشِفَتْ له الحُجُبُ بينَه وبين ربِّه واستَقْبَلَتْه الحورُ العِيْنُ ما لم يَمتَخِطْ أو يَتَنَخَّعْ [2] .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها الاقتراب من حضرة رب الارباب . قال تعالى ﴿ وَاسْجُدْ واقْتَرِبْ ﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ عز وجل وهو ساجدٌ ، فاكثِروا الدُّعاءَ » [3] .

وانما كان فى السجود قرب خاص لما فيه من محض ذل العبودية لمقام عزة الربوبية .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها مناجاة رب العزة . عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « إنّ المؤمِنَ إذا كانَ فى الصلاةِ فإنما يُناجى ربَّه ، فلا يَبْزُقَنَّ بينَ يدَيه ولا عن يمينِهِ ولكن عَنْ يسارِه أو تحتَ قدَميهِ » [4] .

وهذا حيث كانت الصلاة على التراب ، وإلا فيأخذه بيده اليسرى كما نص عليه .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى وغيره .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : إذا قامَ أحدُكم إلى الصَّلاةِ فلا يَبْصُقْ أمامَه فإنَّما يُناجي اللهَ مادامَ فى مُصَلَّاه ولا عن يمينه فانَّ عن يمينه مَلَكاً وليَبْصُقْ عن يسارِه أو تحتَ قدَميه فيدْفِنْها[1] .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها التوجه والاقبال على الله تعالى ــ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إذا كانَ أحدُكم يُصَلّى فلا يَبْصُقْ قِبَلَ وجْهِه فإنَّ اللهَ قِبَلَ وجْهِه إذا صَلَّى[2] .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها ذكر العبد ربه تعالى وذكره تعالى لعبده ــ قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرى ﴾ أى لذكرك لي وذكرى لك ، فان كل نوع من الذكر يتقرب به العبد لربه مقابل بذكر منه سبحانه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال تعالى : ﴿ قَسَّمْتُ الصلاةَ بيني وبينَ عبْدى نِصْفَين ولِعَبْدى ما سَأَلَ ، فاذا قال العبدُ : « الحمدُ لله ربِّ العالمين » ﴾ قال الله تعالى : ﴿ حَمِدَنى عَبْدى ﴾ وإذا قال : ﴿ الرحمنِ الرحيمِ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أَثْنىٰ عليَّ عَبْدى ﴾ وإذا قال : ﴿ مٰالِكِ يومِ الدِّيْنِ ﴾ قال تعالى : ﴿ مَجَّدَنى عبْدى ﴾ وقال مرة : فَوَّضَ إِلَيَّ عبْدِى ــ فاذا قال ﴿ إيّاكَ نَعْبُد وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : هٰذا بيني وبينَ عَبْدى ولِعَبْدى ما سَأَلَ ، فاذا قال : ﴿ اهْدِنٰا الصِّراطَ المستَقِيمَ ، صراطَ الذينَ انْعَمْتَ عليهِمْ غيرِ الْمغْضوبِ عليهم ولا الضّآلِّيْنَ ﴾ قال تعالى : ﴿ هٰذا لعبدى ولعبدى ما سَأَل ﴾[3] .

وجاء فى رواية أخرى زيادة فى أوله : فاذا قال العبد : « بسم الله الرحمن الرحيم » يقول الله تعالى : ﴿ ذَكَرنى عبْدى ﴾[4] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) قال النووى فى المجموع ولكن اسنادها ضعيف . وهى عند الدارقطنى والبيهقى .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها تأمين الملائكة أى : تقول لقراءة الفاتحة آمين . فمن وافق تأمينهم غفر له ما تقدم من ذنبه ، كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنُوا فَإنَّهُ مَنْ وافَقَ تأْمِيْنُهَ تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقَدَّمَ من ذَنْبه (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إذا قال أحدُكم آمين وقَالَتِ الملائكةُ فى السماءِ فوافَقَتْ إحداهما الأُخْرَى غُفِرَ له ما تقَدَّمَ من ذنِبه (٢) .

ومن ذلك :

ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر قال الله تعالى : ﴿ أُتْلُ مٰا أُوْحِىَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتٰابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إنّ الصَّلَاةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ .

فقد أمر سبحانه باقامة الصلاة وبيّن أثر الصلاة فيمن أقامها أنها تنهاه عن الفحشاء ـــ أى المحرمات الفعلية ـــ والمنكر القولى ، والفواحش الفعلية والمنكرات القولية هما مجمع الآثام والذنوب .

ومن ذلك :

ان الصلاة تهذب العبد من الصفات الذميمة ـــ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً وَإذٰا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إلّا الْمُصَلِّينَ الذينَ هُمْ عَلىٰ صَلَاتِهِمْ دٰائِمُونَ ﴾ . الايات . يعنى الانسان إذا مسه الشر اشتد جزعه وضجره وإذا مسه الخير من الله تعالى شح ومنع حق الله تعالى فى ذلك ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : شَرُّ مٰا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ وجُبْنٌ خَالِعٌ (٣) .

ولم يبرأ من تلك الصفات الذميمة إلا المصلون الدائمون على صلاتهم فى أوقاتها الملازمون لها فانها حولتهم من الطباع السيئة إلى الطباع الحسنة وطورتهم فى أطور الكمالات والفضائل .

---

(١) (٢) فى الصحيحين .

(٣) رواه أحمد فى المسند .

ومن خصائص الصلاة أن البر الآلهي يتناثر فيها على المصلى . روى محمد بن نصر عن الحسن البصرى مرسلا أن النبى ﷺ قال : لِلْمُصَلى ثَلاثُ خصالٍ يتَنَاثَرُ البِرُّمِنْ عَنٰانِ السَّمآءِ إِلٰى مَفَرقِ رُأْسِهِ وتَحُفُّ به الملائكةُ مِنْ لَدُنْ قَدَمَيْهِ إلى عنانِ السَّماءِ وُينٰادِيهِ منادٍ : لو يَعْلَمُ الْمُصلّى مَنْ يُنٰاجى مَا انْفتَلَ .

ومن خصائص الصلاة أن الملائكة تصلى على المصلى مادام فى مصلاه . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ أحدَكُمْ فى صلاةٍ مادامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُه والملائكةُ تقولُ : اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهُمَّ ارْحَمْه . ما لم يَقُمْ مِنْ مُصَلَّاهُ أَوْ يُحْدِثْ[١] .

ومن ذلك :

أن الصلاة نور للمؤمن فى الدنيا والاخرة — عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الطُّهورُ شَطْرُ الايمانِ وسبحانَ اللهِ والحمدُ لله تَمْلَآنِ — أو تَمْلأُ — ما بينَ السماءِ والارْضِ والصَّلاةُ نورٌ . الحديث[٢] . فهى نور للمصلى فى قلبه وبصيرته وعقله ووجهه . قال تعالى : ﴿ سِيْمٰاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ ﴾ .

عن عبادة بن الصامت مرفوعا « إذا حافَظَ العبدُ على صلاتِه فأقامَ وضوءَها ورُكوعَها وسجودَها والقِراءةَ فيها قالت حَفِظَكَ اللهُ كما حَفِظْتَنى وصُعِدَ بها إلى السماءِ ولها نورٌ » الحديث[٣] .

وهى نور للمؤمن فى حشره وعلى الصراط وجميع بَرازخ الاخرة . عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ ذكر الصلاة فقال : « مَنْ حافَظَ عليها كانَتْ له نوراً وبرهانا ونجاةً يومَ القيامةِ » الحديث[٤] .

ومن خصائص الصلاة فى عالم القبر انها تحوط المصلى وتحفظه كما حفظها . عن أبى هويرة رضى الله عنه قال : قال ﷺ : « إنَّ الميِّتَ إذا وُضِعَ فى قبرِه وإنه

---

(١) رواه البخـارى .

(٢) رواه مسلـم .

(٣) رواه البخـارى .

(٤) رواه أحمد فى المسند وهو فى صحيح ابن حبان .

يسمَعُ خَفْقَ نِعالِهِم حين يُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ فان كانَ مُؤْمِناً كانت الصلاةُ عندَ رأْسِه وكانَ الصِّيامُ عن يمينِه وكانتِ الزَّكاةُ عن شِمالِهِ وكان فِعْلُ الخيراتِ من الصدَقة والصِّلاتِ والمعروفِ والاحسانِ إلى الناسِ عندَ رِجْليه فيُؤْتىٰ من قِبلِ رأسِه فتقولُ الصلاةُ — : مَاقِبَلى مدخَلٌ ثم يُؤْتىٰ عَنْ يمينِه فيقولُ الصيامُ: ماقِبَلى مدخَلٌ ثم يُؤْتىٰ عن يسارِه فتقولُ الزكاةُ: ماقبلى مَدْخَلٌ ثم يُؤْتىٰ مِنْ قِبَلِ رجلَيْه فيقولُ فعلُ الخيرات من الصدَقةِ والمعروفِ والاحسانِ إلى الناسِ : مٰاقِبَلى مدخَلٌ فيقالُ له : اجلِسْ . فَيَجْلِسُ قد مُثِّلَتْ له الشمسُ وقد دَنَتْ للغروبِ فيقال له : أَرَأَيْتَكَ هذا الذى كانَ قِبَلكُم ما تقول فيه وما تشهد عليه ؟ فيقول : دَعونى حتَّى أُصَلِّيَ فيقولُون إنكَ ستَفْعَلُ . أَخْبِرْنا عما نَسْأَلُكَ عنه : أرأيتك هَٰذا الرَّجُلَ الذى كانَ قِبَلكُمْ ماذا تَقُولُ فيه وماذا تَشْهَدُ عليه ؟ فيقولُ : محمدٌ أشْهَدُ انه رسولُ الله ﷺ وأنه جَاءَ بالحقِّ مِنْ عِنْدِ الله . فيقالُ له : علىٰ ذلك حَيِيْتَ وعلى ذلك مُتَّ وعلىٰ ذلكِ تُبْعَثُ ان شاءَ الله . ثم يُفْتَحُ له بابٌ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ فيقالُ له : هذا مقعَدُكَ منها وما أَعَدَّ اللهُ لكَ فيها فَيَزْدادُ غِبْطَةً وسُروراً » الحديث[١] .

ومن خصائص الصلاة أن من حافظ على صلواته فى الدنيا متعشقا بها فانه لا يزال يصلى فى قبره متنعما بصلاته وهذا مقام اعطاه الله تعالى لجميع انبيائه صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وقد يكرم به من شاء من عباده الصالحين. والدليل على أن الانبياء كلهم يصلون فى قبورهم مارواه أبو يعلى والبيهقي فى جزء « حياة الانبياء » عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الانبياءُ أحياءٌ فى قبورِهم يُصلُّون » .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : أَتَيْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بى عَلىٰ مُوسىٰ يُصَلّى فى قبرِه عند الكَثِيبِ الاحمرِ[٢] .

وأما الدليل على صلاة الصالحين فى قبورهم فقد جاء فى الحديث : أن المؤمِنَ يقولُ للملائكةِ : دَعونى حتّىٰ أُصَلِّيَ فيقولون : « إنَّكَ ستَفْعَلُ » الحديث وقد تقدم .

---

(١) قال المنذرى : رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .

(٢) اخرجه مسلم والنسائى .

وأسند أبو نعيم فى الحلية عن يسار بن جيش عن أبيه قال : أنا والذى لا اله إلا هو أدْخلْتُ ثابتا البنانى فى لحده ومعى حميد ورجل غيره فلما سوَّينا عليه اللبن سقطتْ لبنةٌ فاذا به يصلى فى قبره فقلت للذى معى : ألا تراه ؟ قال : أسكت فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنة ثابت فقلنا لها : ما كان عمل ثابت ؟ قالت : وما رأيتم ؟ فاخبرناها فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة فاذا كان السحر قال فى دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحدا الصلاة فى قبره فأعطنيها . فما كان الله ليرد ذلك الدعاء . اهـ .

ونظير ذلك أن الله تعالى قد أكرم بعض عباده بتلاوة القرآن فى قبره كما روى الترمذى من حديث ابن عباس ـــ رضى الله عنه ـــ قال : ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءً على قبر وهو لايحسب أنه قبر فاذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ حتى ختمها . فأتىٰ النبىَّ ﷺ ـــ فأخبره فقال النبى ﷺ : « هِيَ المانِعَةُ هى المُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عذابِ الْقَبْرِ » .

وروى ابن منده باسناده عن طلحة بن عبيد الله قال : ارَدْتُ مالي بالغَابَةِ فَادْرَكَنى الليل فأويتُ إلى قبر عبد الله بن حزام فسمعت قراءة من القبر ما سمعتُ أحْسَنَ منها . فجئت إلى النبى ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال : ذلك عبدُ الله ألم تَعْلَمْ أنَّ اللهَ قَبَضَ ارْواحَهم فجعَلَها فى قَنادِيلَ من زَبَرْجَدٍ وياقوتٍ وعلَّقَها وسَطَ الَجنَّةِ فاذا كانَ الليلُ رُدَّتْ اليهِمْ أَرْواحُهمُ إلى مكانِها التى كانَتْ . كما ذكره ابن رجب الحنبلى .

ومن ذلك :

ان الصلاة تحفظ على المصلى أعضاء السجود من النار جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث طويل عن النبى ﷺ قال : ويُضْرَبُ الصِّراطُ بينَ ظَهْرَانَيْ جهنَّمَ فأكونُ أوَّلَ من يجوزُ من الرُّسُلِ بأُمَّتِه ولا يتكَلَّمُ يومئذٍ أحَدٌ إلا الرُّسُلُ ، وكلام الرسل : اللهم سلِّمْ سلِّمْ . وفى جهنَّم كَلاليبُ مثلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هل رأَيْتم شوكَ السَّعْدانِ ؟ قالوا : نعم قال : فانَّها مثلُ شوك السعدانِ

غير أنَّه لايَعْلَمُ قدرَ عِظَمِها إلا اللهُ تعالى تَخْطِفُ الناسَ بأعمالِهم فمنهم من يُوبَقُ ــ أى يهلك ــ بِعِلِمْه ومنهم من يُخَرْدَلُ ثم ينجو حتى إذا أراد اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أرادَ من أهلِ النارِ أَمَرَ الملائكةَ أن يُخْرِجُوا من النارِ مَنْ كانَ يعبُدُ اللهَ فيعرفُونهم بأثارِ السُّجودِ وحرَّمَ الله تعالى على النارِ أن تأْكُلَ موضعَ السجودِ فَيخْرُجون وقد امْتَحَشُوا ــ أى احترقوا ــ فُيصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ فَيَنْبُتُون نباتَ الحبَّة فى حَمِيلِ السَّيلِ . الحديث(١) .

ومن ذلك :

أن الصلاة تهيء المصلى وتعده للسجود يوم تدعى الخلائق للسجود لرب العالمين . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَايَسْتَطِيْعُوْنَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجودِ وَهُمْ سَالِمُوْنَ ﴾ .

فقد أخبر سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة عن موقف امتحان المكلفين بالسجود يوم القيامة وذلك أنه سبحانه يكشف عن نور عظيم يتجلى به على أهل الموقف ويدعوهم إلى السجود له تعالى ، كما جاء عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : يُكْشَفُ ربُّنا عن ساقٍ فيَسْجُد له كُلُّ مؤمِنٍ ومؤمنةٍ ويَبْقى من كانَ يسجُدُ فى الدنيا رياءً وسُمْعَةً فيذهَبُ ليسجُدَ فيَعودُ ظهرُه طَبَقاً واحِدا(٢) .

وفى رواية قال ﷺ : فيُكْشَفُ عن ساقٍ فلا يَبْقى من كان يسجُد لله مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِه إلا أَذِنَ اللهُ له بالسجودِ ولايَبْقى من كانَ يسْجُدُ اتِّقاءً ورياءً ــ أى خوفاً من الناس ونفاقا ــ إلا جعلَ اللهُ ظهْرَه طَبَقَةً واحدةً كُلَّما اَرادَ أن يَسْجُدَ خَرَّ على قَفاه(٣) .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

والكشف عن الساق الوارد فى الآية والحديث يفسره ما جاء عن أبى موسى عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال : عن نُورٍ عظيمٍ فيخِرّوُن له سُجَّداً[١] .

وجاء من طريق ابراهيم النخعى فى قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى يكشف عن أمر عظيم ثم قال : يقال قامت الحرب على ساق يعنى إذا اشتدت وعظمت اهـ[٢] .

ومن فضائل الصلاة فى الاخرة أن لها بابا خاصا من أبواب الجنة يدخل منه المصلى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ـــ أن رسول الله ﷺ قال : « من أَنْفَقَ زوجَيْن فى سبيلِ اللهِ نُودِىَ مِنْ أَبوابِ الجنَّةِ : يا عَبْدَ الله هذا خيرٌ فمن كان مِنْ أهلِ الصَّلاةِ دُعِىَ من بابِ الصلاة . ومن كان من أهلِ الجِهادِ دُعِيَ من بابِ الجهادِ . ومن كانَ من اهلِ الصيامِ دُعى من بابِ الرَّيانِ . ومن كان من أهلِ الصَّدَقةِ دُعِيَ من بابِ الصَّدَقةِ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللهِ ما عَلىٰ مَنْ دُعِىَ من تلكَ الأَبْوابِ من ضرورةٍ فهلْ يُدْعىٰ أحدٌ من تلكَ الابوابِ كلِّها فقال ﷺ : نعم وأرجو أنْ تكونَ منهم[٣] .

---

(١) رواه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم .

(٢) رواه سعيد بن منصور وابن منده والبيهقى فى كتاب الاسماء والصفات .

(٣) رواه البخـارى .

مرافقة النبى ﷺ فى الجنة

ومن ذلك :

ان الصلاة تهيء المصلى وتعده لمرافقة النبى ﷺ فى الجنة .

عن ربيعة بن كعب الاسلمى رضى الله عنه قال : كنتُ أخدُمُ النبىَّ ﷺ نهارى فاذا كان الليلُ أُويتُ إلى رسولِ الله ﷺ فبِتُّ عندَه فلا ازال أَسْمَعُهُ ﷺ يقول : « سبحانَ الله سبحانَ الله سبحانَ ربِّى » حتى أَمَلَّ أو تَغْلِبُنى عَيْنَىَّ فأنامُ فقال يوما : يا ربيعةُ سَلْنى فأعْطِيَكَ فقلت أَنْظِرْنى حتىّٰ انْظُرَ ، وتَذَكرتُ ان الدُّنيا فانِيَةٌ مُنْقَطِعَةٌ . فقلتُ يا رسولَ الله أسْأَلُكَ أنْ تَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُنْجِيَنى مِنَ النَّارِ ويُدْخِلَنى الجَنَّةَ فسَكَتَ رسول الله ﷺ . ثم قال : مَنْ أَمَرَكَ بهذا ؟ قلت : ما أمَرَنى به أحدٌ ولكن عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْياٰ منْقَطِعَةٌ فانيةٌ وانتَ من الله بالمكانِ الذى أنْتَ منه فأَحْبَبْتُ أن تَدْعُوَ الله لى . فقال ﷺ : إنى فاعِّل فَأَعِنِّى على نفسِك بكثرةِ السُّجودِ (١) .

عن ربيعة بن كعب انه قال : كنت أبِيْتُ مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته فقال لي ﷺ : سَلْنى . فقلت : أسأُلُكَ مُرافَقَتَكَ فى الجنةِ . قال : أَوَ غَيْرَ ذلك ؟ قلت : هُو ذاكَ قال ﷺ : فَأَعِنِّى على نفسِك بكثرة السجودِ (٢) .

وجاء عن أبى فاطمةَ رضى الله عنه قال : قال لي نبى الله ﷺ : إنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَاٰنِى فَأَكْثِرِ السُّجُودَ (٣) .

رؤية رب العزة

ومن فضائل الصلاة في المصلى انها تقوي استعداده لرؤية رب العزة جل وعلا .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الأمام أحمد .

جاء عن جرير — رضى الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة — وفى رواية: ليلة البدر — فقال : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القمرَ لا تُضَامُوْنَ فى رُؤْيتِه . فان استَطعْتُمْ أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبل طُلوعِ الشَّمسِ وقبلَ غروبِها — زاد مسلم : يعنى العصر والفجر — فافْعَلُوا، ثم قَرأَ : وسَبِّحْ بِحَمْدِ ربِّك قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ[1] . وقوله « لا تضامون » يروى مخففا من الضيم — أى لا ينال أحدكم ضيم ولا حرمان بل كلكم ترون ربكم . ويروى مشددا فهو ينفى الازدحام .

قال العلامة الخطابى : هذا يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين أى صلاة العصر والفجر اهـ . قال الحافظ ابن حجر : وقد يستشهد لذلك بما أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إنّ ادْنَى أهْلِ الجنَّةِ منزلةً لَمَنْ ينْظُرُ إلى جِنَانِه وأَزْواجِه ونَعيمِه وخَدَمِه وسُرُرِه مسيرةَ الفِ سَنَةٍ . وأَكْرَمُهُمْ علىٰ الله تعالى مَنْ يَنْظُرُ إلى وجْهِه تعالى غَدْوَةً وعَشِيَّةً ثم قرأ ﷺ « وجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » .

اقول : هذا الحديث رواه ايضا الإمام أحمد وابن أبى الدنيا مختصرا إلا أنه قال فى روايته قال ﷺ : إنّ أفْضَلَ أهل الجنَّةِ منزلةً من ينْظُرُ إلى وجه الله تعالى كُلَّ يومٍ مرَّتين .

تحية رب العالمين

والصلاة فيها تحية رب العالمين وتحية إمام الانبياء والمرسلين وتحية جميع عباد الله الصالحين : عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبى ﷺ فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده . السلام على فلان وفلان . وفى رواية : السلامُ على جبريلَ وميكائيلَ فقال النبي ﷺ : لا تقولوا السلامُ على الله فان اللهَ هو السلامُ . ولكن قولوا : التَّحِيّاتُ للهِ والصَّلَوٰاتُ والطَّيِّبَاتُ . السلامُ عَلَيكَ أيُّها النَّبِيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . السلامُ علينا وعلىٰ عبادِ اللهِ الصَّالحين . فانَّكم إذا قُلْتُم ذلك أصابَ كُلَّ عَبْدٍ فى السماء والأرْضِ — وفى رواية — فانكم

---

(١) رواه الشيخان .

إذا قلتموها اصابَتْ كلَّ عبدٍ للهِ صالحٍ فى السماءِ والأرْضِ . أشهَدُ أن لا الهَ إلا اللهُ وأشهَدُ أن محمداً عبدُه ورسوله[١] .

اشتمال الصلاة على الصلاة على النبى ﷺ

والصلاة لله تعالى فيها الصلاة على النبى ﷺ وهى من أعظم القربات التى شرعها الله تعالى . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِىِّ يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْماً ﴾ .

عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : أتانا رسول ﷺ ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أَمَرنا الله عز وجل ان نُصَلِّىَ عليك يا رسولَ الله فكيف نُصَلِّى عليك ؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تَمَنَّيْنَا أنه لم يسْأَلْه ثم قال رسولُ الله ﷺ : قُولوا اللّهُمّ صَلِّ علىٰ محمدٍ وعلى آل محمد كما صلَّيْتَ على آلِ ابراهيمَ وباركْ علىٰ محمدٍ وعلى آل محمد كما بارَكْتَ على آل إبراهيم انَّكَ حميدٌ مجيدٌ . والسلامُ كما قد عَلِمْتُمْ أى فى التشهد[٢] .

ومن خصائص الصلاة أن من تركها لقى الله تعالى وهو عليه غضبان .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قام بصرى ـــ أى ذهب بصره ـــ قيل نداويك وتدع ـــ أى تترك ـــ الصلاة أياما ، قال : لا ـــ أى لا أترك الصلاة أبدا ـــ انّ رسول الله ﷺ قال : مَنْ تَرَكَ الصلاةَ لَقِىَ اللهَ وهو عليه غَضْبَانُ[٣] .

ومن خصائص الصلاة أن من تركها فقد برئت منه ذمة الله تعالى .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى ﷺ أن لا تُشْرِكَ بالله شيْئاً وإن قُطِّعتَ وإن حُرِّقْتَ ولا تتركَ صلاةً مكتوبةً مُتَعَمِّداً فمن تَركَها مُتَعَمِّداً فقد بَرِئَتْ منه الذِّمَّةُ ولا تشرَبَ الخَمرَ فانه مفتاحُ كلِّ شرٍّ[٤] .

---

(١) رواه البخـارى .

(٢) رواه مسلـم .

(٣) رواه البزار والطبرانى واسناده حسن كما فى الترغيب .

(٤) رواه ابن ماجه والبيهقى .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أتى رسول الله رجل فقال : يا رسولَ الله علِّمْني عَملاً إذا عمِلْتُه دخلتُ الجنةَ قال : لا تشرِكْ باللهِ شيئاً وإن عُذِّبْتَ وحُرِّقْتَ وأطِعْ والِدَيك وإن أخرَجاك من مالِك ومن كلِّ شيءٍ هولك ولاتَتْرُكِ الصلاةَ متَعَمِّدا فانَّ مَنْ تركَ الصلاةَ متعمِّداً فقد بَرِئَتْ منه ذمَّةُ اللهِ تعالى(١) .

وان من تركها ذهب نوره وانقطع برهانه وفقد النجاة فى الاخرة فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « مَنْ حافَظَ عليها كانَتْ له نوراً وبُرْهانا ونجاةً يومَ القيامةِ ، ومن لمْ يُحافِظْ عليها لم يكنْ له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ وكان يومَ القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبَىٍّ بن خَلَفٍ »(٢) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينَ الرَّجُلِ وبينَ الكُفْرِ تَرْكُ الصلاةِ »(٣) .

شرف صلاة الجماعة

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على صلاة الجماعة .

فمنها أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الرجل منفردا بخمس وعشرين ضعفا كما صح ذلك فى الحديث عن النبى ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه وفى رواية عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : صلاةُ

---

(١) قال المنذرى : رواه الطبرانى ولابأس باسناده فى المتابعات إهـ . وقد ورد مثل هذا الحديث فى المسند وغيره .

(٢) قال المنذرى : رواه أحمد باسناد جيد والطبرانى فى الكبير والاوسط وابن حبان فى صحيحه .

(٣) قال المنذرى : رواه أحمد ومسلم وقال : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ورواه أبو داود والنسائى ولفظه : ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة . ورواه الترمذى ولفظه « بين الكفر والايمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » .

الجماعةِ أفْضَلُ من صلاةِ الفَذِّ بسَبْعٍ وعِشرين درجةً . وفى رواية بخمس وعشرين درجة [1] .

وقد أجاب النووى عن هذا الخلاف بين الروايتين بأن ذلك يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة ، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ، ولبعض سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ، ومحافظته على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلها وشرف البقعة .

ومنها مغفرة الذنوب : عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ توضَّأ فأسْبَغَ الوُضوءَ ثم مشىٰ إلى صَلاةٍ مكتوبةٍ فَصلّاهَا معَ الامامِ غُفِرَ له ذَنْبه [2] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أتانى الليلة آتٍ مِنْ ربِى فقال لي : يا محمدُ ، قلتُ لبَّيْكَ ربِّ وسَعْدَيْكَ . قال : هل تَدْرى فيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الاعلىٰ ؟ قلت لا أعلم فوضَعَ يدَه بين كَتِفَيَّ حتى وَجَدْتُ بَردَها بين ثَدْيَيَّ أو قال : فى نَحْرى فعلِمْتُ ما فى السمَّواتِ وما فى الأرضِ ، أو قال : ما بين المشرِقِ والمغرِب . قال يا محمد : أتدْرى فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلتُ نعم . فى الدَّرجاتِ والكفارات ونقلِ الأقدامِ إلى الجماعاتِ [3] . الحديث .

ومنها : أن من حافظ على الجماعة نال جائزتين :

أولا : العتق من النار والنجاة منها .

ثانيا : السلامة من النفاق ، والتذبذب فى آداب الدين وطهارة القلب لله والاقبال على طاعة الله باخلاص ، ونور يودع فى الصدر يستضىء به المؤمن . فيتخلى عن الرذائل ويترك صغائر الذنوب وكبائرها . فقد جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ صلَّى للهِ اربعين يوماً فى جماعةٍ يُدْرِكُ التكْبيرةَ الأُولىٰ كُتِبَ له براءَتان : بَراءةٌ من النارِ وبَراءةٌ من النِّفاقِ [4] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .
(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٤) رواه الترمذى وقال لا أعلم احدا رفعه الا ماروى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو .

وجاء ايضا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه كان يقول : مَنْ صلى فى مسجدٍ جماعةً أربعينَ ليلةً لا تَفُوتُه الرَّكْعةُ الأُولى من صلاةِ العشاءِ كَتَبَ اللهُ له بها عِتْقاً مِن النارِ(١) .

ومن فضائل الجماعة أن ثوابها يحصل لمن عزم على حضورها ولو لم يدركها بنيته تفضلا من الله سبحانه وتعالى فالله تعالى يسوّى ثوابه بثوابهم وحسناته بحسناتهم تكرما منه وخزائنه لا تنفد ورحمته تترى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَوضَّأَ فأَحْسَنَ وُضوءَه ثم راحَ فوَجَدَ الناسَ قَدْ صَلَّوا فأعطاه الله مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صلّاها وحَضَرها لا يَنْقُصُ ذلك من أُجورِهم شيئاً(٢) .

وفى رواية سعيد بن المسيب عن رجلٍ من الانصار قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكر الحديث وفيه : « فإنْ أَتَى المسجدَ فصَلَّى فى جماعةٍ غُفِرَ له ، فان أتىَ المسجدَ وقد صَلَّوا بعضاً وبَقِيَ بعضٌ صَلَّى ما أَدْرَكَ وأَتَمَّ ما بَقِيَ كانَ كذلِكَ فان أَتَى المسْجدَ وقد صَلَّوا فأَتَمَّ الصلاةَ كان كذلك .

ومن فضائل الجماعة أنها محبوبة إلى الله تعالى وكلما كانت كثيرة كانت أحب إليه ، فصلاة الثلاثة أفضل من الإثنين والأربعة أفضل من الثلاثة — وهكذا كلما كثر الناس كان أدعى إلى القبول وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى :

عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ يوماً الصُّبْحَ فقال : أشاهِدٌ(٣) فلان ؟ قالوا : لا . قال : إنَّ هاتَيْنِ الصَّلاتينِ أَثْقَلُ(٤) الصَّلَواتِ على المُنافقِين ولو تَعْلَمونَ ما فيهِما لأَتَيْتُموهُما ولو حَبْواً(٥) على الرُّكَبِ وإنّ الصَّفَّ الأَوَّلَ على مثلِ صَفِّ الملائكةِ ولو عَلِمْتُمْ ما فضيلَتُه لا بْتَدَرْتُموهُ وانَّ

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٢) رواه أبو داود والنسائى والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) قوله : « أشاهد » أى أحضر .

(٤) قوله « أثقل الصلوات » اى إن ادراكهن صعب على من نقص ايمانه واشتهر بين المسلمين بترحزح العقيدة وتباعده عن اتباع الكتاب والسنة وتقصيره عن درك الثواب الجزيل .

(٥) « حبوا » اى زاحفين أى تحرصون على الحضور ولو أعياكم المشى فتزحفون .

صلاةُ الرَّجُلِ مع الرَّجُلِ اَزْكىٰ[1] مِنْ صلاتِه وحدَه ، وصلاتُه مع الرَّجُلينَ ازْكىٰ من صلاتِه معَ الرَّجُلِ ، وكلُّ ماكَثُرَ احَبُّ إلى اللهِ عز وجلّ[2] .

وعن قباث بن أشيم الليثى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاةُ الرَّجلين يَؤُمُّ أحدُهما صاحبَه ازْكىٰ عند الله من صلاةِ أربعةٍ تَتْرىٰ ، وصلاة أربعةٍ أزكْىٰ عند الله من صلاةِ ثمانيةٍ تَتْرىٰ ، وصلاةُ ثمانيةٍ يؤُمُّ أحدُهم أزكىٰ عند الله من صلاةِ مائةٍ تَتْرىَ[3] .

ومن فضائل الجماعة أن المصلى ينال بركة التأمين والتسميع والتحميد ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا قالَ الإمامُ سمِعَ اللهُ لمِن حمِدَه فقولوا : اللهم ربَّنا لك الحمدُ ، فانَّه مَنْ وافَقَ قولُه قولَ الملائكةِ غُفِرِ له ما تقدَّم من ذنبه .

وفى رواية : « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنُوا فانَّه من وافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفَرِ له ما تَقدَّمَ من ذنبه » وفى رواية« إذا قال احدُكم آمين والملائكةُ فى السَّمآءِ آمينَ فوافَقَتْ إحدَاهُما الاخرىٰ غُفِرَ له ما تَقدَّمَ من ذنِبه » وفى رواية « إذا قال القارئُ غيرِ المَغْضُوبِ عَليهِمْ ولا الضّآلِّينَ فقال مَنْ خَلْفَه آمين فوافَقَ قولُه قولَ أهلِ السَّماَءِ غُفِرَ له ما تقَدَّم من ذنْبه »[4] .

وقوله ﷺ : من واَفَقَ قولُه قولَ الملائكةِ ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه : وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم فهذا هو الصحيح والصواب . وحكى القاضى عياض قولا إن معناه وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص ، واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم لقوله ﷺ : فوافق قوله قول أهل السماَء ، وأجاب الاولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماَء .

---

(١) « ازكى » أنقى واطهر .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقد جزم يحيى بن معين والذهلى بصحة هذا الحديث .

(٣) رواه البزار والطبرانى باسناد لا بأس به .

(٤) روى جميع ذلك مسلم فى صحيحه .

ومن فضائل الجماعة أن فى الصف الأول فضلا عظيما لو علمه الناس لاقتتلوا عليه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : لو يَعْلَمُ الناسُ ما فى النداءِوالصَّفِّ الاوَّلِ ثم لمْ يَجِدُوا إلا أنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا ، ولو يَعْلَمُونَ ما فى التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إليهِ ، ولو يَعْلَمُون ما فِي العَتَمَةِ والصُّبحِ لأَتوهُمَا ولو حَبْواً[1] .

ومعناه : لو يعلمون ما فى الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاؤا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه . وقوله : لو يعلمون ما فى التهجير،التهجيرُ: التبكير إلى الصلاة أى صلاة كانت : قوله : لو يعلمون ما فى العتمة والصبح : العتمة : العشاء .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لو تَعْلَمونَ أو يعلَمُونَ ما فى الصَّفِّ المُقَدَّمِ لكانَتْ قُرْعَةٌ وقال ابن حرب : الصَّفِّ الاوَّلِ ما كانتْ إلا قرعةٌ[2] .

والصف الأول هو خير الصفوف ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خيرُ صُفوفِ الرِّجال اَوَّلُها وشَرُّها آخِرُها وخيرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُها وشَرُّها اَوّلُها[3] .

والمراد بشر الصفوف فى الرجال والنساء اقلها ثوابا وفضلا وابعدها من مطلوب الشرع ، وخيرها بعكسه وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك . وذم أول صفوفهن لعكس ذلك . والله اعلم .

واعلم أن الصف الأول الممدوح الذى قد وردت الاحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذى يلى الامام سواء جاء صاحبه متقدما أو متأخرا وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا . هذا هو الصحيح الذى يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

ومن فضائل الجماعة أن من صَلىّ العشاءَ فى جماعةٍ فكأنَّما قامَ نِصْفَ الليلِ ، ومن صلىّ الصُّبْحَ فى جماعةٍ فكَأَنَّما صَلَّى الليلَ كُلَّه . كذا قال ﷺ(١) .

ومن خصائص الجماعة أن من سمع نداءها ولم يجب بالحضور والمشاركة مع خلوه من الاعذار فان صلاته ناقصة . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سَمِعَ النِّداءَ فلم يَمْنَعْه من اتِّباعِه عُذْرٌ . قالوا : وما العذرُ ؟ قال : خوفٌ أو مرضٌ لم تُقْبَلْ منه الصَّلاةُ التى صلىّ(٢) .

ومن خصائص الجماعة أنها تدفع الوسواس ، وتحفظ من الشيطان ، وأن القوم الذين لا تقام فيهم الجماعة يستحوذ عليهم الشيطان ، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما مِنْ ثلاثةٍ فى قَرْيةٍ ولا بَدْوٍ لاتُقامُ فيهم الصَّلاةُ إلا وقَدِ استَحوَذَ عليهِم الشَّيطْانُ فَعَليكم بالجَماعةِ فانما يأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ القَاصِيةَ(٣) .

وفى حديث ابنِ مسعود رضى الله عنه ، وفيه : ولو أنكم صَلَّيْتُمْ فى بُيوتِكم كما يُصَلِّى هذا المُتخَلِّفُ فى بيتِه لتَركَتْمُ سُنَّةَ نبيِّكم ولوَ تركْتُم سنَّةَ نبيِّكم لضَلَلْتُمْ(٤) . الحديث .

ومن خصائص المحافظة على الجماعة أنها علامة الايمان والمواصلة مع الله سبحانه وتعالى . وفى تركها والاعراض عنها صورة من صور الجفاء والكفر والنفاق .

فعن معاذ بن أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال : الجَفَاءُ كلُّ الجفاءِ والكفُر والنفاقُ : مَنْ سِمَعَ منادِىَ اللهِ يُنادى إلى الصَّلَاةِ فلا يُجِيْبُه(٥) .

وفى تركها أيضا علامة الشقاء والخيبة . فقد قال ﷺ : بِحَسَبِ الْمُؤْمِنِ من الشَّقَاءِ والخَيْبَةِ أَنْ يسْمَعَ المؤَذِّنَ يثُوِّبُ بالصلاةِ فلا يُجِيْبَه .

---

(١) رواه مالك ومسلم وأبو داود . ولفظه : من صلى العشاء والفجر فى جماعة ،، الحديث .

(٢) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه بنحوه .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم . وزادرزين فى جامعه : « وان ذئب الانسان الشيطان إذا خلا به اكله .

(٤) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

(٥) رواه أحمد والطبرانى من رواية زبان بن فائد .

والمراد بالتثويب هنا إقامة الصلاة .

ومن خصائص الجماعة ان النبى ﷺ توعد تاركها بأن يحرقه بالنار ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لقد هَمَمْتُ أَن آمُرَ فِتْيَتي فَيَجْمَعُوا لي حُزُماً من حَطَبٍ ، ثم آتِىَ قوماً يصَلُّون فى بيوتِهم ليس بهم علَّة فأُحَرِّقَهَا عليهم ، فقيل ليزيد هو ابن الاصم ، الجمعة عَنَى أو غيرها قال : صَمَّتَا أُذنايَ ان لم اكن سمعتُ أبا هريرة يأثره عن رسول الله ﷺ ولم يذكر جمعةً ولا غيرها[١] .

ويكفى أن ابن أم مكتوم وهو أعمى يقول : قلت : يا رسول الله أنا ضَريرٌ شاسِع[٢] الدار ، ولي[٣] قائد لا يُلَايِمُنى فهل تجِدُ لي رُخْصةً ان أصَلِّىَ فى بيتى . قال : أتسمَعُ النداءَ ؟ قال نعم . قال : ما اجِدُ لك رُخصَةً[٤] .

فضل الصف الأول وما يتعلق بالصفوف

ومن فضائل هذه الأمة ، ما جاء فى فضل الصف الأول .

فمنها : أن فيه ثوابا مدخرا عند الله تعالى أخفاه عنا ، ولو كشف عنه لتسابق الناس اليه حتى يضطروا إلى ضرب القرعة لفصل المنازعة فى شأنه . وهو معنى قوله ﷺ : لَوْ يَعْلَمُ الناسُ ما فى النِّداءِ والصَّفِّ الاوَّلِ ، ثم لم يَجِدُوا إلا أن يَستَهِموا عليه لَاستَهَمُوا[٥] .

وفى رواية لمسلم : لو تعلَمُونَ ما فى الصَّفِّ المُقَدَّمِ لكانتْ قُرْعَةٌ والصف الأول هو خير صفوف الرجال ، قال ﷺ : خيرُ صفوفِ الرِّجالِ اوَّلُها وشَرُّها آخرُها . وخيرُ صُفوفِ النِّساءِ آخِرُها وشَرُّها أوَّلُها .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى مختصرا .

(٢) قوله شاسع الدار : بعيد الدار .

(٣) قول : ولى قائد لا يلايمنى اى مرشد لا يرفق بى . ولا يقودنى بسهولة .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

وكان ﷺ يستغفر لأهل الصف الأول ويصلى عليهم ، فعن العِرْباض بن سارية رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يستغفر للصَفِّ المقدَّمِ ثلاثا وللثانى مرة[1] .

بل الله تعالى وملائكته الكرام يدعون لأهل الصف الأول بالغفران والرضوان ثلاث مرات .

فعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله وملائكَتَه يُصَلُّونَ على الصَّفِّ الاولِ . قالوا : يا رسول الله وعلى الثانى . قال : إن اللهَ وملائكته يُصَلُّونَ على الصَّفِّ الاوَّلِ . قالوا : يا رسول الله وعلى الثانى ؟ قال : وعلى الثانى وقال رسول الله ﷺ : سَوُّوا صُفوفكم وحَاذُوا بينَ مَناكِبِكم ، ولِيْنُوا فى أَيْدى إخْوانِكم ، وسُدُّوا الخَلَلَ فانّ الشيطانَ يدْخُلُ فيما بينَكم بمنزلةِ الحَذَفِ ، يعنى أولاد الضأن الصغار[2] .

وتسوية الصفوف من تمام الصلاة ، وقد أمرنا ﷺ بذلك فقال : سوُّوا صفوفَكم فان تَسوِيةَ الصَّفِّ من تَمامِ الصلاة[3] .

وفى رواية للبخارى : فان تسويةَ الصُّفوفِ من إقامةِ الصَّلاةِ .

ورواه أبو دواود ولفظه : إنّ رسول الله ﷺقال : رُصُّوا صُفوفَكم[4]

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجا للعرباض ، وابن حبان فى صحيحه ولفظه : كان يصلى على الصف الأول ثلاثا . وعلى الثانى واحدة . ولفظ النسائى كابن حبان إلا أنه قال : كان يصلى على الصف الأول مرتين .

(٢) رواه أحمد باسناد لابأس به والطبرانى وغيره .

قوله : « ان الله وملائكته يصلون الخ ، اى يدعون بالغفران والرضوان لمن سبق فادرك أول صف فى المسجد .

وقوله : « ولينوا فى ايدى اخوانكم » أى اتبعوا إشارة اخوانكم ورأى اصحابكم ويكون المؤمن هينا لينا سهلا متواضعا قابلا للارشاد .

وقوله : « وسدوا الخلل » أى املأوا الفرجة وسدوا الثغرة فى صفوفكم .

(٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرسم .

(٤) وقوله : « رصّوا صفوفكم » أى ضموها إلى بعض وتقاربوا وتحاذوا لجنب .

والخلل : بفتح الخاء المعجمة واللام أيضا : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص .

وقارِبوا بينَها وحاذُوا بالأَعْناقِ ، فوالذى نفسى بيدِه إنى لأَرىٰ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كأنَّها الحَذَفُ .

ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما نحو رواية أبى داود .

وفى وصل الصفوف ، والانقياد لسد الفرج ثواب عظيم .

قال رسول الله ﷺ : أَقِيْمُوا الصفوف ، وحَاذُوا بين المناكِبِ ، وسُدُّوا الخَلَلَ ، ولِيْنُوا بأيدى إخوانِكم ، ولا تَذَرُوا فُرُجَاتِ الشَّيطانِ ، ومن وَصَلَ صفّاً وصله الله ، ومن قَطَعَ صفّاً قطعه الله (١) .

وقال ﷺ : ألا تَصُفُّون كما تصُفُّ الملائِكَةُ عندَ ربِّها ، فقال الصحابى الراوى : يا رسول الله وكيفَ تصُفُّ الملائكةُ عند ربها ؟ قال : يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأوَل ويَتَرَصُّونَ فى الصَّفِّ (٢) .

والحريص على وصل الصف هو من خيار الأمة ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : خِيارُكم أَلْيَنُكُمْ مناكِبَ فى الصلاةِ (٣) .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وعند النسائى وابن خزيمة آخره .
الفرجات : جمع فرجة . وهى المكان الخالى بين الاثنين .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه أبو داود .

قوله : الينكم مناكب فى الصلاة أى الزمكم السكينة والوقار والخشوع ويحتمل أن يكون معناه أى لا يمتنع على من يريد الدخول بين الصفوف لسد الخلل ، ولضيق المكان بل يمكنه من ذلك ولا يدفعه بمنكبه أو أنه يطاوع من جره ليصطف معه إذا لم يجد فرجة إهـ . الجامع الصغير ص ٢٤٢ .

فتجد الحديث يشمل ثلاثة :

أولاً — التؤدة وترك العبث والخشوع لله .

ثانياً — إذا كانت هناك فرجة ضيقة لا تسع شخصا ، فجاء شخص ضم نفسه ، ولين منكبه حتى وسعه ، وهذا معنى جميل يدعو المسلمين إلى اتساع الصدر والترحيب بالطائع والمشاركة فى الخير والتحمل والصبر ، وأن تحب لأخيك ماتحب لنفسك .

ثالثاً — إذا جره شخص ليصطف معه لين منكبه وطاوعه . تلك خلال المؤمنين [هينون لينون أيسار ذوو كرم] .

والحريص على وصل الصفوف وسد الفرج هو ممن يصلى عليه الله وملائكته .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : إنَّ اللهَ وملائكَتَه يُصَلُّون على الَّذِين يَصِلُون الصُّفوفَ (١) .

والخطوة التى يخطوها المسلم لوصل الصف هى اعظم الخطوات أجرا ، وهى أحبها إلى الله . ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتا فى الجنة وغفر له وذرت عليه الملائكة من البر ، وهذا كله أخبرنا عنه ﷺ بقوله : وَمَا مِنْ خَطْوَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً من خَطْوَةٍ مَشَاهَا رجُلٌ إلى فُرْجَةٍ فى الصَّفِّ فسَدَّهَا (٢) .

فضـــل الامــامـة

من فضائل الامام أنه كفيل بحسن الصلاة وأدائها فهو يحفظ على القوم صلاتهم ، ولذلك فان النبى ﷺ جعله ضامنا .

ومن فضائله أنه إن أحسن فى صلاته كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أَمَّ قوماً فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَعْلَمْ أنَّه ضامِنٌ مسؤُولٌ لِما ضَمِنَ ، وإن أَحْسَنَ كانَ له من الاجْرِ مثلُ أجرِ مَنْ صلىّ خلفَه من غيرِ أنْ يَنْقُصَ من أُجورِهم شيْئاً ، وما كانَ من نقْصٍ فهو عليه (٣) .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . زاد ابن ماجه : « ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة » .

(٢) رواه البزار باسناد حسن .
وقوله : « من سد فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتا فى الجنة » رواه الطبرانى فى الأول .
وقوله : « من سد فرجة فى الصف غفر له » رواه البزار باسناد حسن .
وقوله : « ولا يصل عبد صفاً الا رفعه الله به درجة وذرت عليه الملائكة من البر » رواه الطبرانى فى الاوسط .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية معارك بن عباد .

ومن فضائله أنه يوم القيامة على كثيب من مسك لا يهوله الفزع الأكبر ولا يناله الحساب كما جاء فى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ثَلاثةٌ على كُثْبانِ المِسْكِ ، أراه قال — يومَ القيامة : عبدٌ ادّى حقَّ الله وحقَّ مواليهِ ، ورجُلٌ أمَّ قوماً وهُمْ به رَاضُون ، ورجُلٌ ينادى بالصَّلواتِ الخَمْسِ فى كلِّ يومٍ وليلةٍ »[1] .

ومما خص الله به هذه الأمة التأمين ، ومعناه اللهم استجب ، أو كذلك فافعل ، أو كذلك فليكن ، وهى من خصائص هذه الأمة التى تحسد عليها .

فعن السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : ماحَسَدَتْكُم اليهودُ على شيء — ما حسَدَتْكم على السلامِ والتأمينِ[2] .

وفى رواية : أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال : إنهم لم يَحْسُدُونا على شيءٍ كما حَسَدُونا على الجُمُعَةِ التى هَدانا اللهُ لها وضَلُّوا عنها ، وعلى القِبْلَةِ التى هَدانا اللهُ بها وضَلُّوا عنها . وعلى قولِنا خلفَ الامامِ آمينَ[3] .

وفى رواية : إن اليهودَ قد سَئِموا دينَهم ، وهم قومٌ حُسَّدٌ ولم يحسدوا المسلمين على أفضلَ من ثلاث : ردِّ السلامِ وإقامةِ الصُّفوفِ وقولِهم خَلْفَ إمامِهم فى المكتوبةِ آمين[4] .

وقد كان ﷺ يفتخر بهذه العطية ويقول : إن اللهَ قد أَعْطانى خِصَالًا ثلاثةً : أعطانى صلاةً فى الصُّفوفِ واعطانى التَّحِيَّةَ إنها لتحيةُ أَهْلِ الجنَّةِ ، وأعطانى التَّأْمِيْنَ ، ولم يُعْطِه أَحَداً من النَّبِيِّينَ قَبْلى إلَّا اَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ أعطاهُ هارونَ يَدعو موسَى ويُؤَمِّنُ هارونُ[5] .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن . ورواه الطبرانى فى الصغير والاوسط باسناد لا بأس به . ولفظه :—
« قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يهولهم الفزع الاكبر ولا ينالهم الحساب وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون » الحديث .

(٢) رواه ابن ماجه باسناد صحيح ، وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه أحمد فى المسند .

(٤) رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن .

(٥) رواه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية زربى مولى آل المهلب ، وتردد فى ثبوته .

والتأمين باب من أبواب المغفرة ، كان النبى ﷺ يقول : إذا قالَ الامامُ : غيرِ المغْضُوبِ عليهِمْ ولا الضَّالِّيْنَ فقولوا : آمين ، فانَّه مَنْ وافَقَ قولهُ قولَ الملائكةِ ،غفر له ما تَقدَّمَ من ذنبِه[1] .

معناه : وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم ، فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضى عياض قولا : إن معناه وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص .

واختلفوا فى هؤلاء الملائكة ، فقيل : هم الحفظةِ ، وقيل غيرهم لقوله ﷺ : فوافق قوله أهل السماءَ . وأجاب الاولون بأنه اذا قالها الحَاضرون من الحفظة قالها مَن فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماءَ . إهـ .

بل إن هذه المغفرة تشمل حتى أهل المسجد ، فقد جاء فى رواية النسائى : فانَّه من وافَقَ كلامُهُ كلامَ الملائكةِ غُفِرَ لِمَنْ فى المسجِدِ .

وهذه المغفرة شاملة لما تقدم من الذنوب ، كما جاء عنه ﷺ : أنه إذا قالَ العبدُ : آمين ، الْتَقَتْ من أهلِ السماءِ وأهلِ الارْضِ ، غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه ، وهذا يعنى الصغار .

وقد وعد ﷺ من قال : آمين ، بالاجابة بقوله : فقولوا : آمين يجبكم .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحرصون على ختم دعائهم بلفظ آمين . ويقول لهم الصحابى الجليل أبو زهير النميرى : إن آمين مثل الطابع على الصحيفة ، فكان إذا دعا أحدهم فى المجلس يقول له : اختمه بآمين . ويقول لهم : خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة نمشى فأتينا على رجل قد ألحَّ فى المسئلة فوقف النبى ﷺ يستمِع منه ، فقال النبى ﷺ : أَوْجَبَ إن خَتَمَ ، فقال رجل من القوم : بأى شىء يَخْتِمُ فقال : بآمين ، فانه إن خَتَمَ بآمينَ فقد أَوْجَبَ ،

---

(١) رواه مالك والبخارى ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

فانصرف الرجلُ الذى سأل النبى ﷺ فأتى الرجل فقال : اِخْتِمْ يافلانُ بآمينَ وأَبْشِرْ [١] .

والمؤمّن على دعاء أخيه شريك له فى توجهه وإقباله وإجابته .

قال ﷺ : لا يجتمعُ ملأٌ فيدعُو بعضُهم ويؤمِّنُ بعضُهم إلا أَجَابَهم اللهُ [٢] .

ومن هنا كان التارك لهذا اللفظ الجليل محروما ، يقول ﷺ : ومَثَلُ الذى لا يقولُ آمين كَمثَلِ رَجُلٍ غَزَا مع قومٍ فاقْتَرعَوُا فخرَجَ سِهَامُهُمْ ، ولم يخرجْ سَهْمُه فقالَ : مَا لِسَهْمى لَمْ يَخْرُجْ ؟ قال : إنَّكَ لَم تقل آمين [٣] .

وفى هذا الحديث يشبه ﷺ الذى غفل عن ذكر آمين مع الامام وسها واشتغل بغير مراقبة الامام بجنود حاربوا ففازوا ، وغزوا فانتصروا ، ثم اجتمعوا بعد الفتح المبين لتقسيم الغنائم ، وتوزيع الجوائز ، إلا جندى واحد لم يخرج سهمه فى القرعة ، وخسر ولم يأخذ شيئا من الغنائم ، فسأل قائده — لماذا لم يخرج سهمى ؟ فقال لأنك لم تطلب ولم تتضرع إليه مع المأمومين ، فلم تقل « آمين » إن هذا مثل محسوس لمن قال ففاز ومن لم يقل فلم يفز .

ومن هنا كان ﷺ يأمرنا باكثار التأمين فيقول : أَكْثِرُوا مِنْ قولِ آمينَ [٤] .

---

(١) رواه أبو داود .

قوله : الحّ اى أقبل على الطلب مواظبا ، وأكثر من الرجاء فى اتمام مسئلته يقال : الحّ السحاب دام مطره ، والحّ الرجل على شيء الحف .

وقوله : أوجب أى صارت إجابته محققة وقضاء وطره مأمولا .

(٢) رواه الحـاكم .

(٣) رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبى سليم .

(٤) رواه ابن مـاجه .

فضائل صلاة الجمعة

ومن الشرف الذى جعله الله لهذه الأمة أنه اختصها بيوم الجمعة وجعله عيدا عظيما وجعل من الخصائص والفضائل له ولصلاته ما يرتفع به قدره ويعظم أمره . فمن ذلك تكفيرها للذنوب . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثم أَتَىٰ الجُمُعَةَ فاستَمَعَ وأَنْصَتَ غُفِرَ له مٰا بينه وبينَ الجُمُعَةِ الأخرىٰ وزيادَةُ ثلاثةِ أيَّامٍ . ومن مَسَّ الحَصىٰ فَقَدْ لَغٰا(١) .

قال النووى : وفى هذا الحديث النهى عن مسّ الحصا وغيره من أنواع العبث فى حالة الخطبة . وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة . والمراد باللغو هنا الباطل المذموم المردود .

وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ اغْتَسَلَ يومَ الْجُمعةِ ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ إن كان عِندَه ولَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيٰابه ثم خَرَجَ حتىٰ يُصَلِّىَ كان كَفَّارةً لما بينَهٰا وبين الجُمُعَةِ الْأُخْرىٰ(٢) .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنَ غَسَلَ يومَ الجمُعةِ واغْتَسَلَ وبَكَّرَ وابْتَكَرَ ومَشٰى ولم يَرْكَبْ ودَنَا مِنَ الْإمَامِ فاسْتَمَعَ ولم يَلْغُ كانَ له بكلِّ خَطْوَةٍ عملُ سَنَةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها .

وعنه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : الصَّلَوَاتُ الخمسُ والجُمعةُ إلى الجمعةِ ورَمضانُ إلى رمضانَ مُكَفِّرَاتٌ ما بينَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائرُ(٣) .

ومن ذٰلك أن صلاة الجمعة تضيىء الطريق لأهلها يوم القيامة

عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تُحْشَرُ الايَّامُ علىٰ هَيْئَتِها وتُحْشَرَ الجُمعةُ زَهْراءَ مُنِيْرَةً ، أهلُهٰا يَحُفُّونَ بِهٰا كالعَرُوسِ تُهْدٰى إلى خِدْرِ لها تُضِيءُ لَهُمْ يَمشُون فى ضَوْءِها ، اَلْوٰانُهُمْ كالثَّلْجِ بَيٰاضاً ورِيْحُهُم كالمِسْكِ يَخُوضُون فى جِبَالِ الْكَافُورِ يَنْظُرُ اليهم الثقَّلانِ لا يَطْرِفُون

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه الامام أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه مسلـم .

تَعجَبًّاً ــ أى من حسن منظر أهل الجمعة ــ حَتَّى يدْخُلوا الجَنَّةَ لا يُخَالِطُهُمْ أحَدٌ إلاّ المُؤَذِّنُونَ المُحْتَسِبُونَ .

ومنها : أن درجات الثواب تتفاوت بحسب التبكير إلى حضور صلاة الجمعة فكلما بكّر بالحضور نال أجرا أكبر وأعظم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من اغْتَسَلَ يومَ الجُمعةِ غُسْلَ الجنابَةِ ثم راحَ فى السَّاعَةِ الأُولى فكأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً ، ومن راحَ فى الساعةِ الثَّانيةِ فكأنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً ، ومن راحَ فى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فكأنَّما قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ ، ومَنْ راحَ فى الساعةِ الرابعةِ فكأنما قَرَّبَ دَجَاجَةً ، ومَنْ راحَ فى الساعةِ الخامِسَة فكأنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً ، فاذا خَرَجَ الإمامُ حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ (١) .

وفى رواية لهما : إذا كانَ يومُ الجمعةِ وقَفَتِ الملائكَةُ على بابِ المسجدِ يَكتبُون الأوّلَ فالأوَّلَ ، ومَثَلُ المُهَجِّرِ ــ أى المبكّر ــ كمثَلِ الذى يُهْدى بَدَنَةً ، ثم كالذى يُهْدى بَقَرةً ثم كَبْشاً ثم دَجَاجةً ثم بَيْضَةً ، فاذا خرَجَ الإمامُ طَوَوْا صُحُفَهُم يَستمعونَ الذِّكْرَ .

وجاء فى رواية أحمد : قيل لأبى أمامة رضى الله عنه يا أبا أُمامة ليس لِمَنْ جاءَ بعدَ خروجِ الامام جُمُعَةٌ ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس مِمَّنْ يُكْتَبُ فى الصُّحُفِ . يعنى أن الكتابة فى الصحف على مراتب مختلفة ، كما هى أيضا مختلفة فى رفعها ومنزلتها عند الله تعالى ، فالصحيفة التى يكتب فيها المبادرون إلى الصلاة قبل الخطبة لها شأن ورفع خاصّان .

ومنها أن فى يوم الجمعة ساعة هى أفضل ساعاتها وفيها الاجابة :

فعن أبى بردة بن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال لى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أسمعتَ أباكَ يحدِّثُ عن رسول الله ﷺ فى شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هى ما بينَ أنْ يَجْلِسَ الامامُ ــ يعنى على المنبر ــ إلى أن تقضى الصلاة(٢) .

---

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن .

(٢) رواه مسلم وغيره .

قال المنذرى : وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم إهـ . يعنى أن تعيين ساعة الاجابة قد اختلف فيه العلماء ولكل دليله وقد بسط الحافظ ابن حجر تلك ألاقوال مفصلة .

ومن أقواها أنها حين تقام صلا ة الجمعة إلى الانصراف منها كما تقدم ، وقد روى الترمذى وابن ماجه عن عمرو بن عوف رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إنَّ فى الجمعةِ ساعةً لا يسألُ اللهَ العبدُ فيها شيئاً إلا آتاهُ اللهُ إياه . قالوا : يا رسول الله أيّ ساعة هى ؟ قال : هى حين تقامُ الصلاةُ إلى الانصرافِ .

ومنها : أنها بعد صلاة العصر لما ورد عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إلْتَمِسُوا الساعةَ التى تُرْجَى فى يومِ الجمعةِ بعدَ العصرِ إلى غُيُوبَة الشَّمْسِ (١) .

ومنها : أنها تبدأ من حين تدلّى الشمس للغروب إلى أن يتكامل غروبها ، قال المنذرى فى الترغيب : قال الحافظ أبو بكر ابن المنذر : إختلفوا — أى الصحابة والتابعون فمن بعدهم — فى وقت الساعة التى يستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة ، فروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : هى ما بينَ طُلوعِ الفجْرِ إلى طلوعِ الشمسِ ، ومن بعد صلاة العصرِ إلى غرُوب الشمسِ وقال الحسن البصرى وأبو العالية : هى عند زوال الشمس ، وفيه قول ثالث وهو أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة ، روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها .

ومن فضائل الجمعة أن الصلاة والسلام على النبى ﷺ يزداد فضلهما ويعظم أجرهما .

فعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ مِنْ أفضل ايامكم يومَ الجُمعةِ فيهِ خَلَقَ اللهُ آدَمَ وفيه قَبَضَ وفيه النَّفْخَةُ وفيه الصَّعْقَةُ فأكثِروُا مِنَ الصَّلاةِ عليَّ فيه فان صلاتَكُم يومَ الجمعةِ معرُوضَةٌ عليَّ . قالوا : وكيف تُعْرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أَرِمْتَ ؟ — أى بليت بعد الموت — فقال ﷺ : إن اللهَ عز وجل حرَّمَ على الارضِ أن تأكُلَ أجسادَ الانبياءِ (٢) .

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(٢) قال المنذرى : رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وأحمد .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أكثِروُا من الصلاةِ عليَّ كلَّ يومِ الجُمعةِ فانَّه مشهودٌ تَشهدهُ المَلائِكَةُ ، وإنَّ أحَداً لَنْ يُصلِّىَ عَلَيَّ إلّا عُرِضَتْ عَليَّ صلاتُه حتى يَفْرُغَ منها . قال قلت : وبعد الموت ؟ — أى هل تُعْرَض صَلاتُنا عليكَ يا رسولَ الله بعد الموت — فقال : ان اللهَ حرَّمَ على الارضِ أن تأْكُلَ أجسادَ الانبياءِ عليهم الصلاة والسلام[1] .

وروى البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : اكثِروا الصلاةَ عليَّ فى الليلةِ الغرَّاءِ واليومِ الأَزْهَرِ ليلةِ الجمعُةِ ويومِ الجمعةِ . قال بعض العارفين رضى الله عنهم : أقل حد الأكثار ثلاثمائة أو اربعمائة .

ومن فضائل يوم الجمعة ما جاء فى الحديث عنه ﷺ أنه قال : من قَرأَ سورةَ الكهْفِ فى يومِ الجمعةِ أضاءَ له من النورِ ما بين الجُمُعتَين .

ورواه الدارمى فى مسنده موقوفا على أبى سعيد ولفظه : قال : من قَرأَ سورةَ الكهفِ ليلةَ الجمعةِ أضاءَ له من النُّورِ ما بينَه وبين البيتِ العتيق .

وقال ﷺ : من قرأ سورةَ الكهْفِ يومَ الجمعةِ سَطَعَ له نورٌ مِنْ تحتِ قَدَمَيْهِ إلى عَنانِ السماءِ يُضِيء لَهُ يومَ القيامةِ وغُفِرَ له ما بينَ الجمعتين[3] .

ومنها : أن يوم الجمعة سيد الايام وخيرها : قال رسول الله ﷺ : إن يومَ الجمعةِ سيِّد الايامِ وأعظمُها عند الله وهو أعظم عند الله من يومِ الأضْحٰى ويومِ الفِطْرِ ، وفيه خمسُ خِلال ، خلَقَ اللهُ فيه آدَمَ وأهْبطَ اللهُ فيه آدَمَ إلىٰ الارْضِ ، وفيه تَوفىّٰ الله آدَمَ ، وفيه ساعةٌ لا يسألُ اللهَ فيها العبدُ شيْئاً إلّا اَعْطاه إيَّاه ما لَمْ يَسْأَلْ حرَاماً ، وفيه تقومُ الساعةُ ، ما مِنْ مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جِبالٍ ولا بحرٍ إلا وهُنّ يُشْفِقْنَ من يومِ الجمعةِ[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خيرُ يومٍ طَلعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجمُعةِ[5] .

---

(١) رواه ابن ماجه باسناد جيد .
(٢) رواه النسائى والبيهقى مرفوعا .
(٣) قال المنذرى : رواه ابن مردويه باسناد لابأس به .
(٤) رواه أحمد وابن ماجه .
(٥) رواه مسلم وأصحاب السنن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : لا تطلُعُ الشمسُ ولا تَغْرُبُ على أفضلَ مِنْ يومِ الجمعةِ ، وما من دَابَّةٍ إلّا وهى تَفْزَعُ يومَ الجمعةِ إلا هذين الثَّقَلينِ الجنِّ والانسَ[1] .

ويوم الجمعة هو يوم المزيد الذى يتجلى فيه ربّ العزة بالتجلى العام على أهل الجنة بالرؤية فينظرون إليه : قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ ما يَشَاؤُنَ فِيها ولَدَيْنا مَزِيْدٌ ﴾ .

روى البزار وغيره بالسند عن أنس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾ قال : يَظْهَرُ لهم — أى يتجلى عليهم — الربُّ عز وجل فى كلِّ يومِ جمعة .

ومنها : أن صبحها أفضل الصلوات عند الله .

ومنها : أنها تعدل حجة . اخرج حميد بن زنجويه في فضائل الأعمال والحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن عباس « رضى الله عنهما » قال : قال رسول ﷺ : « الجمعَةُ حَجُّ المَساكينِ » . وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال : الجمعة أحَبُّ إليَّ من حجَّةِ تَطَوُّعٍ .

ومنها : استحباب الغسل لها لما روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما . وأخرج الحاكم عن أبى قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنِ اغْتَسَلَ يومَ الجمعةِ كَانَ فى طَهارةٍ إلى الجمعةِ الأُخْرىٰ[3] .

وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة — رضى الله عنه — عن النبى

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما وأبو داود .

(٢) قال العراق : وسنده ضعيف .

(٣) اورده الهيثمى فى المجمع ولفظه : عن عبدالله بن قتادة قال : دخل على أبى وأنا اغتسل يوم الجمعة فقال غسلك هذا من جنابة أو للجمعة قلت : من جنابة . قال اعد غسلا آخر إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من اغتسل يوم الجمعة كان فى طهارة إلى يوم الجمعة الأخرى) رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه هارون بن مسلم قال أبو حاتم فيه لين وثقه الحاكم وابن حبان وبقية رجاله ثقات ج ٢ ص ١٧٤ .

ﷺ (أنه) قال : « إن الغسل يوم الجمعة ليَسُلُّ[1] الخطَايا من أُصولِ الشَّعَرِ اسْتِلَالاً[2] .

ومنها استحباب الطيب والدهن والسواك وإزالة الشعر والظفر .

أخرج البخارى عن سلمان — رضى الله عنه — قال : قال النبى ﷺ : « لا يغْتَسِلُ رجُلٌ يومَ الجمعةِ ويَتَطَهَّرُما[3] استطَاعَ من طُهْرٍ ويدَّهِنُ من دُهْنٍ ويَمَسُّ من طِيْبِ بيتِه ثم يخرج فلا يُفَرِّقُ بينَ اثنين ثُمَّ يُصَلِّى ما كُتِبَ له ثم يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الامامُ الاّ غُفِرَ له ما بينَه وبينَ الجمعة الأُخرىٰ »[4] .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَلَّمَ أَظٰافِرَه يومَ الجُمعةِ وُقِيَ من السوءِ إلى مِثْلِها »[5] .

ومنها استحباب لبس أحسن الثياب . أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى سعيد وأبى هريرة — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتَسَلَ يومَ الجمعةِ واسْتَاكَ ومَسَّ من طِيْبٍ إن كان عندَه ولَبِسَ مِنْ أحسنِ ثيابهِ ثم قال : كانت كفَّارة ما بينَها وبين الجمعة الأُخرى[6] .

---

(١) اى يخرج الذنوب من غصون الشعر اخراجاً . يقال : سل الشىء انتزعه وفى حديث عائشة رضى الله عنها : فانسللت من بين يديه أى مضيت وخرجت بتأن وتدريج.من نهاية ابن الاثير ج ٢ ص ١٩١ .

(٢) قال المنذرى فى الترغيب : رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات ج ١ ص ٤٩٦ .

(٣) يريد تطهير ثيابه .

(٤) رواه البخارى ورواه مسلم بايجاز — هدية البارى ج ٢ ص ٢١٦ .

(٥) قال الهيثمى فى المجمع : رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه أحمد بن ثابت ويلقب [فرجونة] وهو ضعيف — ج ٢ ص ١٧١ .

(٦) اورده الحاكم فى المستدرك وزاد وعن أبى سلمة وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى فى التلخيص ج ١— ص ٢٨٣ . وأورد فى الفتح الكبير وقال رواه الامام أحمد فى مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد وأبى هريرة . ج ٣ ص ١٣٦ . وأخرج أحمد نحوه عن أبى أيوب الانصارى وأبى الدرداء .

ومنها تضعيف أجر الذاهب إليها بكل خطوة أجر سنة أخرج أحمد والاربعة والحاكم عن أوس بن (أبى) أوس الثقفى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من غسَلَ واغْتَسَل ثم بكَّر وابْتَكَر ، ومَشَى ولم يَرْكَبْ ودَنا من الإمامِ واستَمَعَ ولم يَلْغُ كان له بُكلِّ خطوةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها . وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — فى حديث « وإذا أخذ فى المشى إلى الجمعة كان له بكلِّ خطْوَةٍ عملُ عشرين سنةً »[1] وسنده ضعيف .

ومنها الامان من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها . أخرج أبو يعلى عن أنس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ ماتَ يومَ الجمعةِ وُقِىَ عذابَ القبْرِ »[2] وأخرج البيهقى فى كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد المخزومى قال : من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة خُتِم بخاتم الايمان ووُقِىَ عذابَ القبر .

ومنها أن للجماع فيه أجرين . أخرج البيهقى فى الشعب بسند ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « أيَعْجِزُ أحدُكم أن يجامِعَ أهلَه فى كل جمعةٍ ، فان له أجرين اثنين . أجرَ غُسْلِه وأجرَ غُسْلِ امْرأتِه »[3] . وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن مكحول أنه سئل عن الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران .

---

(١) ورد الحديث بلفظ [من اغتسل يوم الجمعة غفرت له ذنوبه وخطاياه وإذا أخذ فى المشى إلى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة . فاذا فرغ من صلاة الجمعة أجيز بعمل مائتى سنة] رواه الطبرانى فى الاوسط عن أبى بكر رضى الله عنه وفيه عباد ابن عبد الصمد . أبو معمر : ضعفه البخارى وابن حبان . مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٤ طبع القدسى .

(٢) اورده المتقى فى منتخب كنز العمال ولفظه [من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء] وقال : رواه أبو نعيم فى الحلية عن جابر — ج ٣ — ص ٢٨٦ — وانظر المقاصد الحسنة للسخاوى ففيه روايات مختلفة : ص ٤٢ .

(٣) قال فى الراموز : رواه البيهقى فى الشعب وضعفه والديلمى عن أبى هريرة ص ١٧٢ وقال فى شرح الراموز : له شواهد . ج ٢ — ص ٢٤٦ .

ومنها الأمان من فتنة القبر لمن مات يومها أوليلتها فلا يسأل فى قبره . أخرج الترمذى وحسنه والبيهقى وابن أبى الدنيا وغيرهم عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ إلا وَقاه اللهُ فِتْنَةَ القبرِ »[1] وفى لفظ « إلاّ برِئَ من فتنةِ القبر » وفى لفظ « إلاَّ وُقِيَ الفتنتان » قال الحكيم الترمذى وحكمته انكشف الغطاء عماله عند الله لان جهنم لا تسجر فى هذا اليوم وتغلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل فى سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبدا كان دليلا لسعادته وحسن مآبه فانه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر . لان سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن .

ومنها أنه مذكور فى القرآن ذكر تشريف دون سائر أيام الاسبوع . قال تعالى : ﴿ إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَومِ الْجُمُعَةِ ﴾ .

ومنها أنه الشاهد والمشهود فى الآية : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ وقد أقسم الله به .

ومنهاأنه اليوم المدخر لهذه الأمة . روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحنُ الاخِرونَ السابِقون يومَ القيامةِ بَيْدَ أنَّهُمْ أُوْتُوا الكِتابَ مِنْ قبلِنا وأُوتِيْنَاهُ مِنْ بعدهم ثم هذا يومُهم[2] الذى فَرَضَه الله عليهم فاختلفُوا فيه ، فهَدانا اللهُ لَهَ فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ اليهودُ غداً والنصارىٰ بعد غدٍ »[3] .

---

(١) قال المناوى فى الفيض : رواه الامام أحمد والترمذى من حديث ربيعة بن يوسف عن أبى عمرو اهـ . ولكن وصله الطبرانى فرواه من حديث ربيعة عن عياض بن عقبة عن ابن عمرو فذكره وهكذا أخرجه أبو يعلى والحكيم الترمذى متصلا وخرجه أبو نعيم من حديث جابر ج ٥ ــ ص ٤٩٩ .

(٢) وردت عدة روايات فى السنن للبيهقى وفى بعضها [هذا يومهم الذى افترض عليهم ج ٤ ص ١٧١ .

(٣) اورده النبهانى فى الفتح الكبير وقال : رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه ج ٣ ص ٢٦١ .

ولمسلم عن أبى هريرة وحُذيفة (رضى الله عنهما) قالا قال رسول الله ﷺ « أضَلَّ اللهُ عنِ الجمعةِ مَنْ كانَ قَبْلَنا فكان لليهودِ يومُ السبتِ وكان للنصارى يومُ الأَحَدِ فجاء اللهُ بنا فَهدانا (اللهُ) ليومِ الجمعة » .

شرف القائمين بالليل وفضلهم

ومن الشرف الذى أعده الله لهذه الأمة ذلك الثواب الكبير الذى أعده للقائمين المتهجدين بالليل وما خص به هذه العبادة الكريمة من مزايا ومناقب عظيمة نجملها فيما يأتى :

صلاة الليل هى أفضل الصلاة بعد الفريضة . روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أفضَلُ الصيامِ بعد رمضانَ شهرُ الله المحرَّمُ وأَفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليلِ .

وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : فَضلُ صلاةِ الليلِ على صلاةِ النهار كفضلِ صَدَقةِ السِرِّ على صَدَقةِ العَلانِية .

وروى الطبرانى عن سمرة رضى الله عنه قال : أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُصَلِّىَ من الليلِ ما قَلّ أو كثُرَ ونجعل آخر ذلك وترا .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : «إنّ رسول الله ﷺ كان يقُوم من الليل حتى تتفطَّر قدَمَاه — أى تتشقَّق وتَتورَّم — فقلتُ له : لِمَ تصنَعُ هٰذا وقد غُفِر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ؟ قال : أفلَا أُحِبّ أن أكون عبداً شكُوراً » .

ومَن واظب على قيام الليل يدخل الجنة بغير حساب روى البيهقى عن النبى ﷺ أنه قال : يُحشَر الناسُ فى صَعيدٍ واحدٍ يومَ القيامة فينُادِى مُنادٍ فيقول : أين الذين كانُوا تتجافَى جُنوبُهم عن المضَاجِعِ ؟ فَيقْدَمون وهم قليلٌ فيَدْخُلون الجنة بغير حسابٍ ثم يُؤْمَر بسائرِ الناس إلى الحساب .

وقيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفر للسيئات . روى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : عليكم بقيامِ الليل فانّه دَأْبُ الصالحِين قَبْلَكُم ، وقُربةٌ إلى ربِّكم ومَكْفرَةٌ للسيّئات ومَنْهاةٌ عن الاثم .

وقيام الليل صحة للجسد . روى الطبرانى عنه ﷺ أنه قال : عليكُم بقيامِ اللّيل فانّه دَأبُ الصالحين قبلكم ومَقربةٌ لكم إلىٰ رَبِّكم ومَكْفَرةٌ للسيّئاتِ ومَنهاة عن الاثمِ ومَطْردَةٌ للداءِ عن الجسَد .

ومن واظب على قيام الليل دخل غرف الجنة بسلام . روى الترمذى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : أَوَّلُ ما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ انجفَلَ الناسُ إليه ـــ أى أسرَعُوا إليه ـــ فكُنتُ فيمن جاءَه فلما تأمّلتُ وجْهَه واستَبنْتُه عَرفتُ أن وجهَه ليس بوَجهِ كذّابٍ . قال : فكانَ أوّلَ ما سمعتُ من كلامِه ﷺ أن قالَ : أيُّها الناسُ أفشوُا السلامَ وأَطْعِموا الطعام وصِلوُا الأرحامَ وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نِيَامٌ تدخلوا الجنة بسلام .

وروى الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : فى الجنّةِ غُرفةٌ يُرىَ ظاهرها من باطِنِها وبَاطِنُها من ظاهرهَا . فقال أبوُ مالكٍ الأشعرى : لِمَنْ هى يا رسولَ الله ؟ فقال : لمن أطابَ الكلامَ وأطعَم الطّعامَ وباتَ قائما والناس نِيَامٌ .

وروى ابن حبان وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسولَ الله إنّى إذَا رَأَيْتُكَ طابَتْ نفسى وقرّتْ عيني أَنْبِئْنى عن كل شىء فقال : كلُّ شيءٍ خُلِق من الماءِ . فقلتُ أخبِرْنى بشيءٍ إذا عملتُه دخَلتُ الجنة فقال ﷺ : أطعِمْ الطَّعامَ وأَفشِ السَّلام وصِلِ الأرحامَ وصَلّ بالليل والناسُ نِيامٌ تدخُلِ الْجَنَّةَ بسلامٍ .

وقيام الليل فيه شرف المؤمن فى الدنيا والاخرة . روى الطبرانى باسناد حسن عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : جاء جبريلُ إلى النبى ﷺ فقال : يا محّمدُ عِشْ ما شئتَ فانك ميّتٌ واعْمَلْ ما شئتَ فانك مَجزيٌّ به وأَحْبِبْ من

شئتَ فانك مُفَارقُه واعْلمْ أن شرفَ المؤمن قيامُه بالليل وعِزَّه إستِغناؤُه عن الناس .

روى البيهقى أن النبى ﷺ قال : أشرافُ أمتى حَملةُ القرآن وأصحابُ اللَّيلِ . أى قُوّامُ الليلِ .

ومن قام فصلى فى الليل لا يخيب . روى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما خيَّبَ اللهُ امرءاً قامَ فى جَوف الليلِ فافتتَح سُورةَ البقرة وآل عمران .

ومن قام يصلى فى الليل فقد تعرض لنفحات القرب الربانى . روى الترمذى عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : اقربُ ما يكونُ الرَبُّ من العبدِ فى جَوفِ الليل الآخِر فإن استطعتَ أن تكونَ ممن يَذكرُ اللهَ تعالىٰ فى تلك الساعةِ فكُنْ .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : يَنزِلُ رَبُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يَبقَى ثلثُ الليل الآخِرُ فيقولُ : مَن يَدعُونى فأَستْجيبَ له ؟مَنْ يَسأَلُنى فأُعطِيَهُ ؟ من يَستغفِرُنى فأغفِرَ له ؟ .

وقائم الليل يكتب فى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات . روى أبو داود عن أبى هريرة وأبى بن كعب رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : إذَا أيقظ الرجلُ أهلَه من الليل فصلَّياَ أو صلَّى ركعتَيْن جميعاً كُتِبا من الذاكِرين والذاكِراتِ .

ومن قام الليل وأيقظ أهله للصلاة فى الليل وجبت لهما الرحمة وثبت لهما المغفرة . روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله رجُلًا قام من الليلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَه فإنْ أبَتْ نَضَح ـــ أى رشَّ ـــ فى وجهِها الماءَ ورحم الله امرأةً قامتْ فى اللَّيلِ فصلَّتْ وأيقظَتْ زوجَها فان أبى نَضحَتْ فى وَجهِه الماءَ .

وروى الطبرانى عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما مِن رجلٍ يَستيقظُ من الليلِ فيُوقِظُ إمْرَأَته فإنْ غلبهَا النَّوْمُ نضَح فى وَجهها الماءَ فيقُومان فى بيتِها فيذكران اللهَ عز وجل ساعةً من الليل إلا غُفِرَ لها .

وروى الحاكم وصححه عن أبى عبيدة رضى الله عنه قال : قال عبد الله بن سلام : مكتوبٌ فى التوارةِ : لقد أعدَّ اللهُ للذين تتجافَى جُنوبُهم عن المضَاجع ما لم تَرعَينّ ولم تَسمعْ أذنٌ ولم يَخطُرْ على قلبِ بشرٍ ولا يَعلمه ملَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبىٌّ مُرْسَلٌ . قال عبد الله : ونَحنُ نقرؤُها ــ أى القرآنَ الكريم ــ : ﴿ فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية .

ومن فضائل صلاة الليل أن المشتغل بقراءة القرآن فيها موفّق توفيقا عظيما يغبطه عليه كل من عرف فضله وشرفه وأنه يدخل فى هذ الفضل العظيم كل من شارك فى هذا الخير ولو بقراءة عشر أيات إذ يمحى عنه بها إسم الغفلة فلا يكتب فى ديوان الغافلين فان أكثر من القراءة وأطالها إرتفع إلى مقام القانتين فاذا زاد إرتفع إلى ديوان المقنطرين والقنطار كجبل أُحد .

روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسَدَ إلّا فى إثْنَيْنِ رَجُلٌ آتاه اللهُ القرآنَ فهو يَقوُم به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يُنفِقه آناءَ الليل وآناءَ النهارِ » .

وروى أبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قامَ بعشر آياتٍ لم يُكتَبْ من الغافِلين ، ومن قام بمائةِ آيةٍ كُتِب من القانِتين ، ومن قام بألفِ آيةٍ كُتِب من المُقنطِرين » . وروى الطبرانى عن النبى ﷺ قال : « من قرأ عشرَ آيات فى ليلةٍ كُتب له قِنطارٌ ، والقِنطارُ خيرٌ من الدنيا وما فيها فاذا كان يومُ القيامة يقول ربُّك عز وجل : إقْرأْ وَارْقَ بكلِ آيةٍ درجةً حتى يَنتهىَ إلى آخِرِ آيةٍ معه . يقول الله عز وجل للعبدِ : اقبِضْ ، فيقولُ العبدُ بيدِه : ياربِّ انتَ أَعْلَمُ يقولُ : بهٰذه الخُلد وبهٰذه النَّعِيم » .

وروى الطبرانى عن النبى ﷺ قال : « من قرأ عشْرَ آياتٍ فى لَيلةٍ لم يُكْتَبْ من الغافِلين ، ومن قرأ مائةَ آيةٍ كُتِب له قُنوتُ ليلةٍ ومَن قرأ مِائَتَىْ آيةٍ كُتِب من القانِتين ، ومَن قرأ أربعَمِائةِ آيةٍ كُتِب من العابِدين ومن قرأ خَمْسمائةِ آيةٍ كُتِبَ من الحافِظين ، ومن قرأ ستَّمائةِ آيةٍ كُتِب من الخاشِعين ومن قرأ ثَمانَمائة آية كُتِب من المُخْبِتين ، ومن قرأ الفَ آية أصْبَحَ له قِنطارٌ ، والقنطارُ الفٌ ومائتا أُوقيةٍ ، والأوقيةُ خيرٌ مما بَين السماءِ والأرض — أو قال : خيرٌ مما طَلَعتْ عليه الشّمسُ — ومن قرأ الفَىْ آيةٍ كان من المُوجِبين » .

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب لمن نام طاهرا ناويا القيام .

فمن ذلك أنه يبيت يجاوره ملك الرحمة يدعو له بالمغفرة والحفظ قال ﷺ : من بات طاهراً باتَ فى شعاره مَلَكٌ فلا يستيقظُ إلّا قال الملك : اللهم اغْفِرْ لعبدِك فلانٍ فانّه باتَ طاهِراً[1] .

وفى رواية : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال : طَهِّرُوا هٰذه الأجْسادَ طَهَّرَكُم اللهُ فانّه ليس من عبدٍ يَبيتُ طاهِراً إلا باتَ معه فى شِعاره ملَكٌ ، لا يَتقلَّب ساعةً من الليلِ إلا قال : اللهم اغفِرْ لعبدِك فانّه باتَ طاهِراً[2] .

ومن ذلك أنه تستجاب دعوته إذا قام من ليلته تلك . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ما مِنْ مسلمٍ يَبيتُ طاهِراً فيتَعارٌ من الليلِ فيسألُ اللهَ خيراً من أمر الدنيا والاخرة إلا أعطاه الله إيّاه[3] .

وفى رواية عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .
الشعار بكسر الشين المعجمة : هو ما يلى بدن الانسان من ثوب وغيره .
(٢) رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد جيد .
(٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

يقول : من أوىٰ إلى فِراشِه طاهراً يذكُر اللّه حتى يُدرِكَه النُّعاسُ لم يَنقلبْ ساعةً من الليلِ ، يَسْأَلُ اللّه خيراً من خيرِ الدنيا والآخرةِ إلا أُعْطاهُ إيّاه (١) .

ومن ذلك أن له ثواب قيام تلك الليلة ولو غلبت عيناه ، ولم يقم ، يقول ﷺ : ما مِن إمْرِىءٍ تَكوُن له صَلاةٌ بلَيلٍ فيغَلِبهُ عليها نومٌ إلا كتَبَ اللّهُ لهُ أجرَ صلاتِهِ . وكان نومُه علَيه صدَقةً (٢) .

وفى رواية : كان نومُه صدقةً عليه من ربّه (٣) .

وفى رواية : يقول ﷺ : ما من عَبدٍ يُحَدِّثُ نفسَه بقيامِ سَاعةٍ من الليلِ فينامُ عنها إلا كانَ نومُه صدَقَةً تصدَّق اللّهُ بها عَليه ، وكَتَب له أجْرَ ما نَوٰى (٤) .

فضل المحافظة على ثنتى عشرة ركعة من السنن والرواتب

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الفضل والثواب على فعل النوافل .

والحكمة فى شرعية النوافل تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص كما ثبت فى الحديث فى سنن أبى داود وغيره ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة ولهذا يستحب أن يفتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين .

وقد جاء فى فضلها مزايا كثيرة ومناقب عظيمة

فمنها : أن من حافَظ على ثِنتَىْ عشرةَ ركعةً فى اليومِ والليلةِ بنى اللّهُ له بيتاً فى الجنَّةِ . وفى رواية : دخلَ الجنَّةَ .

---

(١) رواه الترمذى عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة وقال : حديث حسن .

(٢) رواه مالك وأبو داود والنسائى .

(٣) رواه النسائى باسناد جيد وابن خزيمة .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه مرفوعا ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه موقوفا لم يرفعه .

عن أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبدٍ مسلمٍ يُصَلِّى لله تعالى فى كلِّ يومٍ ثِنتَىْ عشرةَ ركعةً تطوُّعاً غيرَ فريضةٍ إلَّا بَنى اللهُ تعالى لهُ بَيْتاً فى الجنَّةِ ، أو إلّا بُنِىَ له بيتٌ فى الجنَّةِ(١) .

أربعاً قبلَ الظهرِ وركعتين بعدَها وركعتين بعدَ المغربِ وركعتين بعدَ العشاءِ ، وركعتين قبلَ صلاةِ الْغَداةِ(٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من ثابَرَ علىٰ ثِنْتَىْ عشرةَ ركعةً فى اليومِ والليلةِ دخلَ الجنَّةَ : اربعاً قبلَ الظهرِ وركعتين بعدَها وركعتين بعدَ المغربِ وركعتَيْنِ بعدَ العشاءِ وركعتين قبلَ الفجْرِ(٣) .

ومن ذلك أن ركعتى الفجر خير من الدنيا وما فيها .

عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : ركعتا الفجْرِ خيرٌ من الدنيا وما فيها(٤) . وفى رواية لمسلم : لَهُمْا أَحَبُّ إلَىَّ من الدنيا جميعا .

قوله خير من الدنيا : أى من متاعها وزهرتها لأنّ ثوابها باق . والاضطجاع سنة بعد الفجر لقوله ﷺ : إذا صلَّى أحدُكم ركْعتَيِ الفجرِ فليضْطَجِعْ على يمينهِ .

وركعتا الفجر فيهما فضيلة عظيمة وثواب جليل . روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رجلٍ يا رسولَ الله : دُلَّنى علىٰ عملٍ ينفَعُنى الله به . قال : عليك بركعتَيِ الْفجرِ فإنَّ فيهما فضيلةً(٥) .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وأبو داود .

(٢) ورواه بالزيادة ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم إلا أنهم زادوا : وركعتين قبل الظهر وركعتين أظنه قبل العصر ،ووافق الترمذى على الباقى .

(٣) رواه النسائى وهذا لفظه والترمذى وابن ماجه .

(٤) رواه مسلم والترمذى .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير .

وفى رواية له أيضا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تَدَعوا الرَّكعتَيْنِ قبلَ صلاةِ الفجْرِ فانَّ فيهما الرَّغائبَ . وروى أحمد منه : وركعتَيِ الْفجرِ حافِظوا عليهما فانَّ فيهما الرَّغائبَ .

قوله : فان فيهما الرغائب : أى ما يرغب فيه من الثواب العظيم ، وبه سميت صلاة الرغائب ، واحدتها رغيبة .

وركعتا الفجر فيهما الغنيمة كل الغنيمة وهما رأس المال : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « قُلْ هو الله أحدٌ تَعْدِلُ ثلثَ القرآنِ وقُلْ يا أيها الكافرون تعدِلُ رُبعَ القرآن وكان يقرؤُهما فى ركعتيِ الْفجرِ وقال : هاتان الركعتان فيهما رُغَبُ الدُّرِّ »(١) .

والمعنى والله أعلم ، أن هاتين الركعتين يرغب الإنسان فيهما كما يرغب فى جمع الدر ويود منه شيئا كثيرا ويطمع فى وفرته ويميل إلى كثرته وأن ركعتى الفجر أولى من الحرص عليه لأن ثوابها أبقى وأجل فائدة فالدر فانٍ ومتاع الدنيا قليل ومتاع الاخرة نعيم مقيم .

ولذلك جاء أن النبى ﷺ كان يحافظ عليهما محافظة شديدة ، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : لم يكُنِ النَّبِىُّ ﷺ على شَيْءٍ من النوافل أشدَّ تعاهداً منه على ركعتَيِ الفجْرِ(٢).. وفى رواية لابن خزيمة قالت : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ إلى شيءٍ من الخير أَسْرَعَ منه إلى الركعتين قبل الفجر ولا إلى غنيمةٍ .

وكان يوصى بهما . يقول أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه: أوصانى خليلى بثلاثٍ : بصومِ ثلا ثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ والوِتْرِ قبلَ النومِ وركعتى الفجرِ(٣) .

---

(١) رواه أبو يعلى باسناد حسن والطبرانى فى الكبير واللفظ له .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد جيد وهو عند أبى داود وغيره خلا قوله وركعتى الفجر . وذكر مكانهما : ركعتى الضحى .

وكان ينهى عن تركهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تَدَعُوا ركعتَي الفجْرِ ولو طَرَدَتْكُمُ الخيلُ[1] .

ومن ذلك فضل الصلاة قبل الظهر وبعدها وان من واظب عليها حرم الله جسده على النار .

قال ﷺ : من يحافِظْ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ وأربعٍ بعدَها حرَّمَ اللهُ جسَدَه على النار[2] .

وفي رواية : أَرْبَعٌ قبل الظُّهرِ ليَس فيهن تسليمٌ تُفْتَحُ لَهُنَّ أبوابُ السماءِ[3] .

وفي رواية : أنها تفتح لها أبوابُ السماءِ فلا يُغْلَقُ منها بابٌ[4] .

وهذه الصلاة كان يحافظ عليها سيدنا رسول الله ﷺ ويطيل فيها القيام . ويقول . أُحِبُّ أن يُصْعَد لي في هذه الساعةِ عملٌ صالحٌ[5] .

ومن فضائل هذه الأربع الركعات أنه كان يحافظ عليها الانبياء عليهم الصلاة والسلام . رُوِي عن ثوبانَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ كان يَسْتَحِبُّ أن يصلِّيَ بعد نصف النهار فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسولَ الله . إني أَراك تَسْتَحِبُّ الصلاةَ هذه السَّاعَةَ ؟ قال : تُفْتَحُ فيها أبوابُ السماءِ ويَنْظُر اللهُ تبارك وتعالى بالرحمةِ إلى خلْقِه وهي صلاةٌ كان يحافِظُ عليها آدمُ ونوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسىٰ صلوات الله عليهم[6] .

ومن فضائل هذه الصلاة أن المحافظ عليها ينال ثواب تهجد ليلته تلك ، روى عن البَراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : مَنْ صَلَّى قبلَ الظهرِ أربعَ

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي .

(٣) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه .

(٤) رواه الطبراني في الكبير والاوسط .

(٥) رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن غريب .

(٦) رواه البزار وسنده ضعيف .

ركَعاتٍ كأنما تَهجَّد بِهِنَّ من ليلته ومن صلّاهُنَّ بعدَ العشاءِ كمِثْلِهِنَّ من ليلةِ القدْرِ[1] .

وفى رواية : عن عبد الرحمن بن حميد رضى الله عنه عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : صلاةُ الهَجيرِ مثلُ صلاةِ الليلِ . قال الراوى : فسألت عبد الرحمن بن حميد عن الهجير ؟ فقال : إذا زالت الشمس[2] .

وفى رواية : عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أربعٌ قبل الظهرِ وبعدَ الزوالِ تُحْسَبُ بمثِلهن فى السَّحَرِ وما من شيءٍ إلا وهو يسبِّحُ الله فى تلك الساعة ، ثم قرأ : ﴿ يَتفَيَّؤُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِيْنِ وَالشَّمائِلِ سُجَّداً لِلهِ وَهُمْ داخِرُونَ[3] .

ومن فضائل هذه الصلاة أن من صلاها كان كمن أعتق رقبة من بنى إسماعيل . عن بشير بن سليمان عن عمرو بن الانصارى رضى الله عنه عن أبيه عن النبى ﷺ قال : مَنْ صَلَّى قبلَ الظُّهرِ أربعاً كان كعَدْلِ عِتْقِ رقبةٍ من بنى اسماعيل[4] .

وهذه الصلاة هى أفضل صلاة النهار ، عن الأسود ومرة ومسروق رضى الله عنهم قالوا : قال عبد الله : ليس شىءٌ يعدِلُ صلاةَ الليل من صلاة النهارِ إلا اربعاً قبلَ الظهرِ وفَضْلُهُنَّ على صلاةِ النهار كفضْلِ صلاةِ الجماعةِ على صلاة الواحدة[5] .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الصلاة قبل العصر ، فقد دعا له ﷺ بالرحمة فقال : ﴿ رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قبلَ العصْرِ اربعاً[6] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الاوسط وسنده ضعيف .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير . وفى سنده لين وجد عبد الرحمن هذا هو عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه .

(٣) رواه الترمذى فى التفسير من جامعه وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن عاصم .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته إلى بشير ثقات .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير وهو موقوف لا بأس به .

(٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان فى الصحيح .

وجاء أن من حافَظَ عليها بَنٰى الله له بيتاً فى الجنَّةِ[1] .

وجاء أن من حافَظَ عليها حرَّمَ اللهُ بدَنَه على النارِ[2] .

وفى رواية : لم تَمسَّه النارُ[3] .

وجاء أن من حافَظَ عليها فهو من الْمَغْفُورِ لَهُمْ[4] .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الصلاة بين المغرب والعشاء

١ ــ أنها تساوى ثواب ثنتى عشرة سنة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ صَلَّىٰ بعدَ المغربِ سِتَّ ركَعاتٍ لم يتَكَلَّمْ فيما بينهُنَّ بسوءٍ عَدَلْنَ بعبادةِ ثِنْتَىْ عشرةَ سنةً[5] .

٢ ــ ان من حافظ عليها بنى الله له بيتا فى الجنة . روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : من صَلَّى بعد المغربِ عشرين ركْعةً بنىٰ اللهُ له بيتاً فى الجنَّةِ[6] .

٣ ــ أنها سبب مغفرة الذنوب ، عن محمد بن عمار بن ياسر رضى الله عنهم قال : رأيت عمار بن ياسر يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : رأيت حبيبى رسول الله ﷺ يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : مَنْ صَلَّى بعدَ المغربِ سِتَّ ركَعاتٍ غُفِرَتْ له ذنوبُه وإن كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البحْرِ[7] .

٤ ــ أن هذه الصلاة ترفع فى عليين ، عن مكحول رضى الله عنه يبلغ به

---

(١) رواه أبو يعلى .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) رواه الطبرانى فى الاوسط .

(٤) رواه الطبرانى فى الاوسط وهو غريب .

(٥) رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والترمذى كلهم من حديث عمر بن أبى خثعم عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عنه وقال الترمذى حديث غريب .

(٦) وهذا الحديث الذى أشار اليه الترمذى رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدائنى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

(٧) حديث غريب رواه الطبرانى فى الثلاثة وقال : تفرد به صالح بن قطن البخارى .

النبى ﷺ قال : من صَلَّى بعد المغرِب قبل أن يتكَلَّمَ رَكعتَين — وفى رواية — أربعَ ركَعاتٍ رُفِعَتْ صلاتُه فى علّيِّينَ[1] .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الصلاة بعد العشاء . فقد جاء أنها تساوى ثواب من صلاها ليلة القدر .

روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أربعٌ قبلَ الظهرِ كأربعٍ بعدَ العشاءِ . وأربعٌ بعد العشاءِ كَعَدْلِهِنَّ من ليلةِ القدْرِ[2] .

وقوله كعدلهن : أى كمثل ثواب ومقدارهن .

وقوله من ليلة القدر : يريد النبى ﷺ أن يبين أن صلاة أربع ركعات بعد صلاة العشاء تساوى ثواب صلاة أربع ركعات ليلة القدر . والركعة فيها تساوى ثواب الف ركعة فى غيرها ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أى العمل فيها يضاعف الله ثوابه ألف ضعف من ذكر وتسبيح وتحميد . وهكذا من أعمال البر يزداد أجرها ويعظم خيرها وتفتح لها أبواب القبول .

وفى رواية فى الكبير من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : مَنْ صَلَّى العشاءَ الآخِرةَ فى جماعةٍ وصَلَّى أربعَ ركَعاتٍ قبل أن يخْرُجَ من المسجدِ كان كعِدْلِ ليلةِ القدْرِ .

ومن ذلك ما جاء فى المحافظة على صلاة الوتر وانه ينال أجر من مات في سبيل الله .

فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من صَلَّى الضُّحى وصام ثلاثةَ أيامٍ من الشهرِ ولم يَتْرُكْ الوتْرَ فى سفرٍ ولا حضرٍ كُتِبَ له أجرُ شهيدٍ[3] .

ومن فضائل الوتر أن الله سبحانه وتعالى يحبه . فمن أتى به فقد أتى بما يحبه الله .

(١) ذكره رزين ولم أره فى الاصول .

(٢) رواه الطبرانى فى الاوسط .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه نكارة .

فعن علي رضى الله عنه قال : الوتر ليس بحَتْم كصلاة المكتوبة ولكن سنّه رسول الله ﷺ . قال : إن اللهَ وتْرٌ يحِبُّ الوترَ فأَوتِروُا يا أهلِ القرآنِ[١] .

وصلاةُ الوترِ امَدَّنا اللهُ تعالى بها وهى خيْرٌ لنا من حُمُرِ النَّعَمِ[٢] .

ولذلك حذر ﷺ من تركه وتبرأ من تاركه بقوله : الوترُ حقٌّ فمَنْ لم يوتِرْ فليسَ مِنّا . الوترُ حقٌّ فمن لم يوتر فليس منا . الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا . ثلاثاً[٣] .

وقد بلغت العناية من سيدنا رسول الله ﷺ بالوتر أنه أمر من خاف أن لايقوم فى أخر الليل أن يقدمه فى أول الليل . كما جاء عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من خاف ان لا يقومَ من آخرِ اللَّيلِ فلْيُوتِرْ أوَّلَه ومن طمِعَ أن يقومَ آخرَهُ فليوتِرْ آخرَ الليلِ فانَّ صلاةَ آخرِ الليلِ مشهودَةٌ وذلك أفضلُ[٤] .

فضائل صلاة النافلة فى البيت

ومن فضائل الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى جعل لها الثواب الكبير على صلاة النوافل فى البيوت .

فمن ذلك أن الصلاة فى البيت نور : قال رسول الله ﷺ : أماَّ صلاةُ الرجلِ فى بيتِهِ فنورٌ ، فنوِّروا بيوتَكمُ .

ومعناه أنها ضياء القلوب لتخشع لله فى خلوتها وخلاء عن الغفلة وانشراح

---

(١) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له . والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه وقال الترمذى : حديث حسن .

(٢) كذا يقول ﷺ فيما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

(٣) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له . وفى اسناده عبيد الله ابن عبدالله أبو المنيب العتكى . ورواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٤) رواه مسلم وابن ماجه والترمذى وغيرهم .

(٥) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

بين العبد وربّه يناجيه خاليا من المظاهر فيشعر بجلال الله وعظمته ويقف ذليلا أمام المعطى سبحانه فينشرح صدره بالايمان والمناجاة وقد أمر ﷺ المسلمين أن يصلوا النافلة فى البيت لترفرف على المصلى رحمة الله ، ولتعمه أنواره الوضاءة وليشعر كل من فى البيت بخوف الله تعالى . وأنه جدير بالثناء عليه والشكر له على ما أسبغ عليهم بنعمه .

قال ﷺ : إذا قَضى أحدُكم الصلاةَ فى مسجدِه فليَجْعَلْ لبيتِه نصيباً من صلاتِه فان اللهَ جاعِلٌ فى بيتِه من صلاتِه خيراً[1] .

وقد شبه ﷺ البيت الذى فيه طاعة الله وذكره وعبادته وتسبيحه وقراءة القرآن فيه وأنه ملجأ الصالحين أنه حى مملؤ عمرانا ومحاط بالسعادة والسعة والرضا . أما البيت الذى خلا من ذكر الله فمقفر وخاو وخرب وإن عمره أهله فلا فائدة فى وجودهم وعليه شارةالغضب ويحوطه السخط والعصيان ويسرح ويمرح فيه الشيطان ويبيت فيه . قال النبى ﷺ : مَثلُ البيتِ الذى يُذكَرُ اللهُ فيه والبيتُ الذى لا يُذْكَرُ الله فيه مَثَلُ الحىِّ والميتِ[2] .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه : سألتُ رسول الله ﷺ أيُّما أفضل : الصلاةُ فى بيتى أو الصلاةُ فى المسجد ؟ قال : الا ترىٰ إلى بيتى ما أَقْرَبَه من المسجدِ فلَأَنْ أُصَلِّىَ فى بيتى أحبُّ إليَّ من أن أصَلِّىَ فى المسجدِ إلا أن تكونَ صلاةٌ مكتوبةٌ[3] .

وقد أمر ﷺ باكرام البيوت فقال : اكْرِموا بيوتَكم ببعضِ صلاتكم[4] .

وفضلُ صلاةِ الرجلِ فى بيتِه على صلاتِه حيث يراه الناسُ كفضلِ الفريضةِ على التطوُّعِ[5] .

---

(١) رواه مسلم وغيره ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من حديث أبى سعيد .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه .

(٤) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(٥) رواه البيهقى باسناد جيد .

ومعناه : أن صلاة النافلة أمام الناس مظنة الرياء ومدح الناس إياه انه عابد ناسك . ولكن فى البيت أدعى إلى رحمات الله وأبعد عن ظنون النفاق وأعين الرائين المداحين إلا المفروضة ، فتؤدى فى المسجد جماعة كما اراد ﷺ ويصلى الإنسان فى بيته ما شاء من النوافل بتؤدة وطمأ نينة ، والفريضة أكثر ثوابا من النافلة ، وحسناتها مضاعفة وأجرها جزيل .

فضل الجلوس فى المصلى بعد صلاة الصبح والعصر

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعل الله سبحانه وتعالى من الثواب لمن جلس فى المصلى بعد صلاة الصبح .

فمن ذلك أن من صَلَّىٰ الصبْحَ فى جماعةٍ ثم قعَد يذكُرُ اللهَ حتى تطلُعَ الشمسُ ثم صَلَّىٰ ركعتين كان له كأجْرِ حجَّةٍ وعمرةٍ تامّةٍ تامةٍ تامة(1) . هكذا كررها ﷺ ثلاث مرات .

وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر لم يقُمْ من مجلِسه حتى تُمْكِنَهُ الصلاةُ وقال : من صَلَّىٰ الصبحَ ثم جلَس فى مجلسِه حتى تُمكِنَه الصلاةُ كان بمنزلة عمرةٍ وحجة مُتَقَبَّلَتين(2) .

وفى رواية عن عبد الله بن غابر أن أمامة وعتبة بن عبد رضى الله عنهما حدثاه عن رسول الله ﷺ قال : من صَلَّىٰ صلاةَ الصبحِ فى جماعةٍ ثم ثَبتَ حتى يُسَبِّحَ لِلهِ سُبْحَةَ الضُّحى كان له كأجر حاجّ ومُعْتَمرٍ تامًّا له حجةٌ وعمرةٌ(3) .

ومن ذلك أن من جلس من بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ينال من الثواب مالا يخطر بباله . فهو كأنه أعتق أربع رقاب وكأنه أنفق فى سبيل الله إثنى عشر ألفا .

---

(1) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(2) رواه الطبرانى فى الاوسط ورواته ثقات إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام .

(3) رواه الطبرانى وبعض رواته مختلف فيه وللحديث شواهد كثيرة .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَأَنْ أقعُدَ مع قومٍ يذكرون الله تعالى من صلاةِ الغداةِ حتى تطلُعَ الشمسُ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أن أُعْتِقَ أربعةً من ولدِ إسماعيلَ ولَأَنْ أقعُدَ مع قومٍ يذكُرونَ الله من صلاة العصْرِ إلى أن تَغْرُبَ الشمسُ أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُعتِق أربعةً[1] . قال فى الموضعين : أحبُّ إليَّ من أن أُعْتِقَ أربعةً من ولدِ إسماعيلَ دِيَةُ كلِّ واحدٍ منهم اثنا عشر ألْفاً[2] .

وفى رواية عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :لَأَنْ أقعُدَ اذْكُرُ الله تعالى وأُكَبِّرُهُ وأحمدُه وأسبِّحهُ وأُهَلِّلُه حتى تطلُعَ الشمسُ أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتِقَ رقَبتين من وَلد إسماعيل ، ولَأَنْ أَقْعُدَ بعدَ العصرِ حتى تغرُبَ الشمسُ احبُّ إليَّ من أن أعتِقَ أربعَ رقَباتٍ من ولدِ إسماعيلَ[3] .

ومن ذلك أنه تغفر خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .

قال رسول الله ﷺ : من قعَد فى مصلاه حين ينصرِفُ من صلاة الصبح حتى يُسَبِّحَ ركعتى الضُّحىٰ لا يقولُ إلا خيراً غُفِرَتْ له خطاياه وان كانتْ أكثَرَ من زَبَدِ الْبحْرِ[4] .

ومن ذلك أنه يستحق دخول الجنة لما جاء فى الحديث ، من صَلَّـى صلاة الفجر ثم قعَدَ يذكُر الله حتى تطلُعَ الشمسُ وجبَتْ له الجنَّةُ[5] .

ومن ذلك انه لا تمس جلده النار لما روى عن أبى أمامة رضى الله عنه يرفعه قال : من صَلَّـىٰ الفجْرَ ثم ذكَرَ الله حتى تطلُعَ الشمسُ ثم صَلَّـىٰ ركعتين أو أربعَ ركعاتٍ لم تَمسَّ جلدَه النارُ وأخذ الحسن بجلده فمده[6] .

---

(١) رواه أبو داود وأبو يعلى .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا بالشطر الأول إلا أنه قال : أحب الي مما طلعت عليه الشمس .

(٣) رواه أحمد باسناد حسن .

(٤) و (٥) رواهما أحمد وأبو داود وأبو يعلى .

ومعنى يسبح ركعتى الضحى : اى يصلى .

وزبد البحر : رغواته وفقاقيعه .

(٦) رواه البيهقى .

ومن ذلك أنه لا يقوم من مصلاه إلا وصحائفه نقية قد غفر الله له .

روى عن عمرة رضى الله عنها قالت : سمعت أم المؤمنين تعنى عائشة رضى الله عنها ـــ تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ صلَّى الفجرَ أو قال : الغَداةَ فقعدَ فى مقْعَدِه فلم يَلْغُ بشيءٍ من أمر الدنيا ويذكُرُ اللهَ حتى يصلِّيَ الضحى أربعَ ركَعاتٍ خرجَ من ذنوبِه كَيَوْمَ ولَدته أمُّه لاذنْبَ له[1] .

ومن ذلك أنه ينال من الثواب أكثر وأعظم مما يناله من رحاب الاعداء وفاز بالظفر وانتصر وكسب المغانم .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعث بعْثاً قِبَلَ نَجْدٍ فَغَنِمُوا غنائِمَ كثيرةً وأسْرَعُوا الرَّجْعة فقال رجل منا لم يخرج : ما رأينا بعْثاً أسْرَعَ رجْعةً ولا أفْضلَ غنيمةً من هذا البعْثِ فقال النبى ﷺ : الا أَدُلُّكُمْ على قومٍ أفضلَ غنيمةً وأسرع رجعةً قومٌ شهِدوا صلاةَ الصبْحِ ثم جلَسوا يذكُرُون اللهَ حتى طلَعتِ الشَّمسُ أولئك أسرَعُ رجعْةً وأفضلُ غنيمةً[2] .

ومن ذلك أن مَنْ قال فى دبرِ صلاةِ الفجرِ وهو ثانٍ رِجْلَيْهِ قبل أن يتَكلَّمَ : لا اله إلا الله وحدَهُ لا شريك له . له الملك وله الحمد يُحْيى ويُمِيْتُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ عشر مَرات كَتب اللهُ له عشرَ حَسناتٍ ومحا عنه عَشْرَ سيئاتٍ ورَفع له عشرَ درَجاتٍ وكان يومَه ذلك كلَّه فى حِرْزٍ من كلِّ مكروهٍ وحَرَسٍ من الشيطانِ ولم يَنْبَغِ لذنبٍ أن يُدْرِكَه فى ذلك اليومِ إلا الشركُ بالله تعالى[3] .

---

(١) رواه أبو يعلى واللفظ له والطبرانى .

(٢) رواه الترمذى فى الدعوات من جامعه ورواه البزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه . وذكر البزار فيه أن القائل ما رأينا : هو أبو بكر رضى الله عنه وقال فى آخره : فقال النبى ﷺ ياأبابكر ألا ادلك على ما هو أسرع إيابا وأفضل مغنما مَن صلى الغداة فى جماعة ثم ذكر الله حتى تطلع الشمس .

(٣) رواه الترمذى واللفظ له وقال : حديث حسن غريب صحيح . والنسائى وزاد فيه : بيده الخير ، وزاد فيه أيضا : وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة . ورواه النسائى أيضا من حديث معاذ وزاد فيه : من قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك فى ليلته .

وفى رواية : أن من قال هذا الذِّكْرَ عشرَ مرّاتٍ بعد المغربِ بعَثَ اللهُ له مَسْلَحَةً يحفظونَه من الشيطانِ حتى يُصْبِحَ وكتَبَ اللهُ له بها عشرَ حسناتٍ موجِباتٍ ، ومحا عنه عشرَ سيئاتٍ موبقاتٍ ، وكانت له بَعْدُ عشرُ رقباتٍ مؤمناتٍ [1] .

وفى رواية : بزيادة « بيدِه الخيرُ » بعد قوله « ولهُ الحمدُ » .

وفى رواية : وكان له بكل مَرَّةٍ عتق رقبةٍ من ولد إسماعيل ثمنُ كل رقبةٍ اثنا عشر الفا .

وفى رواية أن من قال ذلك مائَة مرةٍ كان يومَئذ مِنْ أفْضَلِ أهلِ الارض عملا إلا من قال مثلَ ما قال أو زاد على ما قال[2] .

وهذه الاحاديث تفيد أن بركة هذا الذكر ينالها المسلم بشرط أن يأتى به بعد صلاة الصبح والمغرب مباشرة وقبل أن يتكلم وهو جالس جلوس الصلاة فإذا أتى بهذه الشروط فان الله تعالى تكفل له ان يعطيه سبع فوائد .

أولا : كتابة حسنات : ثانيا : محو سيئات : ثالثا : زيادة درجات : رابعا : ثواب العتق : خامسا : الحفظ من الشيطان : سادسا : السلامة من المصائب : سابعا : التنقية من العيوب والنجاة من العذاب .

فالذى يحافظ على قراءة هذا الورد كل يوم ، يتكرم الله عليه بزيادة حسنات مضاعفة ، وإزالة سيئات ماحقة ، وتحصن من المصائب ، ووقي شر الحوادث وبعد عن المكاره والوسواس الخناس ، فلا يجد الشيطان له فرصة يغويه ويضله ، هذا إلى سلامته من كل الذنوب مدة يومه إلا إذا ألحد وأشرك بربه أحدا وهذا عمل يسير به ينال فضل الله الكبير .

ومن ذلك أن من قال بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات :

---

(١) رواه النسائى والترمذى .

(٢) رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد جيد . وهو عند أحمد بنحوه ورجاله رجال الصحيح .

أستغفِرُ اللهَ الذى لا اله إلا هو الحىَّ القيومَ واتوبُ إليه كفِّرَتْ عنه ذنوبُه وإن كانتْ مثلَ زَبَد البحرِ[1] .

صلوات مخصوصــة

١ ــ فضل صلاة الضحى .

ومن الشرف الذى جعله الله لهذه الأمة ما أعده من الثواب الجزيل ووعد به من الخير على صلاة الضحى والاستخارة وصلاة الحاجة وركعتى الوضوء وصلاة التسبيح .

صلاة الضحى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصَانى خليلى ﷺ بصيامِ ثلاثةِ أيّامٍ من كلِّ شهرٍ وركعتَيِ الضُّحى وأن أُوْتِرَ قبلَ أن أَرْقُدَ[2] .

وفضائل صلاة الضحى كثيرة نذكر جملة منها :

١ ــ بها يغفر الله تعالى الذنوب . روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من حافَظَ على شُفْعَةِ الضُّحى ــ أى ركعتيِ الضُّحى ــ غُفِرَتْ ذنوبُه وإن كانتْ مثلَ زَبَد البحرِ .

وروى ابو يعلى أن النبى ﷺ قال : من قامَ إذا استَقْبَلَهُ الشمسُ أى بعد طلوعها وارتفاعها ــ فتوضَّأً فأحسَنَ وُضوءَه ثم قام فَصَلَّى ركعتين غُفِرَتْ له خطاياه كما ولَدَتهْ أُمُّه .

٢ ــ بها يكون من الاوابين ــ روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يحافِظُ على صلاةِ الضحى إلا أَوّابٌ . قال : وهى صلاةُ الأوّابِيْنَ . ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

٣ ــ بها ينال أجر المعتمر . روى أبو داود عن أبى أمامة رضى الله عنه أن

---

(١) رواه ابن السنى فى كتابه .
(٢) رواه الشيخان .

رسول الله ﷺ قال : من خرَج من بيتِه مُتطَهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ ـــ أى مفروضة يصليها فى المسجد ـــ فأجْرُهُ كأجرِ الحاجِّ المحْرِمِ . ومن خرَج إلى تسبيح ـــ أى صلاة الضحى ـــ لا يَنْصِبُهُ إلا إيّاه ـــ أى صلاة الضحى ـــ فأجره كأجر المعتمر . وصلاةٌ على أَثَرِ صلاةٍ لا لغْوَ بينهما كتابٌ فى عليِّيْنَ .

٤ ـــ بها يكتب من العابدين ومن القانتين . روى الطبرانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مَنْ صَلَّىٰ الضُّحىٰ ركعتَينِ لم يُكْتَبْ مِنَ الغافِلين . ومن صَلَّىٰ أربعا كُتِبَ من العابِدين ومن صلى سِتًّا كُفِيَ ذلك اليومَ ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين . ومن صَلَّىٰ ثِنْتَيْ عشرةَ ركعةً بنىٰ اللهُ له بيتاً فى الجنة . وما مِنْ يومٍ ولا ليلةٍ إلا لله مَنٌّ يمُنُّ به على عباده وصدقةٌ . وما مَنَّ اللهُ على أحدٍ من عبادِه أفضلَ من أن يُلْهِمه ذِكْرَه

٥ ـــ بها يدخل الجنة من باب الضحى : روى الطبرانى على النبى ﷺ أنه قال : إنَّ فى الجنةِ باباً يقالُ له الضحى فاذا كان يومُ القيامَةِ نادى مُنادٍ : أَيْنَ الذين كانوا يُدِيْمُون صلاةَ الضحى ؟ هذا بابكُم فادْخُلوه برحمةِ الله تعالى .

٦ ـــ بها يكفى الله تعالى العبد ما أهمه فى ذلك اليوم ويدخل فى ضمان الله تعالى : روى الترمذى عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال : يا ابْنَ آدمَ لا تُعْجِزْنى من اربعِ ركَعاتٍ من أوَّلِ النهارِ أَكْفِكَ آخرَه .

وروى الامام أحمد عن النبى ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل : يا ابن آدم صلِّ لى اربعَ ركَعاتٍ من أولِ النَّهارِ اَكْفِكَ آخِرَه .

٧ ـــ بها يؤدى العبد حقوق الصدقات عن أعضائه . فان العبد متى أصبح وجب أن يتصدق على أعضائه كلها . وإن صلاة الضحى تفى بذلك كله . روى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : يُصبِحُ علىٰ كلِّ سُلامَى ـــ أى عضو ـــ من أحدِكم صدقةٌ ، فكلُّ تسبيحةٍ صَدَقةٌ وكل تحميدةٍ صدقةٌ وكُل تهليلةٍ صدقةٌ وكُلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ ونَهْيٌ عن المُنكَرِ صدقةٌ ويُجْزِىءُ

من ذلِكَ ركْعتان يَرْكَعُهما من الضُّحى .

وروى الامام أحمد أن النبى ﷺ قال : فى الإنسان ستُّونَ وثَلاثُمِائةِ مَفْصِلٍ ، فعليه أن يتصدَّقَ عن كلِّ مَفْصِلٍ منها صدقةً . قالوا : فَمنْ يُطِيْقُ ذلك يا رسولَ اللهِ ؟ قال : النُّخامَةُ فى المسجِدِ تَدْفِنُها والشَىء تُنَحِّيهِ عن الطريقِ فان لم تقدِرْ فركعتا الضُّحى تُجْزِىءُعنك .

وصلاة الضحى أقلها ركعتان إلى ثمان ركعات .

ووقتها إذا حلت الصلاة النافلة بعد شروق الشمس إلى الزوال .

٢ ـــ صلاة الاستخارة ودعاؤها .

ومن الشرف الذى جعله الله تعالى لهذه الامة ما أعده من الثواب الجزيل ووعد به من الخير الجليل على بعض الصلوات المخصوصة .

فمنها ـــ صلاة الاستخارة .

فى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من سعادةِ ابنِ آدَمَ كثرةُ اسْتِخَارَةِ اللهِ ورضاه بما قضى اللهُ ومن شَقَاوَةِ ابن آدَمَ تَرْكُهُ استخارةَ اللهِ وسُخْطُه بما قَضَى الله .

وعن جابر رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هَمَّ أحدكُم بالامرِ فليَرْكَعْ ركعتَين من غيرِ الفريضةِ . ثم ليقُلْ : اللهم إنِّى استَخِيْرُك بِعِلْمِك واستَقْدِرُك بقُدْرتِك واسألُك من فضْلكِ العظيمِ فانَّك تقدِرُ ولا أَقدِرُ وتعلَمُ ولا أعلَمُ وَانْتَ علَّامُ الغُيوبِ . اللهم ان كنتَ تعلَمُ أن هٰذا الأمرَ خيرٌ لي فى دينى ومعاشى وعاقبةِ أمْرى ـــ أو قال : عاجلِ أمرى وآجلهِ ـــ فَاقْدُرْهُ لى ويَسِّرْه لي ثم بارِكْ لى فيه . وإن كنتَ تعلمُ أن هذا الامْرَ شرٌّ لي فى دينى ومعاشى وعاقبةِ أمرى ـــ أو قال : عاجِلِ أمرى وآجِلِه ـــ فاصْرِفْه عنِّى واصرِفْنى عنْهُ واقدُرْ لي الخيرَ حيثُ كان ثم رضِّنى به « ويسمى حاجته » .

وفى سنن الترمذى أنّه ﷺ كان إذا أراد الأمر قال : اللهم خِرْلى واخْترلى .

وهذا لاينافى الدعاء السابق بل يدعو به أيضا

ويستحب إفتتاح دعاء الاستخارة وختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ مستقبل القبلة كما هو سنة الدعاء وأن يقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وسورة « الكافرون » وفى الثانية فاتحة الكتاب وسورة « الاخلاص » واستحب جمع من المحدثين والصوفية رضى الله عنهم أن يقرأ فى الركعة الأولى قبل سورة الكافرون آية القصص قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشاءُ وَيَخْتَارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعٰالٰى عَمّٰا يُشْرِكُوْنَ . وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُوْرُهُمْ وَمٰا يُعْلِنُوْنَ . وَهُوَ اللهُ لاٰ إِلهَ إِلّاٰ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فى الْأُوْلٰى والْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴾ ويقرأ فى الركعة الثانية قبل سورة الاخلاص اية الاحزاب : ﴿ وَمٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاٰ مُؤْمِنَةٍ إِذٰا قَضٰى اللهُ وَرَسُوْلُهُ اَنْ يَكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِيْناً ﴾ .

قال الإمام الشيخ ابن عربى رضى الله عنه : يفعل ذلك أى الاستخارة على الوجه السابق ــ فى كل حاجة مهمة يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع فى حاجته . فان كان له فيها خيرة عند الله تعالى يسرله أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة وإن تعذر شىء من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها بيسر فلا يضاد القدر ويعلم أنه لو كان فيها خيرة عند الله تعالى ما تعذرت أسبابها فيعلم أن الله تعالى قد اختار له تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبة تركها .

قال الامام النووى رضى الله عنه : وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره . والله أعلم وإذا لم يتضح له شىء يكررها فقد روى الديلمى وابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا أنس إذا هَمَمْتَ بأمرٍ فاستَخِرْ ربَّك فيه سبعَ مرات ثم انظُرْ إلى الذى سبقَ إلى قلبِك فانّ الخيرَ فيه .

ثم ان الاستخارة هي طلب الخيرة فى الامر فقد يكشف الله تعالى لك الخير كشفا قلبيا فينشرح صدرك لذلك الأمر . وقد لا يتجه قلبك لوجه من الوجوه بسبب شغله فى أمور أخرى أوبسبب ضيق فى الوقت أو عدم وجود المناسبات الكاشفة لقلبك عن الامر الذى استخرت الله تعالى فيه فحينئذ قد يجليه الله تعالى ويكشفه لك فى عالم المنام . ولذلك قال صاحب شرعة الاسلام فى فصل فضيلة النوافل : ثم إنّ المسموع من المشائخ أنه ينبغى أن ينام على الطهارة مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المذكور فان رأى فى منامه بياضا أو خضرة فذلك الأمر خير . وان رأى فيه سوادا أو حمرة فهو شر ينبغى أن يجتنبه إهـ .

قال الشيخ الأكبر رضى الله تعالى عنه : وينبغى لأهل الله تعالى أن يصلوا صلاة الاستخارة فى وقت معين يعينونه من ليل أو نهار فى كل يوم . فاذا قالوا الدعاء الوارد فى الحديث كما تقدم يقولون فى الموضع الذى أمر أن يسمى حاجته أى حينما يصل فى الدعاء إلى قوله : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي فى دينى ومعاشى — يقول : اللهم ان كنت تعلم أنّ جميع ما اتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يمينى خير لي فى دينى ودنياى وعاجل أمرى وآجله من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الأخر فيسره لي واقدره لي ورضّنى به . وان كنت تعلم أن جميع ما اتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يمينى من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الأخر شر لي فى دينى ودنياى وعاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضّنى به .

قال الشيخ رضى الله عنه : فاذا فعل ذلك فما يتحرك بحركة ولا يُتحرك فى حقه بحركة إلا كان فيها خير محقق فعلا أو تركا . جرّبت هذا إهـ .

فعليك يا أخى أن تعين وقتا خاصا أول النهار أو بعد صلاة الظهر أو بعد

صلاة المغرب أو بعد صلاة العشاء وتصلى ركعتى الاستخارة ثم تدعو بما تقدم وواظب على ذلك كل يوم فان فيه خيرا كثيرا إهـ .

٣ ـــ صلاة الحاجة ودعائها .

روى الترمذى وغيره عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلا ضَرِيرا أتى النبى ﷺ فقال : ادْعُ الله تعالى أن يُعافِيَنى قال : إن شئتَ دعوتُ وان شئت صبْرتَ فهو خيرٌ لك . قال فادْعُه . أى ادع الله ـــ فأمره أن يتوضأً فيحسن وُضوءه ويدعوَ بهذا الدعاء : اللهم إنّى أسألُك وأتَوَجَّهُ اليك بنبيِّك محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمةِ يا محمدُ إنى توَجَّهْتُ بك إلى ربِّى فى حاجتى هذه لتُقْضٰى لى . اللهم فشَفِّعْه فِيَّ .

وفى رواية النسائى : فتوضأ ثم صلى ركعتين ـــ أى ثم دعا .

وفى الترمذى وغيره عن ابن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسُوْلُ الله ﷺ يوما فقعَد وقال : من كانتْ له حاجةٌ إلى الله تعالى أو إلى احدٍ من بنى آدم فليتوضَّأْ وليُحْسِنْ الوُضوءَ ثم لِيصلِّ ركعتين ثم لِيُثْنِ على اللهِ عزّ وجل وليُصلِّ على النبيِّ ﷺ ثم ليقُلْ : لا اله إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ سبحانَ الله ربِّ العرْشِ العظيمِ الحمد لله رب العالمين أسألك موجِباتِ رحمتِك وعزائِمَ مغْفِرَتِك والغنيمةَ من كلِّ بِرٍّ والسلامةَ من كل إثمٍ لا تدَعْ لي ذنْباً إلا غَفَرْتَهُ ولا هَماً إلا فرَّجْتَه ولا حاجةً هى لك رِضا إلا قضيتها يا ارحمَ الراحمين .

وفى سنن أبى داود عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه ـــ أى نزل به هم أوغم ـــ صلى أى لأن الصلاة تدفع النوائب وترفع المصائب . « وحزبه بالباء أو بالنون كما فى فيض القدير » .

٤ ـــ صلاة ركعتى الوضوء .

عن عقبة رضى الله عنه قال : كانتْ علينا رعايةُ الابلِ فجاءت نَوْبَتى أرْعاها فرَوَّحْتُها بعشِيٍّ فادركْتُ رسولَ الله ﷺ قائما يحدِّثُ الناس وادركت من

قوله : ما مِنْ مُسْلِمٍ يتوضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضوءَه ثم يقومُ فيصلّى ركعتين يُقْبِلُ عليهما بقلبِه ووجْهِه إلّا وَجَبتْ له الجنَةُ . فقلتُ : ما أَجْوَدَ هٰذا ! فإذا قائل يقول بين يَدَىَّ : التى قَبْلَها أَجْوَدُ . فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال : إنى رأيتُكَ قد جِئْتَ آنِفاً ـ أى الان ـ وما سمعتَ ما قاله قبْلَه ـ قال ﷺ : ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فيُبْلِغُ أو فيُسْبِغُ الوضوءَ ثم يقولُ : اشْهَدُ أن لاإله إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له واشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه إلا فُتِحَتْ له ابوابُ الجنةِ الثّمانيةُ يدْخُلُ من أيِّتِها شاءَ[1] .

وعند الترمذى بعد قوله : ورسوله . اللهم اجعَلْنى من التَّوَّابِيْنَ واجعَلْنى من المُتَطَهِّرِيْنَ . فيندب صلاة ركعتين عقب الوضوء وكذا الغسل ويحسن أن يقرأ فيهما سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون والاخلاص ﴾ .

٥ ـ صلاة التسبيح .

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى خصها بصلاة التسبيح .

روى أبو داود سليمان بن الاشعث وابن ماجه محمد بن يزيد فى سننهما قالا : حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : يا عبّاسُ يا عمّاه أَلا أُعْطِيْكَ أَلا امْنَحُكَ ألا اَحْبُوكَ ألا أفعَلُ لك : عشرَ خصالٍ إذا أنت فعلْتَ ذلك غَفرَ اللهُ لك ذَنْبَك اَوَّلَهُ وآخرَه قَدِيْمَه وحديثَه ، خطَأَه وعَمْدَه صغيرَهُ وكبيرَهُ سِرَّهُ وعلانِيَتَه ، عشرَ خصالٍ : أن تُصَلِّىَ أربعَ ركعاتٍ تقرأُ فى كلِّ ركعةٍ فاتحةَ الكتابِ وسورةً فإذا فرغْتَ من القراءةِ فى أوَّلِ ركعةٍ وأنت قائمٌ . قلتَ :سبحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا اٰله إلا اللهُ واللهُ أكبر خَمْسَ عشرةَ مرَّةً ، ثم تَركَعُ فتقولُها وأنت راكِعٌ عشراً ثم ترفَعُ رأسَكَ

---

(١) رواه مسلم .

من الركوعِ فتقولُها عشراً ثم تَهوى ساجِدا فتقولُها وأنت ساجدٌ عشرا ثم ترفَعُ رأسَكَ من السجودِ فتقولُها عشراً فذلك خمنس وسبعون فى كلِّ ركعةٍ تفعَلُ ذلِكَ فى أربعِ ركَعاتٍ ، إنِ استَطَعْتَ أن تُصلِّيها فى كلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فافْعَلْ فَانْ لَمْ تَفْعَلْ فَفي كُلِّ جُمْعَةٍ مَرّةً فَإنْ لم تَفْعَلْ ففى شهْرٍ مرة فان لم تفعلْ ففى كل سَنَةٍ مرَّةً فان لم تفْعَلْ ففى عُمرِك مرَّة(١) .

وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن عباس وأبو رافع الانصارى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمرو الانصارى .

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ، أمثلها حديث عكرمة هذا ، وقد صححه جماعة منهم الحفاظ ابو بكر الآجرى وأبو محمد عبد الرحيم المصرى وأبو الحسن القدسى . وقال أبو بكر بن أبى داود سمعت أبى يقول : ليس فى صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا .

وقال مسلم بن الحجاج : لا يروى فى هذا الحديث إسناد أحسن من هذا والتحقيق أن الحديث لا ينحط عن درجة الحسن لطرقه التى تشده وتقويه .

وقوله : غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ... صغيره وكبيره يدل بظاهره على ان الكبائر تغفر بمجرد فعل هذه الصلاة . وهو محمول على ما إذا اقترنت ببقية شروط التوبة من الاستغفار والندم والعزم على عدم العود .

وقوله : غفر الله لك ذنبك أوله وآخره . لا يتناول حقوق العباد فلا تسقط عن ذمته مهما قدم من أعمال الخير وإنما تبرأ ذمته مما هو خاص بحقوق الله تعالى المحضة .

وقوله : تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة . مطلق فى أيّ السور

---

(١) وأخرجه الحاكم والبيهقى وغيرهما .

يختارها القارىء وقد اختار بعضهم لذلك هذه السور : التكاثر ، العصر ، الكافرون ، الاخلاص .

وقوله : ارفع رأسك فقلها عشرا . أى بعد قول : سمع اللهلمن حمده ربنا لك الحمد . وكذلك فى الركوع وفى كل ما يأتى تقال التسبيحات بعد اذكار الصلاة الاصلية .

وقوله : ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فيه إشارة إلى أنه يجلس قليلا بعد السجدة الثانية من الركعة الأولى وكذا الثالثة ليقول عشر تسبيحات . وهذه جلسة إستراحة أما فى الركعة الثانية والرابعة فيقولها فى الجلوس الأصلى للتشهد .

صلاة تقوية الحفظ

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذْ جاءهُ على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : بأبى أنت وأمى تَفَلَّتَ هذه القُرآنُ من صدْرِى . فما أجدُنى أقدِرُ عليه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا الحسَنِ أَفَلا أُعَلِّمكُ كلماتٍ ينفَعُك اللهُ بهن وينفَعُ بِهنَّ مَنْ علَّمْتَه ويُثَبِّتُ ما تعلَّمْتَ فى صدْرِك ؟ قال : أجَلْ يا رسول اللهِ فَعَلِّمْنى . قال : إذا كان ليلةُ الجمعةِ فانِ اسْتَطَعْتَ أن تقومَ فى ثلُثِ الليلِ الآخِرِ فانَّها ساعة مشهودَةٌ والدُّعاءُ فيها مستجابٌ . وقد قال أخى يعقوبُ لبنيه : سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ لَكُمَ رَبّى . يقول حتَّى تأْتِيَ ليلةُ الجمعةِ . فان لم تستطِعْ فقُمْ فى وسَطِها ، فان لم تسْتطع فقم فى أَوَّلِها ، فصلِّ اربعَ ركَعاتٍ تقْرأُ فى الركْعةِ الأولى بِفَاتِحَةِ الكتاب وسورة يٰسٓ وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحٰمٓ الدُّخانِ . وفى الركعةِ الثالثةِ بفاتحةِ الكتابِ والٓمٓ تنزيل السجْـدة . وفى الركعةِ الرابعةِ بفاتحةِ الكتابِ وتبَارَكَ المُفصَّلِ . فاذا فرَغْتَ من التشهُّد فاحْمَدِ اللهَ وأَحْسِنْ الثَّناءَ على اللهِ وصل عليَّ وأحسِنْ وعلىٰ سائرِ النبيين واسْتَغْفِرْ للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانِك الذّين سَبقُوك بالايمانِ ثم قُلْ فى آخرِ ذلكَ : اللهمَّ بَدِيعَ السمواتِ والارْضِ ذا الجلالِ وَالإكْرامِ والعِزَّةِ التى لا تُرامُ أسألكَ يا اللهُ يا رحمٰنُ بجلالِك ونورِ وجْهِك ان تُلْزِمَ قلْبى حِفْظَ كتابِك كما علَّمْتَنى وارْزُقْنى اَنْ أَتْلُوَهُ على النَّحْوِ الذى يُرْضِيْكَ عَنِّى . اللهمَّ بديعَ السَّمواتِ والأرضِ ذا الجلالِ وَالإكْرامِ والعِزَّةِ

التى لاتُرامُ أسأُلكَ يا اللهُ يا رَحمٰنُ بجلالِك ونور وجْهك أَنْ تُنَوِّرَ بكتابك بصرى وأن تُطْلِقَ به لسانى . وأن تُفَرِّجَ به عن قلْبى وأن تَشْرَحَ به صدْرى وأن تُعْمِلَ به بدنى فانه لا يُعِيْنُنِى على الحقِّ غيرُكَ ولا يُؤْتِيه إلّا أنتَ . ولاحولَ ولاقوَّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيمِ .

يا أبا الحسن تفعَلِ ذلك ثلاثَ جُمَعٍ أو خمْساً أو سبْعاً تُجَبْ بإذْنِ اللهِ . والذّى بعَثَنى بالحقِّ ما أخْطَأَ مؤمِناً قط .

قال ابن عباس : فَوَاللهِ ما لبث عليٌّ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس فقال : يا رسول الله إنِّى كنْتُ فيما خَلا لا آخذُ إلا أربعَ آيات ونحوَهُنَّ فاذا قرأْتُهُنَّ على نفسى تَفَلَّتْنَ وأنا أتَعلَّمُ اليومَ أربعين أيةً ونحوها فاذا قرأْتُها على نفسى فكأنَّما كتابُ اللهِ بينَ عَيْنَىَّ ، ولقد كنتُ أسمعُ الحديثَ فاذا رددْتُه تَفَلَّتَ وأنا اليوم أسمَعُ الأَحاديثَ فاذا تَحَدَّثْتُ بها لم أخْرِمْ منها حرْفاً ، فقال له رسول الله ﷺ وسلم عند ذلك : مؤمنٌ وربِّ الكعبةِ أبا الحسن[1] .

وقد عين الحديث السور الاربع المذكورة ورتبها فى كل ركعة سورة وهذا الترتيب مخالف لترتيب سور القرآن ومراعاة ترتيب سُوَر القرآن فى الصلاة مستحبة،ومخالفة المستحب فى الأحيان القليلة جائزة، وقد ورد عنه ﷺ أنه فعل ذلك أحيانا لبيان عدم الحرمة .

هذا وقد جاءت التجارب تؤيد ما ذكرنا ، قال الحافظ أبو الحسن ابن عراق : وأخبرنى غير واحد أنهم جربوا الدعاء به فوجدوه حقا .

وذلك أن ضعف الحفظ إن كان فطريا فالله تعالى الخالق البارى المحي المميت قادر على امداد الداعى بمزيد من القوة الواعية . وان كان لعارض من أحوال طارئة يقويه الله تعالى على مقاومتها فقد اشتمل الحديث على ما يزيل ذلك حيث يدعو المؤمن ربه بأن يرحمه بترك المعاصى ومعلوم بل مشاهد أن إرتكاب المعاصى من أعظم أسباب البلبال الفكرى والذهنى . واشتمل على الاستعانة بالله لترك

---

(١) أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وأخرجه الحاكم وصححه .

الاهتمام فيما لا يعنيه ولا يدخل فى مكنته من الأمور لأنه يوزع فكره ويمنعه من تركيز الانتباه فيما يعنيه وينفعه ويلحق بذلك سائر ما يدخل الهمَّ على الإنسان من الظروف المحيطة به مما لابد له فيه . وفى الحديث سؤال حسن النظر فيما يُرْضى الله تعالى وذلك يشمل كافة العلوم والمعارف النافعة وكافة المصالح المشروعة لأنها يثاب فاعلها مادام يبتغى بها رضا الله وحسن النظر يُقَوِّى ارتسام الأمور والمعانى فى الذهن .. إلى آخر ما اشتمل عليه الحديث .

« فضـــل أداء الزكـاة »

ومن شرف هذه الأمة ما اخْتَصَّها الله به من الثواب العظيم والفضل الكريم على أداء الزكاة . وهى ركن من الأركان التى ينبنى عليها الإسلام .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : بُنِيَ الإسْلامُ علىٰ خَمْسٍ : شهادَةِ أن لَا الهَ إلَّا اللّٰهُ ، وأنَّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُه ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجّ البيت ، وصومِ رمضان[1] .

والزكاة من الأعمال التى توجب دخول الجنة ، فتفتح له أبواب الجنة ، ويقال له : اُدخل بسلام .

قال صلى الله عليه وسلم : ما مِنْ عبْدٍ يُصَلِّى الصلواتِ الخَمْسَ ويصومُ رمضانَ ، ويُخْرِجُ الزكاةَ ، ويَجْتَنِبُ الكبائِرَ السَّبْعَ إلاّ فُتِحَتْ لهُ أبوابُ الجنة ، وقيل له : أُدْخُلْ بسلام[2] .

وفى رواية : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خمسٌ مَنْ جاءَ بهِنَّ مع إيمانٍ دخَلَ الجَنَّةَ ، من حافَظَ على الصَّلواتِ الخَمْسِ على وُضوئِهِنَّ ورُكوعِهنّ وسُجُودهِنّ ومواقِيتِهِنَّ ، وصامَ رمضانَ ، وحَجّ البيتَ إن اسْتطاعَ إليهِ سبيلًا وأعطىٰ الزَكاةَ طَيِّبَةً بِها نفَسهُ[3] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه النسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر فأصبحت يوماً قريبا منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى بعمل يُدْخِلُنِي الجنةَ ، ويُبَاعِدُنى من النار ؟ قال لقد سألتَ عن عظيم ، وإنه لَيَسِيرٌ على مَنْ يسَّرهُ الله عليهِ : تَعْبُدُ اللهَ ولا تُشْرِكُ به شَيْئاً ، وتقيمُ الصلاةَ ، وتُؤْتى الزكاةَ ، وتصومُ رمَضانَ ، وتحُجُّ البيتَ[1] . الحديث .

وقد تكفل نبينا ﷺ بالجنة ، لمن أداها ، وأتى بها ، على وجهها الصحيح ، فقال : أُكْفُلُوا لِي بست أَكْفُلْ لكُمَ بالجنة ، قلت : ما هى يا رسول الله ؟ قال : الصلاة ، والزكاة ، والأمانَةُ ، والفَرْجُ ، والبَطْنُ ، واللِّسانُ[2] .

وقد سأل رجلٌ نبيَّنا ﷺ فقال : أخبرنى بعمل يُدْخِلنُي الجنة ؟ قال : تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئا ، وتقيمُ الصلاة ، وتُؤْتى الزكاةَ ، وتَصِلُ الرحِمَ[3] .

وفى رواية : أنه قال : دُلَّنى علىٰ عَمَلٍ إذا عَمِلتُه دَخلتُ الجنة ؟ قال : تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئا ، وتُقِيْمُ الصلاةَ المكتوبةَ ، وتؤْتى الزكاةَ المفروضَةَ ، وتَصُوْمُ رمضانَ . قال : والذى نفسي بيده لا أَزِيْدُ علي هذا ولا أَنْقُصُ منه فلمّا وَلّى قال النبى ﷺ : من سَرَّهُ أن يَنْظُر إلىَ رَجُلٍ من أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلىٰ هذا[4] .

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ يُخْبِرُ أنه ذو مال كثير ، وذو أهل ويقول : أخبرنى يا رسول الله كيف أَصْنَعُ وكيف أُنفِقُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : تُخْرِجُ الزكاةَ من مَالِكَ ، فإنَّها طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ وتَصِلُ أَقْرِبَاءَكَ ، وتَعْرِفُ حَقَّ الْمِسْكِيْنِ ، والجارِ والسَّائِلِ[5] . الحديث

والزكاة قنطرة الإسلام ، كذا يقول ﷺ ، (والمعنى) أن المسلم يمر يوم القيامة على جسر ممدود على متن جهنم والمزكي يعبرها ، وغير المزكى حينما يصل إليها لا يمكنه العبور فيسقط فى نار جهنم .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه ، والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد لا بأس به ، وله شواهد كثيرة .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

والزكاة أحد أسهم الإسلام الثمانية ، وقد أخبرنا ﷺ أن الإسلام ثمانية أسهم : بقوله :

الإسْلَامُ ثَمانِيَةُ أَسْهُمٍ : الإسلامُ سَهْمٌ ، والصلاةُ سهمٌ والزكاةُ سَهْمٌ ، والصوم سهم ، وحَجُّ البَيْتِ سهم ، والأمرُ بالمعروفِ سَهْمٌ ، والنَهْىُ عن المنكرِ سهم ، والجهادُ فى سبيل الله سهم ، وقد خاب مَنْ لاَ سهم له[1] .

ومن فضائل الزكاة أن من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شَرّه .

يقول ﷺ : مَنْ أَدَّى زكاةَ مالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عنهُ شَرُّه[2] .

وفى رواية عند الحاكم : إذا أدّيتَ زكاة مالك فقد أذهبتَ عنك شرّهُ . وقال صحيح على شرط مسلم .

ومعنى : ذهب عنه شره . أى لم يعذب صاحبه به فى قبره . فلا يمثل له بشجاع أقرع يلدغه ، ويعذبه كما قال ﷺ لغير المزكى :

مُثِّلَ لَهُ يومَ القيامِة بشُجَاعٍ أَقْرَعَ لَهُ زَبِيْبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القيامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يعنى شِدْقَيْهِ ، ثم يقول : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ، ثم تلا ﷺ : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِما آتاهُمُ الله مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا به يومَ القيامةِ ولله مِيْرَاثُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَالله بِمٰا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴾ . سورة آل عمران[3] .

ومعنى شجاعا ، أى حية ذكرا ، ومعنى : زبيبتان : أى زبدتان فى شدقيه ، ومعنى الآية . أى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم بل البخل شر لهم ، لإستجلاب العقاب عليهم .

---

(١) رواه البزار مرفوعا ، وفيه يزيد بن عطاء اليشكرى ، ورواه أبو يعلى من حديث على مرفوعا أيضاً ، وروى موقوفا على حذيفة وهو أصح ، قاله الدارقطنى وغيره .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه البخارى .

وفى الآية : يقول تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به ﴾ وهو معنى قوله ﷺ : ما مِنْ رَجُلٍ لا يُؤَدِّى زكاةَ مالِهِ إلاَّ جَعَلَهُ اللهُ شُجاعاً فِي عُنُقِهِ يومَ القيامةِ .

والزكاة حصن منيع للأموال من السرقة والضياع .

يقول ﷺ : حَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بالزكاةِ ، ودَاوُوا مَرْضاكم بالصَّدَقَةِ ، واسْتَقْبِلُوا أمواجَ الْبَلاَءِ بالدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ[1] .

والزكاة هى تمام أمور الدين ، قال ﷺ : إنَّ تَمامَ إسلامِكُمْ أنْ تُؤَدُّوا زَكاةَ أموالِكُمْ[2] .

ومن فضائل الزكاة أنها تنفى عن المال اسم الكنز لأن المال الذى لا يُزَكَّى هو الكنز . قال الله تعالى : ﴿والَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُوْنَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوْبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هٰذا مَاكَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوْقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ .

قال النبى ﷺ : كُلُّ مالٍ وإن كان تَحْتَ سَبْعِ أَرَضِيْنَ ، تُؤَدّى زكاتُه ، فَلَيسَ بكَنْزٍ ، وكُلُّ مالٍ لا تُؤَدىّ زكاته وإن كان ظاهِراً فهو كنزٌ[3] .

والزكاة ثانى درجات الإسلام فقد سئل ابن مسعود رضى الله عنه . أيُّ درجات الإسلام أفضل قال : الصلاة ، قال : ثم أيٌّ ؟ قال : الزكاة[4] .

ومن أداها فقد طعم طعم الإيمان ، لما جاء فى الحديث . قال رسول الله ﷺ : ثلاثٌ مَنْ فعلهُنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمانِ : من عبَدَ الله وحدَه ، وعَلِمَ أنْ

(١) رواه أبو داود فى المراسيل ، ورواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعا متصلا ، والمرسل أشبه .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعاً ، ورواه غيره موقوفا على ابن عمر وهو الصحيح .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد لا بأس به .

لا إلهَ إلا الله ، وأعْطىٰ زكاةَ مالِه طَيِّبَةً بِها نَفْسُه رافِدَةً عليه كلَّ عامٍ ولم يُعطِ الهَرِمَة ، ولا الدَّرِنَةَ ، ولا المريضَةَ ، ولا الشَرَطَ اللئِيْمَةَ ، ولكن مِن وَسَطِ أموالِكُمْ فإن الله لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ولم يَأمُرْكُم بِشرِّهِ[1] .

قوله : رافدة عليه . من الرفد ، وهو الإعانة ، ومعناه . أنه يعطى الزكاة ونفسه تعينه على أدائها بطيبها وعدم حديثها له بالمنع .

والشرط : بفتح المعجمة والراء . وهى الرذيلة من المال كالمسنة والعجفاء ونحوهما . والدرنة : الجرباء .

« فضل العمل على الصدقة بالتقوى »

العامل على الصدقة هو الذى يبذل جهده فى جمع الزكاة من المسلمين ليوصلها إلى بيت المال ، فيتصرف الإمام فى إنفاقها فى المصالح العامة والمساعدة والإعانة والإحسان ، وثوابه ثواب المجاهد لنصر دين الله المضاعف أجره .

يقول ﷺ : العَامِلُ علىٰ الصَّدَقَةِ بالحَقِّ لوَجْهِ الله تعالى كَالْغَازِىْ فى سبيلِ الله عزّ وجل حَتَّى يَرْجِعَ إلىٰ أهْلِه[2] .

وقال رسول الله ﷺ : العامِلُ إذا استُعْمِلَ فأخَذَ الحَقَّ ، وأعَطىٰ الحَقَّ لم يَزَلْ كالمجاهِدِ فى سبيلِ الله حتى يرجِعَ إلى بَيْتِهِ[3] .

وكسب العامل هو خير كسب قال رسول الله ﷺ : خَيْرُ الكَسْبِ كَسْبُ العامِلِ إذا نَصَحَ[4] .

وله مثل ثواب المتصدقين لما يقوم به من أمانة ، فى حفظ الصدقات . وإيصالها إلى أهلها .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن عوف .

(٤) رواه أحمد ورواته ثقات .

فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : إنَّ الخازِنَ المُسْلِمَ الأمِيْنَ الذى يَنْقُلُ مَا أُمِرَ بِه فيُعْطِيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةً به نَفْسُهُ فيَدْفَعُهُ إلىٰ الَّذى أُمِرَ بِه أَحدُ المُسْلِمِين[1] .

والعامل إذا اتقى الله وراقبه فهو من أهل الجنة ، يقول ﷺ : إنَّهُ سَتُفْتَحُ عليكم مَشَارِقُ الأرْضِ ومَغَارِبُها ، وإنَّ عُمّالَهَا فى النَّارِ ، إلا مَنْ اِتَّقَى اللهَ عزَّ وجلَّ وأدَّى الْأَمَانَةَ [2] .

شرف الصدقة وفضل المتصدقين

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ما أعده الله تعالى من الفضل الجزيل والثواب الجليل على الصدقة ، وما ميز الله به المتصدقين من الخصائص الحميدة والمزايا المجيدة . وقد جمعت جملة صالحة من ذلك أذكرها إن شاء الله فيما يأتى .

الصدقة تزيد فى العمر ويذهب الله بها أرذل الأخلاق وأسوأها ويحفظ بها العبد من الفقر ــ فعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ صدَقَةَ المُسْلِمِ تَزِيدُ فى العُمُرِ وتَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ ويُذْهِبُ اللهُ بِهَا الْكِبْرَ والْفَقْرَ والْفَخْرَ والمراد بزيادة العمر البركة فيه بأن يوفق للأعمال الصالحات فيعمل فى سنوات قليلة من الخير مالا يعمله غيره فى سنوات كثيرة .

والصدقة تزيد فى المال وتباركه وتدفع عنه المفسدات قال ﷺ : مَا نَقصَتْ صدَقةٌ مِنْ[3] مالٍ . والمعنى أن النقص الحاصل فى المال فى الصورة مجبور بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة أو أنه وان نقصت صورته لكن ثوابه المعدُّ له فى الآخرة جابر لنقصه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه مسلم .

والصدقة حجاب من النار
اتقوا النار ولو بشق تمرة

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتَّقوا النّارَ ولَو بشِقِّ تمْرةٍ » أى اجعلوا بينكم وبينها وقاية أى حجابا ولو كان الإتقاء بالتصدق بشىء قليل جدا مثل شق تمرة أى جانبها أى نصفها فانه يفيد . فلا يحتقر المتصدق ذلك فلوهنا للتقليل. وقد ذكر التمرة دون غيرها كلقمة طعام لأن التمر غالب قوت أهل الحجاز. والاتقاء من النار كناية عن محو الذنوب ﴿ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ « اَتْبِعِ السّيئةَ الحسَنةَ تمْحُها » وبالجملة ففيه حث على التصدق ولو بما قلّ.

وفى الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد مرفوعا « آجْعلوا بيْنَكم وبينَ النّارِ حجاباً ولو بشقِّ تمْرةٍ » ولأحمد من حديث ابن مسعود مرفوعا باسناد صحيح « لِيتَّقِ أحدُكم وجْهَه النّارَ ولو بشِقِّ تمْرةٍ » وله من حديث عائشة باسناد حسن « يا عائشةُ آسْتَتِرى مِنَ النارِ ولو بشِقِّ تمرةٍ . فإنّها تَسُدُّ مِن الجائعِ مَسدَّها مِن الشّبْعانِ » ولأبى يعلى من حديث أبى بكر الصديق نحوه وأتم منه بلفظ « تَقعُ من الجائع موقِعَها مِنَ الشّبْعانِ » وكأن الجامع بينهما فى ذلك حلاوتها .

وفى رواية : يا عائشة اشْتَرى نفْسَكِ مِن اللهِ لا أُغْنى عنْكِ مِن اللهِ شيئاً ولو بشق تمرة « مجمع » .

وفى رواية : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « تَصدَّقوا فإنّ الصّدقةَ فَكاكُكم مِن النّارِ « مجمع » .

وفى رواية : أن رسول الله ﷺ قال : لعائشةَ : « آحْتَجِبى مِن النّارِ ولو بشِقِّ تمْرةٍ » .

وفى رواية : أن رسول الله ﷺ قال : اجْعلوا بيَنكم وبينَ النّارِ حجِابةً ولوِ بشِقِّ تَمْرَةٍ . « مجمع » .

وهذه الأحاديث تدل على أن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار وهذا أحد فوائدها .

والصدقة تكفر الذنوب مهما عظمت .

ففى الحديث : والصَّدقةُ تُطْفِيءُ الخطيئةَ . وعن أبى ذر ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ تَعبَّدَ عابدٌ من بنى إسرائيلَ فعبَد الله فى صَوْمَعتِه فقال : لو نَزَلْتُ فذَكرْتُ اللهَ فازْدَدْتُ خيراً فنزلَ ومعه رَغِيْفٌ أو رَغيفانِ فبينَما هو فى الأرْضِ لقيتْهُ امرأةٌ فلمْ يزَلْ يُكلِّمُها وتُكَلِّمهُ حتّى غشيَها ثم أُغْمِيَ علَيه فنزَل الغَديرَ يسْتحِمُّ فجاء سائِلٌ فأَوْمَأَ إليه أن يأْخُذَ الرَّغيفَيْنِ ثُمَّ مات فوُزِنتْ عبادةُ ستِّينَ سنةً بتلكَ الزَّنْيةِ فرَجَحتْ الزَّنْيَةُ ثمَّ وُضِع الرَّغيفُ أو الرَّغيفَانِ معَ حسَناتِه فرَجَحتْ حسَناتُهَ فغُفِرَلَهُ[1] . وفى رواية عن ابن مسعود موقوفا عليه . ولفظه : إن راهباً عبَدَ اللهَ فى صَومَعَتِه سِتِّينَ سنَةً فجاءتْ امرأةٌ فنزَلتْ إلى جنْبه فنزَل إليها فواقَعها ستَّ ليالٍ ثم سُقِط فى يدِه فهرَبَ فأَتى مسْجِدا فأَوٰى فيه ثلاثاً لا يطْعَمُ شيئا فأُتَي برغيفٍ فكسرَهُ فأعْطى رجُلاً عَنْ يمينهِ نصْفَه وأعْطى آخرَ عَنْ يساره نِصْفَه فبعَثَ اللهُ إليه ملَكَ الموْتِ فقَبضَ رُوحَه فوُضِعتْ السِّتُّونَ فى كَفَّةٍ ووُضِعتْ السِّتَّةُ فى كَفَّةٍ فرجَحَتْ . يعنى السِّتَّةَ ثُمّ وُضِعَ الرَّغيفُ فرَجَح[2] . يعنى رجَحَ الرغيفُ السِّتَّة . « ترغيب » .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لكعب بن عجرة : يا كعْبُ بن عُجْرَةَ الصّلاةُ قُرْبَانٌ والصِّيامُ جُنَّةٌ والصَّدقةُ تُطْفِيءُ الْخطيئةَ كما يُطْفِيءُ الماءُ النَّارَ . يا كعْبُ بن عُجْرَةَ النَّاسُ غادِيانِ فَبائِعٌ نفْسَه فمُوْثِقٌ رَقَبَتَهُ ومبتاع نفْسَه فى عِتْقِ رقَبتِه .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواهـا البيهقى .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ياكعبُ ابْنَ عُجْرةَ إنّه لايدْخُلُ الجَنَّةَ لحْمٌ ودَمٌ نَبَتا عَلى سُحْتٍ ، النَّارُ أوْلَى به يا كعبُ ابن عجرةَ النَّاس غادِيانِ فغادٍ فى فَكاكِ نفْسِه فَمُعْتِقُهَا وغَادٍ فمُوْثِقُهَا يا كَعْبُ ابْنَ عجْرةَ : الصَّلاةُ قُرْبَانٌ والصَّوْمُ جُنَّةٌ والصدقَةُ تُطْفِىء الْخَطِيئَةَ كَما يذْهَبُ الْجَليدُ عَلى الصَّفا[1] « ترغيب » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت مع النبى ﷺ فى سفر فذكر الحديث إلى أن قال فيه : ثم قال : يعنى النبى ﷺ ألَا أدُلُّكَ على أبوابِ الخير ؟ قلتُ : بلى يا رسولَ اللهِ . قال : الصوْمُ جُنَّةٌ والصدقَةُ تُطْفِىءُ الخطيئة كما يطفىء الماءُ النّارَ[2] .

والمتصدق مشمول بدعاء زكى طاهر من ارواح زكية طاهرة وهم الملائكة التى تدعو كل يوم للمنفق بالخلف وعلى الممسك بالتلف وتقول اللهم أعطِ منفِقا خلَفاً وأعط مُمْسِكا تلَفاً .

والصدقة خير أبواب البر .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: خيرُ أبوابِ البِرِّ الصّدَقةُ . « مجمع » .

والمتصدق فى ظل صدقته يوم القيامة يوم لا ظل من حر الشمس كما جاء فى الحديث عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كُل امْرِىءٍ فى ظِلِّ صدقَتِهِ حتى يُفْصَلَ بين النّاسِ .

وفى رواية : عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبى ﷺ قال : ظِلُّ المؤْمِنِ يومَ القيامةِ صدَقتُه وكان يزيدُ لا يُخْطِئُه يومٌ الا تصدَّقَ فيه بشيءٍ ولو كَعْكةً أو بَصْلَةً أو كذا .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ويأتى بتمامه فى الصحف . وهو عند ابن حبان من حديث جابر .

والصدقة سد منيع بين المتصدق والسوء ودافعة لعظيم البلاء والشر فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله ﷺ : « الصدقَة تَسُدُّ سبعين بَاباً مِنَ السُّوءِ » وليس المقصود بالسبعين التحديد بل المراد التكثير والمعنى أنها تسد السوء بأنواعه ولذلك قد أمرنا النبى ﷺ بالمبادرة إلى فعل الصدقة وتقديمها فى أول النهار .

فعن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : بَاكِروا بِالصَّدَقَةِ فانَّ البلاءَ لا يَتخطَّاها « مجمع » ومعنى ذلك أن الصدقة تكون مثل السد العظيم أمام البلاء فلا يستطيع أن يتعداها .

وفى رواية : الصدقُة تمْنعُ سبعين نوعاً مِنْ أنواعِ البلاءِ أهْونُها الجُذامُ والبَرَصُ « جامع » .

وقد جاء فى رواية أخرى : الصدقَاتُ بالغَدَواتِ يَذْهَبْنَ بالْعاهاتِ « جامع » والغدوات جمع غدوة الضحوة والمراد الصدقة أول النهار والعاهات جمع عاهة وهى الآفة . والظاهر أن المراد ما يشمل الآفات الدينية والدنيوية وهو يدل على أن من فوائد الصدقة أن فى بذلها السلامة من فتنة المال ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأن من آمن وتصدق فقد أسلم لله روحه وماله الذى هو عديل روحه فصار عبد الله حقا .

والصدَقةُ تَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ كما جاء ذلك عن أبى هريرة مرفوعا « رواه القضاعى » والمراد بميتة السوء الحالة التى يكون عليها الإنسان عند الموت قال التوربشتى: وأراد بها مالا تُحْمَدُ عاقبته ولا تؤمَنُ غائلته من الحالات كالفقر المُدْقِع والوصب الموجع والألم المقلق والعلل المفضية إلى كفران النعمة ونسيان الذكر والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها . وقال الطيبى: الأولى أن يحمل موت السوء على سوء الخاتمة ووخامة العاقبة من العذاب فى الآخرة قال أبوزرعة: ليس معناه أن العبد يقدر له ميتة السوء فتدفعها الصدقة بل الأسباب مقدرة كما أن المسببات مقدرة فمن قدرت له ميتة السوء لا تقدر له الصدقة ومن لم تقدر له ميتة

السوء تقدر له الصدقة . قال العامرى : ميتة السوء قد تكون فى الصعوبة بسبب الموت كهدم وذات جنب وحرق ونحوها وقد تكون سوء حالة فى الدين كموته على بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة فحث على الصدقة لدفعها لذلك .
وعن رافع بن مكيث وكان ممن شهد الحديبية أن رسول الله ﷺ قال : حُسْنُ المَلكَةِ نماءٌ وسوءُ الخُلُقِ شؤْمٌ والبِرُّ زيادةٌ فى العمرِ والصدقةُ تَقِي مِيْتَةَ السّوءِ .

فالصدقة خير دافع للبلاء وأعظم مانع للسوء وهذا كله بإذن الله سبحانه وتعالى فهو المانع والنافع فى الحقيقة وإنما الصدقة وغيرها أسباب لذلك فإذا كان البلاء والشر والسوء بقضاء الله وقدره فإن الصدقة تدفع ذلك بقضاء الله وقدره أيضا . هكذا أخبرنا النبى ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والذى قضى وقدر البلاء هو الذى أخبرنا بأنه قضى وقدر أن الصدقة تدفع ذلك .

وكثرة الصدقة تجلب سعة الرزق وتقضى الحاجات وتكون سبب الفوز والنجاح والشفاء ونيل المأمول .

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خطَبَنا رسولُ الله ﷺ فقال : يا أيُّها النّاسُ تُوبوا إلى اللهِ قبْلَ أن تموتوا وبادِرُوا بالأعمالِ الصّالحةِ قبل أن تُشْغَلوا وصِلوا الذى بينكم وبين رَبِّكُم بكثرةِ ذكْرِكم له وكثرةِ الصَّدقِة فى السرِّ والعلانيةِ تُرزْقَوا وتُنْصَرَوا وتجُبْرَوا[1] .

والمتصدق يرغم بصدقته أنف الشيطان بل يغيظ بها سبعين شيطانا كلهم يحرصون على عدم أدائها ويزينون له ترك التصدق . فعن بُريدةَ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : لا يُخْرِجُ رجلٌ شيئاً من الصدقةِ حتى يَفُكَّ عنها لَحْيَيْ سبعينَ شيطاناً[2] .

(١) رواه ابن ماجه [ترغيب] ومعنى تجبروا : تجب دعوتكم وتغتنوا .
(٢) رواه أحمد والبزار وابن خزيمة فى صحيحه .

وفى رواية عن أبى ذر موقوفا عليه قال : ما خرَجَت صدَقةٌ حتّى يفَكَّ عنها لَحيْاً سبْعِينَ شيطاناً كلُّهمْ ينهْى عنها[1] . « ترغيب » .

وجاء أن الصدقة تكفر فتنة الرجل فى أهله وولده ومناولة المسكين تقى ميتة السّوء . ولذلك كان حارثة قد ذهب بصره فاتخذ خيطا فى مصلاه إلى باب حجرته ووضع عنده إناءاً فيه تمر فكان إذا جاءه المسكين فسلّم أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله وكان أهله يقولون : نحن نكفيك فيقول لهم مناولة المسكين تقى ميتة السوء .

والصدقة يكتب ثوابها قبل أن تقع فى يد المسكين ، ولا تزال تتضاعف وتزيد إلى ما شاء الله وهذا معنى قوله إنَّ الرَّجُلَ إذا تَصَدَّقَ فانَّها تَقَعُ فى يدِ الرَّحْمٰنِ وُيَربِّيهْا له حتَّى تَصِيْرَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ .

والصدقة تطفىء عن صاحبها حر القبر .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الصّدقةَ لتُطْفِىءُ عَنْ أهلِها حَرَّ القبورِ وإنما يسْتظِلُّ المؤْمِنُ يومَ القيامةِ فى ظِلِّ صدقِته .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يدفع بالصدقة حر القبور وذلك قبل يوم القيامة وهذا دليل على أن منفعة الصدقة تشمل العوالم الثلاثة : عالم الدنيا وعالم الآخرة وعالم البرزخ .

والمتصدق موعود بالخير خيرا زائدا وبالفضل فضلا عائدا كما جاء فى الحديث القدسى يقول الحقُّ سبحانه « يا عبدى أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليكَ » متفق عليه . أى إن تنفق ينفق أى يوسع عليك ويخلف عوض ماتنفقه . فعبر عنه بالانفاق على سبيل المشاكلة .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « يا ابْنَ آدمَ إنَّكَ أَنْ تَبذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لكَ

---

(١) رواه البيهقى .

وأن تمُسِكَ شرٌّ لك ولا تُلامُ على كفافٍ وابْدَأْ بمَنْ تعولُ واليدُ العُلْيا خيرٌ مِنَ الْيدِ السُّفْلى » رواه مسلم .

والمتصدق تتابع عليه النعم الإلهية فعيشه رغيد وعمره سعيد وحاله حميد . كما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ قال : مثَلُ البخيلِ والمُنْفِقِ كمثل رجلينِ عليهِما جُنَّتانِ مِنْ حديدٍ من ثدْيهما إلى تَراقِيهما . فأما المُنْفِقُ فلا يُنْفِقُ إلَّا سبَغتْ أو وَفرتْ على جِلْدِه حتّى تُخفِىَ بَنانَه وتعفُوَ أثَره . وأما البخيلُ فلا يُريدُ أن ينفِقَ شيئاً إلا لزِمتْ كلُّ حلَقةٍ مكانَها فهُو يوسِّعُها فلا تتَّسِعُ[1] .

« الجنة » بضم الجيم : ما أجن المرء وستره والمراد به ههنا : الدرع . ومعنى الحديث : أن المنفق كلما أنفق طالت عليه ، وسبغت حتى تستر بنان رجليه ويديه ، والبخيل كلما أراد أن ينفق لزمت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع ، شبه ﷺ نعم الله تعالى ورزقه بالجنة وفى رواية بالجُبَّةِ فالمنفِقُ كلَّما أَنفقَ اتَّسعتْ عليه النِّعَمُ وسَبَغتْ ، ووَفَرَتْ حتى تستُرَهُ سَتْراً كاملًاشاملا والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه الشح والحرص وخوف النقص فهو بمنعه يطلب أن يزيد ما عنده وأن تتسع عليه النعم ولا تستر منه ما يروم ستره .

والمتصدق محسود يتمنى كل عاقل أن يبلغ رتبته وأن يحوز درجته . وفى هذا يتنافس المتنافسون ويسارع المجدون . وهذا أمر محمود لانه فى الخير قال ﷺ : لا حسَدَ إلّا فى اثْنتَينِ : رجلٍ آتاه اللهُ مالًا فسلَّطَه على هلَكَتِه فى الحقِّ ورجلٍ آتاه اللهُ حِكمةً فهو يقْضى بها ويعلِّمُها[2] .

ومعناه : ينبغى أن لا يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين ومعنى قوله : سلطه على هلكته أى على إنفاقه .

وفى رواية[3] « لا حسدَ إلّا فى اثْنَيْن » .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواها أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر .

وفى رواية : عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : رجلٍ آتاه اللهُ القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ ورجلٍ آتاه اللهُ المال فهو ينْفِقُهُ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النّهارِ .

وفى رواية(١) : لا حسدَ إلا فى اثنتَينِ : رجلٍ علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يتْلوه آناءَ اللّيلِ وآناءَ النّهارِ فسمِعه جارٌ له فقال : لَيتَنى أُوتيتُ مثلَ ما أُوتِىَ فلانٌ فعملْتُ مثلَ ما يعَملُ . ورجلٍ آتاه اللهُ مالاً فهو يُهْلِكُه فى الحقِّ فقال رجلٌ : ليتَنى أوتِيْتُ مِثْلَ ما أُوتِىَ فلانٌ فعَمِلْتُ مثلَ ما يعْملُ .

ومن فضائل الصدقة أنها إذا كانت على ذوى الرحم فإن أجرها مضاعف ، وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : الصَّدَقَةُ على المسكينِ صدقةٌ ، وعلى ذوى الرَّحمِ ثنْتانِ صدقةٌ وصِلَةٌ(٢) .

وعن ابى امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال : إنَّ الصَّدَقة عَلٰى ذى قَرابَةٍ يُضَعَّفُ أَجْرُهَا مَرَّتَيْنِ(٣) .

واطعام الطعام خير خصال الإسلام

ومن الصدقة إطعام الطعام ، وهو خير خصال الإسلام لما جاء فى الحديث أن رجلا سأل رسولَ اللهِ ﷺ أيُّ الإسلامِ خيرٌ ؟ قال : تُطْعِم الطعامَ ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على من عرفْتَ ومَنْ لم تعرِفْ (٤) .

وهو من أرجى الأعمال المدخلة إلى الجنة ، يقول أبو هريرة رضى الله عنه : قلت يا رسولَ اللهِ : إنّى إذا رأيتُك طابتْ نفسى ، وقرَّتْ عينى ، أنبئنى عن كلِّ شيءٍ ، قال : كُلُّ شيءٍ خُلِق من الماءِ فقلتُ : أخبِرْنى بشيءٍ إذا عمِلْتُه دَخلتُ

---

(١) رواها أحمد والبخارى من حديث إبى هريرة .

(٢) رواه النسائى والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، ولفظ ابن خزيمة قال : الصدقةُ للمسكين صدَقةٌ ، وعلى القريبِ صدقَتانِ ، صدقةٌ ، وصِلَةٌ .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير من طريق عبيد الله بن زحر .

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

الجنةَ ، قال : أطعِمِ الطعامَ ، وأفشِ السّلامَ ، وصِلِ الأرحامَ وصلِّ بالليلِ والناسُ نِيامٌ تدخُلِ الجنّةَ بسلامٍ (١) .

قال رسول الله ﷺ : اعبدُوا الرحمٰنَ ، وأطْعِموا الطعامَ وافشُوا السَّلامَ تدخُلوا الجَنَّةَ بسلامٍ (٢) .

وقال ﷺ : إن فى الجنةِ غُرَفاً يُرى ظاهرُها مِنْ باطِنِها ، وباطنُها من ظاهرِها . فقال أبو مالكٍ الأشعريُّ : لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ ؟ قال : لِمَنْ أطابَ الكلامَ ، وأطْعَمَ الطعامَ ، وباتَ قائِما والناسُ نِيَامٌ (٣) .

وإطعام الطعام : من الكَفَّاراتِ (٤) . ومن موجِباتِ الرحمة (٥) . ومن موجباتِ المغفرة (٦) .

وإن اللهَ تعالى لَيُدْخِلُ بلُقْمةِ الخبز ، وقَبْضَةِ التَّمْرِ ومثلِه مما ينفَعُ المسكينَ ثلاثةً الجنةَ : الآمِرَ به ، والزَّوجةَ المُصلِحَة ، والخادمَ الذى يُناوِلُ المسكينَ (٧) .

وأيُّما مؤمِن أطعَمَ مؤْمناً على جوعٍ أطْعَمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ مِنْ ثِمارِ الجنّةِ ، وأيُّما مؤمنٍ سقىٰ مؤمِناً على ظمَإٍ سقاه اللهُ يومَ القيامةِ مِنَ الرَّحيقِ المخْتُومِ ، وأيُّما مؤمنٍ كسَا مؤْمناً على عُرْيٍ كساه اللهُ يومَ القيامةِ مِنْ حُلَلِ الجنةِ (٨) .

وإن اللهَ تعالى يُباهى ملائكَتَهُ بالذين يُطْعِمون الطعامَ من عبيدِه (٩) .

والمطعمون لهم باب فى الجنة لا يدخل منه سواهم ، فقد روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من أطْعَم مؤمناً حتى يُشْبِعَه من سَغَبٍ أدْخَلَه اللهُ باباً من أبوابِ الجنةِ لا يدْخُله إلا منْ كان مِثْلَه (١٠).

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه واللفظ له . والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٢) رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح .
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن والحاكم . وقال صحيح على شرطهما .
(٤) حديث مرفوع رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .
(٥) حديث مرفوع رواه الحاكم وصححه .
(٦) حديث مرفوع رواه البيهقى متصلا ومرسلا .
(٧) حديث مرفوع رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم .
(٨) حديث مرفوع رواه الترمذى وقال حديث غريب .
(٩) حديث مرفوع رواه أبو الشيخ فى الثواب مرسلا .
(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير .

والمطعمون تحت ظل العرش يوم القيامة ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه أظلَّه اللهُ عزَّ وجل تحتَ عرشِه يومَ لاظِلَّ إلّا ظلُّه : الوُضوءُ فى الْمَكارِه ، والمَشْيُ إلى المساجِدِ فى الظُّلَمِ ، وإطعامُ الجائعِ (١) .

وقد أخبرنا ﷺ عن قصة عابد من بنى إسرائيل إعتزل لعبادة الله ستين سنة ، ثم خرج يوما من صومعته فلقيتْه امرأةٌ فراودَتْه حتى قضٰى حاجتَه منها ، ثم ندِم على ما فعَل حتى أُغْمِيَ عليه ، وكان معه رغيفان فجاء سائِل جائعٌ فأعطاه العابدُ الرغيفَينِ ، ثم مات فَوزِنتْ عبادةُ ستين سنةً بتلك الفاحشةِ ، فَرَجحتْ الفاحشةُ بحسناتِه ثم وُضِع الرغيفُ أو الرغيفانِ مع حسناتِه فَرَجَحَتْ حسناتُه فغُفِر له (٢) .

وتنال المرأة أجر الصدقة إذا أنفقت من بيت زوجها من غير إسراف مما لا يخفى على زوجها عادة .

فقد قال ﷺ : إذا أَنْفَقَتْ المرأةُ من طعامِ بيتِها غيرَ مُفْسِدةٍ كان لها أجرُها بما أَنْفَقَتْ ، ولزوجها أجرُه بما اكْتسَب وللخادمِ مثلُ ذلك لا يَنْقُصُ بعضُهم من أجرِ بعضٍ شيئاً (٣) .

وفى رواية : إذا تصدَّقتِ المرأةُ من بيتِ زوجِها كان لها أجرُها ولزوجِها مثلُ ذلك لا ينقُص كلُّ واحدٍ منهما من أجرِ صاحبه شيئاً . له بما كسَب ولها بما أنْفقتْ (٤) .

ومن فضائل الإكرام والتصدق بالطعام والشراب أن الله تعالى يكرم المطعم لأجل من أطعمه ، ويشفعه فيه بعد أن يصير مستحقا للنار .

---

(١) رواه أبو الشيخ فى الثواب وأبو القاسم الأصبهانى .
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له . وأبو داود وابن ماجه والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

ويحدثنا ﷺ عن هذه المنقبة فى هذه القصة التى تمثِّل رجلا عابداً وآخر مُسْرِف على نفسه سلَكا صحراء فعطش العابدُ حتى سقط ، فجعل صاحبهُ ينظر إليه ، وهو صريعٌ فقال : واللهِ إن مات هذا العبد الصالح عطَشاً ومعى ماء لا أُصيبُ من الله خيراً أبداً ، ولئن سقيْتهُ مائى لأموتنّ فتوكَّل على اللهِ وعزم فرشَّ عليه من مائِه وسقاه فضلَه ، فقام فقَطع الْمَفَازَةَ فيوقف الذى به رهَقٌ للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابدَ ، فيقول يا فلان : أما تعرفُنى فيقول : ومَنْ أنتَ ؟ فيقول : أنا فلانٌ الذى آثْرتُك على نفسى يومَ المفازة ، فيقول بلى أعرِفُك ، فيقول للملائكة : قِفوا فيقفون فيجىءُ حتى يَقِفَ فيدْعو ربَّه عز وجل ، فيقول ياربّ : قدْ عَرفتَ يدَه عندي ، وكيف آثَرنى على نفْسِه . ياربِّ هَبْهُ لي . فيقول هو لكَ فيجىءُ فيأْخُذُ بيدِ أخيه فيُدْخِله الجنةَ[1] .

قوله المفازة : أى الصحراء .

وفى رواية : عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أن رجلاً من أهلِ الجنةِ يُشْرِفُ يومَ القيامةِ على أهلِ النارِ ، فيُناديه رجلٌ من أهلِ النارِ فيقول يا فلان : هل تعرِفُنى ؟ فيقول : لا ، واللهِ ما أعْرِفُك مَنْ أنتَ ؟ فيقول : أنا الذى مرَرْتَ بى فى الدنيا فاستَسْقَيْتَنى شَرْبَةً من ماءٍ فسقَيْتُك ؟ قال : قد عرَفْتُ قال : فاشْفَعْ لي بها عند ربك . قال : فيسْأَلُ اللهَ تعالى جلَّ ذكْرُه ، فيقول إنِّى أشرَفْتُ على النارِ فنادانى رجلٌ من أهلِها ، فقال لى : هل تعرِفُنى ؟ قلتُ : لا ، واللهِ ما أعرفُكَ مَنْ أنت ؟ قال : أنا الَّذى مررتَ بى فى الدنيا فاستَسْقيتَنى شَرْبةً من ماءٍ فسقَيْتُكَ فاشفَع لْي عند ربِّك فشفِّعْنى فيه فيُشَفِّعه اللهُ فيأْمُرُ به فيخْرُجُ من النارِ[2] .

قوله : يشرف يوم القيامة على أهل النار . أى يطلع

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه ابن ماجه .

ومن فضائل إطعام الطعام وسقى الظمآن أنه يغنى عن كثير من الأعمال التى قد يعجز عنها الانسان لثقلها .

فقد جاء : أن رجلا أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال : أخبِرْنى بعملٍ يقرِّبُنى من الجنةِ ، ويباعِدُنى من النارِ . فقال ﷺ : أَوَهُما أَعْملَتَاك ؟ قال : نعَمْ . قال : تقولُ العدْلَ وتُعْطى الفضْلَ قال : واللهِ لا أستطيعُ أَنْ أقولَ العدلَ كلَّ ساعةٍ ، وما أستطيعُ أن أُعْطِىَ الفضلَ . قال : فتطْعِمُ الطعامَ . وتُفْشى السلامَ قال : هذه أيضاً شديدةٌ قال : فهل لك إبلٌ ؟ قال : نعَمْ . قال : فانظُرْ إلى بعيرٍ مِن إبلك وسِقاءٍ ، ثم اعْمَدْ إلى أهلِ بيتٍ لا يشْرَبون الماءَ إلّا غِبّاً فاسْقِهِمْ فلعلَّك لايهلِكُ بعيرُك ولا ينْخرِقُ سِقاؤُك حتى تجبَ لك الجنّةُ . قال : فانطلقَ الأعرابيُّ يكبِّرُ فما انْخرَقَ سقاؤُه ، ولا هلَكَ بعيرُه حتى قُتِلَ شهيداً[1] .

وفى رواية : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى النبىَّ ﷺ رجلٌ فقال : ما عَمَلٌ إن عمِلْتُ به دخلتُ الجنةَ . قال : أنت ببلدٍ يُجْلَبُ له الماءُ ؟ قال : نعم قال : فاشْترِ بها سِقاءً جديداً ، ثم اسْقِ فيها حتى تَخْرِقَها فإنك لن تخرِقَها حتى تبلُغَ بها عملَ الجنةِ[2] .

بل إن الإنسان لينال الثواب العظيم والأجر الكريم إذا سقى بعير غيره .

فقد جاء فى الحديث : أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى أنزِعُ فى حوضى حتى إذا ملأتُه لإبلي ورَدَ عليَّ البعيرُ لغيرى فسقيتُ ، فهل فى ذلك من أجرٍ ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : فى كلِّ ذاتِ كبِدٍ أَجْرٌ[3] .

وفى رواية أن سراقة بن جعشم قال يا رسول الله : الضالة تَرِدُ على حوضي فهل لي فيها من أجرٍ إن سقيتُها . قال : اسْقِهَا فإنَّ في كلِّ ذاتِ كبدٍ حرّا أجراً[4]

قوله : أنزع . أى أقاسى شدائد ملئه واتعب .

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى وابن خزيمة فى صحيحه مختصراً .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) رواه أحمـد .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه وابن ماجه والبيهقى .

وقد شكر الله تعالى للرجل لما سقى الكلب ، وغفر له ، قال رسول الله ﷺ : بينما رجلٌ يمشي بطريق إشتدَّ عليه الحَرُّ فَوجدَ بئراً ، فنزلَ فيها فشرِب ، ثم خرج فإذا كلبٌ يَلْهَثُ يأكُل الثَّرى من العطَشِ ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطَشِ مثلُ الذى كان منِّى ، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً ، ثم أمسَكَه بفِيه حتى رَقِىَ فسقى الكلبَ ، فشكرَ اللهُ له . فغفَر له . قالوا يا رسول الله إن لنا فى البهائم أجراً ؟ فقال : فى كلِّ كبدٍ رطْبةٍ أجرٌ[1] . وسقْى الماءِ هو أعظمُ الصدقاتِ أجراً[2] .

وهو باق جار ينفع الميت فى قبره . قال ﷺ : سبْعٌ تجرى للعبدِ بعدَ موتِه وهو فى قبرِه : من علَّم علْماً ، أو كَرى نهْراً ، أو حفَر بئراً ، أو غرسَ نخلًا ، أو بَنى مسجداً ، أو ورَّث مصحفاً ، أو تركَ ولداً يستغْفِرُ له بعدَ موتِه[3] .

وقد قال ﷺ لسعد . لما سأله عما يتصدق به عن أمه . فقال عليكَ بالماءِ[4] .

ويؤكد ﷺ فضل سقى الماء بحفر الآبار وتيسير إيصاله إلى من لا يستطيع ، والإعانة عليه بقوله : من حفَر ماءً لم تَشرَبْ منه كبِدٌ حَرَّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا طائرٍ إلّا آجرَه اللهُ يومَ القيامةِ[5] .

ونفع الناس بالماء من أعظم سبل التداوى ومن أجل طرق دفع البلاء ، وإزالة الأسقام .

فعن على بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك ، وسأله رجل : يا أبا عبد الرحمن : قرحة خرجت فى ركبتى منذ سبع سنين ، وقد عالجتُ بأنواع العلاج ، وسألْتُ الأطِبّاءَ فلم أنتفعْ به ؟ قال : اذهَبْ فانظُرْ موضعاً يحْتاجُ الناسُ

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود وابن حبان فى صحيحه .
(٢) حديث مرفوع رواه البيهقى .
(٣) رواه البزار وأبو نعيم فى الحلية .
(٤) حديث مرفوع رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٥) رواه البخارى فى تاريخه وابن خزيمة فى صحيحه .

الماءَ فاحفِرْ هناكَ بئراً فإنى أرجو أن تنبُعَ هناك عينٌ ، ويُمْسَكَ عنك الدَّمُ . ففعل الرجلُ فبَرِئَ[١] .

« فضل القرض وإنظار المعسر »

ومن الشرف الذى أعده الله لهذه الأمة ما جعله الله سبحانه وتعالى من الفضل والثواب على القرض .

فمن ذلك أن القرض كعتق رقبة ، قال ﷺ : مَنْ مَنحَ مَنِيحةَ لبنٍ أو وَرِقٍ أو هَدىٰ زُقاقاً كانَ لَه مِثْلُ عِتْقِ رقبةٍ[٢] .

ومعنى قوله : منح منيحة ورق . إنما يعنى به قرض الدرهم ، وقوله : أو هدى زقاقا : إنما يعنى به هداية الطريق ، وهو إرشاد السبيل ومنيحة اللبن : أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويعيدها ، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زمانا ثم يردها .

والقرض : صدقة[٣] ، وقد أخبرنا ﷺ أنه رأى ليلة الاسراء والمعراج مكتوبا على باب الجنة : الصَّدَقَةُ بعشْرِ أمْثالِها والقَرْضُ بثمانية عشرَ[٤] .

وذلك لأن الصدقة قد يأخذها الفقير وهو غير محتاج لها أما القرض فإنه لا يكون إلا مع الضرورة والحاجة . ولذلك كان أجر المقرض عظيما ، لإزالة هذا العسر الطارىء . ولهذا كان يؤكدّ ﷺ فضل القرض بقوله : ما مِنْ مسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلما قَرْضاً مرَّةً إلَّا كان كَصَدَقَتِهَا مرَّتَينِ[٥] .

والقرض تيسير على المعسر وتفريج لكربته وقضاءٌ لحاجته ، ونبينا ﷺ يقول : مَنْ يسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليهِ فى الدُّنيا والآخِرَةِ[٦] .

---

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه أحمد والترمذى ، واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .
(٣) هو حديث مرفوع رواه الطبرانى بإسناد حسن .
(٤) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٥) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى مرفوعا وموقوفا .
(٦) رواه ابن حبان فى صحيحه .

ويقول : مَنْ نَفّس عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرب الدّنْيا نَفّس اللهُ عَنْه كُرْبةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ ، ومن يسَّر عَلَىَ معُسِرٍ يسّر اللهُ عليه فى الدنيا والآخرة[1] .

وفى رواية : مَنْ فَرَّج عن مسْلِمٍ كُرْبَةً جعل اللهُ تعالىٰ لَهُ يوْمَ القِيامةِ شُعْبَتَينِ مِنْ نورٍ على الصِّراطِ يَسْتَضِيْءُ بِضَوْئَيْهِما عالَمٌ لا يُحْصِيهِم إلّا ربُّ العِزَّةِ[2] .

ومعنى شعبتين : أى قطعتين من ضوء وهاج

وقد جاء فى فضل إنظار المعسر أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ .

فمنها : أنه تحت ظل العرش يوم القيامة ، قال ﷺ : مَنْ أَنْظَر مُعْسِراً ، أو وَضَع له أَظَلَّهَ اللهُ يومَ القيامةِ تحتَ ظِلِّ عرشِه يومَ لَا ظِلَّ إلّا ظِلُّه[3] .

وفى رواية : مَنْ أَنْظَر مُعْسِراً أو وَضَع له أَظَلَّه الله فى ظِلِّه[4] .

ومعنى وضع له : أى أبرأ ذمته وسامحه .

وفى رواية : عن أبى اليسر رضى الله عنه قال : أَشْهَدُ على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : إن أَوَّلَ النّاسِ يَسْتَظِلُّ فى ظلِّ اللهِ يومَ القيامةِ لَرجُلٌ أَنْظَرَ مُعْسِراً حتَّى يَجِدَ شيْئاً أو تَصَدَّقَ عليه بما يَطْلُبه يقولُ : مالي عليكَ صدَقةٌ ابْتِغاءَ وجْهِ اللهِ ، ويَخْرِقُ صَحِيفتَه[5] .

قوله : ويخرق صحيفته أى يقطع العهدة التى عليه .

ومنها : أنه تستجاب دعوته وتكشف كربته ، ولا يكتب عليه ذنب حتى يتوب ، ويقيه الله تعالى من فيح جهنم . وكان له كلَّ يوم مثلي دينه صدقة . وهذا

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو غريب .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم .
(٥) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

كله جاء عن رسول الله ﷺ : فقد قال : مَنْ أرادَ أنْ تُستَجابَ دَعْوتُه وتُكْشَفَ كُرْبتُه فَلْيُفرِّجْ عن معْسِرٍ[1] .

وقال : مَنْ أنْظرَ مُعْسِراً إلى مَيْسَرتِه أنْظَره اللهُ بذنْبِه إلى توْبتِه[2] .

وقال : من أنظر معسراً أو وضع له ، وَقاهُ اللهُ مِنْ فيحِ جهنَّمَ[3] .

وفى رواية : دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو يقول : أَيّكُم يسُرُّه أن يقِيَه الله عزّ وجلّ مِنْ فيحِ جهنَّمَ ؟ قلنا : يا رسول الله كلنا يسرّه . قال : من أنظَرَ معسراً أو وضَعَ له وَقاهُ اللهُ عز وجل مِنْ فيحِ جهنَّمَ[4] .

وقال : مَنْ أنْظَر مُعْسِراً فلَهُ كلَّ يومٍ صدقةٌ قبلَ أن يَحُلَّ الدَّينُ . فإذا حلّ الدَّينُ فأنْظرَه بعدَ ذٰلكَ فلَهُ كلَّ يومٍ مثْلَيه صدَقَةٌ[5] .

وقد أخبرنا ﷺ عن رجل ممن كان قبلنا من المسرفين على أنفسهم تجاوز الله عنه وسامحه ، لأنه كان يسامح الناس ، ويتجاوز عن دينهم ، ويصبر عليهم ، فأكرمه الله سبحانه وتعالى ، وأدخله الجنة .

يقول ﷺ : إنَّ رجُلا لم يْعَملْ خيراً قط ، وكان يُداينُ النّاسَ ، فيقولُ لرسولِهِ خُذْ ما تَيسَّرَ ، واتْرُكْ ما عسُرَ وتَجاوَزْ لعلَّ اللهَ يَتجاوزُ عَنّا فلماَّ هلك ، قال اللهُ له : هل عمِلْتَ خيراً قطُّ ؟ قال : لا إلّا أنّه كان لي غلامٌ ، وكنتُ أُداينُ النّاسَ ، فإذا بعثْته يَتقاضٰى قلتُ له : خُذْ ما تَيسَّر واتْرُكْ ما عَسُرَ وتجاوَزْ لعلّ اللهَ يتجاوَزُ عنّا . قال الله تعالى : قَدْ تَجاوزْتُ عنْكَ[6] . وفى رواية : أن اللهَ سبحانه وتعالى يقول : نحنُ أحقُّ بذٰلكَ تجاوَزُوا عْنه[7] .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف .
(٢) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير والأوسط .
(٣) رواه أحمد بإسناد جيد .
(٤) رواه ابن أبى الدنيا فى اصطناع المعروف .
(٥) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .
(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) رواه مسلم .

« فضل العفة وشرف الإستغناء عن الناس »

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الفضل لِمن صبر على حاله ، وكفّ نفسه عن الحرام ، وقنع باليسير من العطاء ، وتعفّف عن سؤال الناس ، وأقبل على العمل مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من نزلتْ به فاقةٌ فَأَنْزَلَها بالنّاسِ لم تُسَدَّ فاقتُه ومَنْ نَزلتْ به فاقة فأنزلَها باللهِ فيوشِكُ اللهُ له برزقٍ عاجِلٍ أو آجِلٍ[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مَنْ جاعَ أو احْتاجَ فكَتَمه النّاسَ وأفْضٰى به إلى اللهِ تعالى كان حقًّا عَلٰى اللهِ أنْ يَفْتحَ له قُوتَ سنةٍ مِنْ حلالٍ[2] .

وقد أخبر ﷺ أن ما يأتى إلى الإنسان من غير شره وحرص فهو مبارك .

فعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : إنَّ هٰذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ فمَنْ أَعْطَيناه منها شيئاً بطِيبِ نفْسٍ منا ، وحُسْنِ طَعْمةٍ منْه من غيرِ شَرَهِ نفْسٍ بورِكَ له فيهِ . ومن أَعْطَيناه منها شيئا بغيرِ طيبِ نفْسٍ منا وحُسْنِ طَعْمةٍ منه وشَرَهِ نفْسٍ كان غيرَ مبارَكٍ له فيه[3] .

وفى رواية لمسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّما أنا خازِنٌ ، فمن أعطَيتُه عَنْ طِيبِ نفسٍ فمُبارَكٌ له فيه ، ومن أَعْطَيتُه عن مسْألةٍ وشَرَهِ نفْسٍ كان كالَّذى يأكُلُ ولا يشْبَعُ .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال حديث حسن صحيح ثابت ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد إلا أنه قال فيه : أرسل الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى آجل . ومعنى يوشك : يسرع .

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه وروى أحمد والبزار منه الشطر الأخير نحوه باسناد حسن . ومعنى [الشره] الحرص .

وأخبرنا ﷺ أن المتعفف محبوب عند الله سبحانه وتعالى .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لا يؤْمِنُ عبدٌ حتى يأْمَنَ جارُه بَوائِقَه ، ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضيفَه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقُلْ خيراً أو لِيسْكُتْ ، إن اللهَ يُحِبُّ الغنِيَّ الحليمَ المتعفِّفَ . ويُبْغضُ البذِيَّ الفاجرَ السائلَ المُلحَّ (١) .

قوله « بوائقه » مهلكاته وضرره . وقوله « البذي » قبيح اللسان وقوله « السائل » أى كثير السؤال .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عُرِض عليَّ أوّلُ ثلاثةٍ يدْخُلونَ الجنَّةَ ، وأوّلُ ثلاثة يدخلون النّارَ ، فأمّا أولُ ثلاثةٍ يدْخُلونَ الجنَّةَ فالشَّهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ أحْسنَ عبادة ربِّه ونَصحَ لسيِّدِه وعفيفٌ متَعفِّفٌ ذوْ عيالٍ (٢) .

قوله : نصح لسيده ، أى أدى حقوق الله وحقوق سيده وحفظ ماله ورعى الأمانة . وقوله : ذو عيال . أي له أسرة ينفق عليها وأهل وأولاد ، وجد فى عمل وقنع برزق الله له وجاء فى الادعية المأثورة : اللهم أسْألُكَ العِفَّةَ والغِنى .

والمتعفف يده عُليا كما جاء فى الحديث : اليَدُ العُليا خيرٌ مِنَ الْيدِ السُّفْلى (٣) .

قال عبد الوارث : اليد العليا المتعففة .

والمتعفف المستغنى بالله القانع بما أعطاه مولاه يرضاه الله ويفتح له باب رحمته ويرزقه الله الغنى والسعادة ويملأ قلبه إيمانا وقناعة . قال ﷺ : مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ ، ومَنْ يَقْنَعْ يُقَنِّعْه اللهُ (٤) .

---

(١) رواه البزار .

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه مالك والبخارى .

(٤) رواه البزار .

وفى رواية : ومَنِ اسْتعفَّ يُعِفَّه اللهُ ، ومن يَتصبَّر يُصَبِّرْهُ اللهُ وما أَعْطى اللهُ أحداً عطاءً هو خيْرٌ له ، وأوسَعُ من الصَّبرِ[1] . قوله : من يتصبر . أي يعالج فى الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا ، وقوله : يصبره الله . أي يرزقه الله الصبر وقال بعضهم : من يطلب العفة عن السؤال ولم يظهر الفقر يصيره الله عفيفا . ومن ترقى وأظهر الإستغناء عن الخلق ملأ الله قلبه غنى .

وقد بشر ﷺ القانع بالجنة فقال : طُوبى لمَنْ هُدِىَ للإِسلامِ وكان عيشُه كَفافاً وقَنِعَ[2] . والكفاف من الرزق ماكف عن السؤال مع القناعة .

« وطوبى » هى شجرة كبيرة فى الجنة . وقيل : اسم من أسماء الجنة .

كما بشر ﷺ من قنع بالفلاح فقال : قد أفلح مَنْ أسْلَمَ وَرُزِقَ كَفافاً وقنَّعهُ اللهُ بما آتاه[3]

ولذلك لم تكن كثرة المال هى مقياس القناعة ، ولا قلته هى مقياس الفقر ، ومن هنا يقول أبو ذر رضى الله عنه : قال لي رسولُ الله ﷺ يا أبا ذَرٍّ : أترى كثْرةَ المالِ هو الغِنىٰ ؟ قلتُ : نَعم يا رسول الله . قال : أفَترى قِلَّةَ المالِ هو الفَقْرَ ؟ قلت : نعمْ يا رسولَ اللهِ . قال : إنَّما الغِنىٰ غِنٰى القلْبِ والفقْرُ فقْرُ القلْبِ[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ليس الْغِنىٰ عَنْ كَثْرةِ العَرَضِ ولكنَّ الغِنىٰ غنى النَّفْسِ[5] .

ويخبرنا ﷺ أن عز المؤمن هو استغناؤه عن الناس[6] ، وقد استعاذ ﷺ

---

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم والترمذى .
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .
(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط بسند حسن .

من النفس التى لا تشبع[1] ، وأخبرنا أن مَنْ أصبحَ آمِناً فى سِرْبِه مُعافًى فى بدنِه فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنْيا بِحَذافِيرِها . أى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها .

أما ما يأتى من غير سؤال فهو خير وبركة ، قال ﷺ لعمر بن الخطاب : فأمَّا ما كان عنْ غيرِ مسألةٍ فإنَّما هو رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللهُ[2] .

وقال لعائشةَ : يا عائشةُ مَنْ أعْطاكِ عطاءً من غير مسألة فاقبَليهِ ، فانَّما هُو رِزْقٌ عَرَضه اللهُ إليكِ[3] .

وقال لخالد بن على الجهنى فى هذا الباب : فانما هو رزقٌ ساقَه اللهُ عزّ وجل إليك[4] .

ولا يظن الآخذ المحتاج المستحق بأنه مذموم مطرودٌ أو ناقص . فقد بشره ﷺ بقوله : ما المُعْطى مِنْ سَعَةٍ بأفضلَ من الآخِذِ إذا كان مُحْتاجاً[5] .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : ما الَّذى يُعْطى بسَعَةٍ بأعْظَمَ أجْراً من الَّذى يَقْبَلُ إذا كان محتاجا[6] .

أي ليس المتصدق من مال وفير وخيرات كثيرة أفضل عند الله من الفقير الذى يقبل الصدقة لله معتمداً على مولاه حامداً وشاكراً لله فان الله ربهما ، وأراد للأول الغنى ليختبره وأراد للثانى الفقر ليختبره سبحانه ، فعله لحكمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبٰادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ولٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبٰادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ ٢٨ ﴿ وَهُوَ الَّذى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مٰا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وهو الْوَلِيُّ الْحَمِيْدُ ﴾ ٢٩ من سورة الشورى .

---

(١) كما جاء فى الحديث . اللهم أنى أعوذبك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مالك .

(٣) رواه أحمد والبيهقى .

(٤) رواه أحمد باسناد صحيح .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن حبان فى الضعفاء .

« شرف الأمانة والوفاء بالوعد »

ومن شرف هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب والفضل لمن أنجز الوعد والأمانة .

فمن ذلك أنه مضمون له الجنة ، كما جاء فى الحديث الذي رواه عبادة ابن الصامت عن رسول الله ﷺ : اِضْمَنُوا لِي أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ : أُصْدُقُوا إذا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وأَدُّوا إِذَا أئْتُمِنْتُمْ[1] ، الحديث .

ومما يدل على شرف الأمانة وفضلها والوفاء بالوعد ما جاء من التحذير الشديد عن الخيانة وخلف الوعد كقوله ﷺ : لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ[2] .

وفى رواية عن على من حديث طويل : إنه لَا دِيْنَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا صَلَاةَ لهُ وَلَا زَكَاةَ لَهُ[3] .

وكقوله ﷺ : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حدَّثَ كَذَبَ ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ[4] .

ورواه ابو يعلى من حديث أنس أنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وإن صَامَ وصلَّى وحجَّ واعْتَمَرَ وقالَ إِنِّى مُسْلِمٌ ، الحديثَ .

وكقوله ﷺ : إذا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنِ يومَ القيامةِ يَرْفَعُ لكلِّ غادِرٍ لواءً فقيل : هذه غَدْرَةُ فلانٍ ابنِ فلان[5] .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عمر .

(٣) رواه البـزار .

(٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٥) رواه مسلم وغيره .

فضل إصطناع المعروف إلى المسلمين
وقضـاء حـوائج الملهـوفين

ومن شرف هذه الأمة ما جعله الله تعالى لها من الفضائل العظيمة والمزايا الكريمة لمن صنع المعروف ، وأغاث الملهوفين ، وسعى في قضاء حوائج الخلق ، ومنفعة إخوانه ، واجتهد فى تفريج كرباتهم ، وستر عيوبهم ، والشفاعة لهم ، وإدخال السرور عليهم ، وإجابة دعوتهم ، وعيادة مريضهم والذب عن أعراضهم ، ونصر مظلومهم ، ورحمة ضعيفهم ، وإقالة عثرتهم والسعى في الإصلاح بينهم .

وكل هذه المعانى مؤيدة بالأحاديث النبوية والآثار السنية الواردة عن كبار الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وقد جمع في ذلك الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى أربعين حديثاً نذكر بعضها مع بيان بعض معانيها ، ونزيد عليها بعض ما ظفرنا به .

فمن ذلك أن الساعي في نفع المسلمين هو أحب الخلق إلى الله لما جاء فى الأحاديث .

(١) عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الخَلْقُ عِيالُ اللهِ فَأَحَبُّ خَلْقِه إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيالِه »[١].

ومعنى عيال الله فقراء الله . فالخلقُ كلهم فقراء الله وهو الذى يعولهم ، ويشهد لهذا الحديث ما جاء في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ انه قال : « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

(٢) ومن ذلك ـــ أنه من الآمنين من عذاب الله يوم القيامة .

لما جاء في الحديث عن ابن عمر ـــ رضى الله عنهما ـــ مرفوعاً : « إِنَّ لله

(١) رواه البزار والطبرانى فى معجمه .

عَزَّ وجلَّ خلْقاً خَلقَهُمْ لحَوائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ إِلَيهِمْ النَّاسُ فِي حَوائِجِهِمْ أولٰئكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذابِ اللهِ تعالى »[1].

(٣) ومن ذلك — أنه يوضع له منبر من نور يوم القيامة .

كما روى فى الحديث عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إنَّ لِلهِ عِباداً خَلَقَهُمْ لحوائِجِ الناس آلىٰ « أى حَلَفَ » عَلى نَفْسِهِ ألاَّ يُعَذِّبَهُمْ بِالنَّارِ. فَإذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ وُضِعَتْ لَهُمْ مَنابِرُ مِنْ نُورٍ يُحَدِّثُونَ اللهَ تَعَالَى والنّاسُ فى الحسَابِ »[2].

وفى رواية أن النبى ﷺ قال : « إنَّ لِلهِ مِنْ خَلْقِه وُجُوْهاً خَلَقَهُمْ لِحوائِجِ النّاسِ يَرْغَبُوْنَ فِي الآخِرَةِ ، ويَعُدُّوْنَ الجُودَ مَتْجَرًا واللهُ يُحِبُّ مَكارِمَ الأخلَاقِ » .

ومن ذلك — أن المصطفى ﷺ يقف عند ميزانه فإن رجح وإلَّا شفع له[3]

ومن ذلك — أن الله يغفر له ذنبه ، ويكتب له براءتين ، براءة من النفاق ، وبراءة من النار[4].

ومن ذلك — أن الله يعينه على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام كما جاء فى الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كَانَ وُصْلَةً لأَخِيه الْمُسْلِمِ إِلىَ ذى سُلْطَانٍ فِي مَنْفَعَةِ بِرٍّ أوْ تَيْسِير عُسْرٍ أعَانَهُ اللهُ عَلىٰ إجَازَةِ الصِّراطِ يَوْمَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ » .

ومن ذلك — أن من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة ،

---

(١) رواه الطبرانى ، وهو حديث حسن .
(٢) رواه ابن حبان فى غير صحيحه .
(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية .
(٤) رواه المنذرى فى الأربعين .

واحدة منها يصلح الله بها آخرته ، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة[(١)]

وفى رواية : كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة .

ومن ذلك ــ « أن من فرّج عن مؤمنٍ كُرْبَةً جعل اللهُ له شُعْلَتَيْنِ مِنْ نورٍ يَسْتَضِيْءُ بهما عَالَمٌ لا يُحْصِيهِ إلا ربُّ العزة »[(٢)]

ومن ذلك ــ أن من فرج عن مؤمن كربة فرج الله له كربة من كرب يوم القيامة .

كما جاء فى الحديث عن مسلمة بن مخلد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله عزّ وجل في الدنيا والآخِرَة ، وَمَنْ فَكَّ عَنْ مَكْرُوْبٍ كُرْبَةً فَكَّ اللهُ عز وجلَّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ وَمَنْ كَانَ فى حَاجَةِ أخيهِ كانَ اللهُ فى حَاجَتِهِ »[(٣)]

ومن ذلك ــ أن الله يباعد بينه وبين النار سبع خنادق .

ومن ذلك ــ أنه يكون له من الأجر كمن خدم الله عمــره .

ومن ذلك ــ أنه يكون له ثواب المجاهدين فى سبيل الله ، وأن له بكل خطوة يخطوها سبعين حسنة ، وكفر عنه سبعين سيئة ، فإن قُضِيَتْ حاجتهُ على يديه خرج من ذنوبه كيومَ ولدته أمه ، فإن مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب .

ومن ذلك أنه يُظِلُّه خمسةٌ وسبعون ألفَ مَلكٍ يَدْعُونَ له ويُصَلُّون عليه .

ومن ذلك ــ أن إدخال السرور على المسلم من موجبات المغفرة وهو من أفضل الأعمال وأن الله يستره يوم القيامة ولا يرضى له ثواباً دون الجنة .

ومن ذلك ــ أن فعل المعروف هو أفضل الصدقات .

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار والبيهقى فى تاريخه وبشواهده فى الباب يصير صالحاً .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٣) رواه الطبرانى ، وروى مسلم معناه .

كما جاء فى الحديث عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ اللِّسانِ ، قيل يا رسولَ الله وما صدقةُ اللسانِ ؟ قال : الشفاعةُ تَفُكُّ بها الأسيرَ وتَحْقِنُ بها الدَّمَ وتَجُرُّ بها المعروفَ إلى أخِيكَ وتَدْفَعُ عنه كريهَتَه[1]] .

ويشهد لهذا الحديث ما جاء فى اصطناع المعروف للخرائطى عن سمرة ابن جندب مرفوعاً :

مٰا مِنْ صدَقَةٍ أفضَلُ من صدقةِ اللسانِ ، قال وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : الشفاعةُ تحقِنُ بها الدَّمَ وتجُرُّ بها المعروفَ إلى آخَرَ وتدْفَعُ بها المكْرُوهَ عن آخرَ .

ومن ذلك — أن من أقال مسلما عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة[2] .

ومن ذلك — أن أهل المعروف هم مفاتيح الخير فطوبى لهم وحسن مآب جاء فى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

[قال اللهُ عزَّ وجلَّ : أنا اللهُ قدَّرْتُ الخيرَ والشَّرَّ فطُوبٰى لِمَنْ جَعَلْتُ مفاتِيْحَ الخَيْرِ على يَدَيْهِ ، ووَيْلٌ لِمَنْ جَعَلْتُ مفاتِيْحَ الشَّرِّ علىٰ يدَيْهِ[3]] .

[قال فى سنن ابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه مرفوعاً :

[إنَّ هذٰا الْخَيْرَ خَزَائِنُ . لِتِلْكَ الخزَائِنِ مَفاتِيْحُ ، فطُوْبىٰ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيرِ مِغْلَاقاً لِلشَّرِّ ، ووَيْلٌ لعبدٍ جعلهُ اللهُ مِغْلاقا للخيرِ مِفْتَاحاً للشرِّ] .

---

(١) رواه الطبرانى فى المكارم .

(٢) رواه ابن حبان والطبرانى وأبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه الطبـرانى .

ومن ذلك أن صنائع المعروف تحفظ العبد من الآفات والعوارض وتدفع عنه الشر والبلاء .

جاء فى الحديث عن معاوية بن حيدة عن رسول الله ﷺ قال : [إنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وإنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوْفِ تَقى مصارِعَ السُّوء . وإن صِلةَ الرَّحِمِ تزيْدُ فى العُمُرِ وتَنْفى الفَقْرَ وَأَكْثِرْ من قولِ « لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ » فإنَّها كنْزٌ مِنْ كنوزِ الجنَّةِ وإنّ فيها شِفَاءً من كلِّ داءٍ أدْناها الهَمُّ[1] .

ومن ذلك ــ أن إصلاح ذات البين أفضل من نوافل الصيام والصلاة والصدقة[2] .

ومن ذلك ــ أن الله سبحانه وتعالى ينشر له يوم القيامة ذكراً على رؤوس الأشهاد يشهده الخاص والعام .

جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يُنادى مُنادٍ يومَ القيامة : لَا يَقُوْمُ اليومَ أحَدٌ إلا عَنْدَ اللهِ يَدٌ ، فَتَقُولُ الخَلَائِقُ سُبحَانَكَ بَلْ لَكَ الْيَدُ ، فَيَقُوْلُ ذلِكَ مرارًا ، فيقولُ : بَلىٰ مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيا بَعدَ قُدْرَةٍ »[3] .

وجاء فى مكارم الأخلاق للطبرانى عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً :

« إذا وَقَفَ العبدُ للحساب ينادى منادٍ : لِيَقُمْ مَنْ أجْرُهُ عَلىٰ اللهِ فيُقالُ وَمَنْ أجْرُهُ علىٰ الله ؟ فيقولُ العافون عَنِ الناسِ ، فقامَ كذا وكذا فدَخَلُوهَا بِغيرِ حسابٍ » .

فهذه الأحاديث منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو دون ذلك ، وبعضها يجبر بعضا وهى كلها تدل على فضل المعروف والإحسان ، وهناك أحاديث كثيرة فى هذا المعنى تركناها واقتصرنا على هذه ، وفضل الله واسع والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه أبو داود والترمذى ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

فضل مكافأة صاحب المعروف والإحسان

الإســـلام دين الوفاء

ومن فضائل هذه الأمة أن الإسلام يغرس فى قلوب أبنائه الوفاء وحفظ الجميل ومعرفته لأصحابه ، وذلك بشكرهم والدعاء لهم ، والإقرار بالإعتراف بفضلهم .

وقد أمرنا بذلك ﷺ فقال : مَنْ أتى إليكم معروفاً فكافِئوه ، فَإنْ لم تجدوا فَادْعُوا لَه حَتَّى تَعْلموا أنْ قَدْ كافأتموه »(١) .

وفى رواية : « مَنْ اصْطَنع إليكم معروفا فَجازُوه ، فإنْ عَجزتم عن مُجازاتِه فادْعوا له حَتى تعلموا أنْ قَدْ شكرتم ، فإن الله شاكرٌ يُحبُّ الشاكرين »(٢) .

وفى رواية : « من أُعطِى عَطاءً فوجَدَ فليجْزِ به ، فإن لم يجِدْ فليُثْنِ ، فإنّ مَنْ أثْنَى فقد شَكَرَ ، ومن كَتم فقد كفر ، ومن تحلّى بما لم يعطَ كان كلابِسِ ثوبَىْ زُورٍ »(٣) .

وفى رواية : « من أولِي معروفاً ، أو أسْدِىَ إليه معروفٌ ، فقال : للذى أسْداه : جزاكَ اللهُ خيراً ، فقد أبْلَغَ فى الثَّناءِ » .

وفى رواية : « إذا قال الرجل جزاك الله خيراً ، فقد أبلَغَ فى الثَّناءِ »(٤) .

والشاكر للمعروف المثنى على أهله خيراً ، هو أشكر الناس لله تبارك وتعالى :
قال رسول الله ﷺ : « إن أشْكَرَ الناسِ للهِ تبارك وتعالى أشكَرُهُمْ للناسِ » .

وفى رواية : لا يشكُرُ الله مَنْ لا يشكُر الناسَ »(٥) .

---

(١) رواه ابو داود والنســـائى .
(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب . وأبو داود .
(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب .
(٤) رواه الطبرانى فى الصغير .
(٥) رواه أحمد والطبرانى .

ويقابله الجاحد الذى لا يثمر فيه الخير ولا يعرف الفضل لأهله ، فهو أيضاً جاحد نعمة الله تعالى .

فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يشكرِ الْقليلَ لم يشكر الكثيرَ ، ومن لم يشكُرِ الناسَ لم يشْكرِ اللّه ، والتحدُّثُ بنعمةِ الله شُكْرٌ وتَرْكُهَا كفرٌ ، والجماعةُ رحمةٌ ، والفُرقةُ عذابٌ »[١].

والدعاء كاف فى تحقيق الثناء ، فقد جاء فى الحديث ، عن أنس رضى الله عنه قال قال المهاجرون : يا رسول الله ذهب الأنصارُ بالأجر كله ما رأينا قوما أحسنَ بذلاً لكثير ولا أحسن مواساةً فى قليل منهم ، لقد كفَوْنا المؤنةَ . قال : أليس تُثْنُون عليهم به وتَدعون لهم ؟ قالوا : بلى قال : فذاك وذاك »[٢].

شــرف الصـائمين من هذه الأمـة

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التى يختص بها الصائم من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة سنذكر أهمها مع الدليل .

اختص الله الصائمين بباب فى الجنة يدخلون منه يوم القيامة إظهارا لشرفهم وفضلهم ينادى مناد على رؤوس الأشهاد أين الصائمون فيراهم القاصى والدانى وتمتد إليهم الأبصار وتشرئب الأعناق ويتمنى متمن أن لو كان معهم وفى ركبهم الميمون ويتحسر متحسر على ما فاته فى الدنيا من فرصة العمل والجد وما ضاع عليه من أوقات ثمينة وساعات عديدة ، يُصَوّر ﷺ هذا المشهد فيقول : « إنَّ فى الْجَنَّةِ باباً يُقَال له الرَّيَّانُ يَدْخُلُ منه الصائِمونَ يومَ القيامَةِ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أحدٌ غيرهُمْ يُقَالَ : أيْنَ الصَّائِمُون فيَقومُون فإذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أحَدٌ »[٣].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده باسناد لا بأس به . ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف .

(٢) رواه أبو داود والنسائى واللفظ له .

(٣) أخرجه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد .

واختص الله سبحانه وتعالى الصائمين أيضاً بأن جعل صومهم لهم حصناً حصيناً من النار وسترا يقى صاحبه مما يؤذيه من الشهوات يقول ﷺ « الصِّيَامُ جُنَّةٌ حَصِيْنَةٌ مِنَ النَّارِ »(١).

ثم يبين لنا ﷺ حقيقة هذا الصوم الذى يحفظ صاحبه من النار فيقول « الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا بِكَذِبٍ أَوْ غِيْبَةٍ »(٢).

وكأنه يقول : « إن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصى قولا وفعْلا . ولذلك حث الصائم أن يلتزم مسلك الفضيلة ويبتعد عن دواعى الرذيلة حتى يتحقق بالصيام الذى هو جنة فيقول : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ فَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً فَلَا يَجْهَلْ يَوْمئِذٍ وَإِنِ أمْرُؤٌ جَهِلَ عليه فَلَا يَشْتُمْهُ ولَاَ يَسُبَّهُ وَلْيَقُلْ إِنّى صَائِمٌ »(٣).

واختص الله الصائم أيضاً بأن جعل تغير فمه أطيب من ريح المسك فقال : وَلَخَلُوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيْحِ الْمِسْك . والخلوف تغير الفم من الصوم .

واختص الله الصائم بأن جعل له فى صيامه فرحتين فإذا أفطر فرح وإذا لقى الله فرح ففرحه بفطره تعبير صادق عن شُكره التام لربه الذى وفقه لإتمام صوم ذلك اليوم ومكنه بواسطة تمام صحته وقوته فأدى عبادة يومه كاملة غير ناقصة فهو فى فرحه هذا فى عبادة لأن الشكر عبادة وذكر وفرحهُ بلقاء الله اطمئنان بوعد الله ويقين جازم بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثواب عليه يقول ﷺ عن ذلك « وَإِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ . إذا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإذاَ لَقِىَ الله فَرِحَ »(٤).

---

(١) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب .

(٢) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه النسـائى .

(٤) رواه مسلم فى الصحيح .

واختص الله الصائم بأن جعل له فى صومه الصحة والشفاء من كثير من الأمراض ففى الحديث « صُومُوا تَصِحُّوا »[1] .

وأخرج البيهقى عن على كرم الله وجهه قال ﷺ « إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلى نَبِيٍّ مِنْ بَنى إِسْرَائِيْلَ أَنْ أَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَيسَ عَبْدٌ يَصُومُ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِى إِلاَّ أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ » وسر ذلك أن للصوم تأثيراً عجيباً فى حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحمايتها من التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة وذلك من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴾ .

واختص الله الصائم بإبعاد وجهه عن النار فلا ترى عينه أيّ مشهد من مشاهد النار . يقول ﷺ « مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِيْنَ خَرِيفاً »[2] .

وفى رواية النسائى عن عقبة بن عامر « بَاعَدَ اللهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيْرَةَ مِائَةِ عامٍ » .

ومما اختص الله سبحانه وتعالى به الصائم ما ورد في القرآن من فضائلهم التى قال كثير من العلماء فى كثير منها : إن المراد بها الصائمون . منها قوله تعالى ﴿ السائحون ﴾ فسر بالصائمين لأنهم ساحوا إلى الله عز وجل أى وصلوا إليه بسبب خروجهم عن مألوفاتهم ومقاساتهم عناء الجوع والعطش .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ ﴾ قيل الصابرون هم الصائمون لأن الصبر إسم من أسماء الصوم فحينئذ يفرغ للصائم من خزائن الفضل والجود والكرم ما لا يحصيه الحساب ولا يقدره إلا رب الأرباب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا

---

(١) رواه ابن السنى وأبو نعيم .

(٢) أخرجه أحمد والشيخان والنسائى عن أبى سعيد الخدرى وعند ابن ماجه عن أبى هريرة . وفى رواية النسائى عن عقبة بن عامر باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام .

كَانُوا يَعْمَلُوْنَ ﴾ قيل عملهم الذى جوزوا عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هو الصوم .

واختص الله تعالى الصائم بأن جعل حاله كله عبادة وطاعة فهو إن صمت عن فضول الكلام فى طاعة وان نام ليتقوى على القيام فى طاعة أيضاً روى عنه ﷺ « صَمْتُ الصَّائِمِ تَسْبِيْحٌ وَنَوْمُهُ عِبادَةٌ ودُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ وعَمَلُه مُضَاعَف »(١) . ففى فطوره له فرحة الشكر وهى عبادة وله فى ذلك الوقت دعوة مستجابة كما ثبت فى الحديث « لِلصَّائِم عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ »(٢) .

ولا يخلو أن يدخل فى ذلك الوقت ضمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار فى تلك الساعة كما ثبت فى الحديث « أن لله تعالى عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ وذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ »(٣) ، وسحوره بركة كما ثبت ذلك فى الحديث الشريف وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة .

واختص الله الصائم بأن جعل لمن فطّره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه . وفى سبيل إكرام الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لقمة خبز أو شربة ماء .

فقال ﷺ : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً فى رَمضَانَ مِنْ كَسْبٍ حَلالٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئكَةُ لَيَالِيَ رَمَضَانَ كُلَّهاَ وصَافَحَهُ جِبْريل لَيْلَةَ الْقَدْرِ ومَنَ صَافَحَهُ جِبْرِيْلُ تَكْثُرُ دُمُوْعُهُ وَيرِقُ قَلْبُهُ فقَالَ رَجُلٌ : يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدهَ ؟ قَالَ فَلُقْمَةُ خُبْز قَالَ : أرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْده ؟ قال : فَقَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ قَالَ : أَفَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَه ؟ قَالَ فَمَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ قال : أفرأيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْده ؟ قال : فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ »(٤).

---

(١) رواه الديلمى عن ابن عمر . وأخرجه ابن منده وسنده ضعيف .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم وأبو داود الطيالسى والبيهقى .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبرانى والبيهقى .

(٤) أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان فى الضعفاء .

واختص الله الصائم بأنه إذا أكل وعنده جماعة مفطرون وهو يشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلا حرمة الصّيام فإنه تصلى عليه الملائكة .

ففى الحديث « أنَّ الصائِم إذَا أُكِلَ عِنْدَه لَمْ تَزَلْ تُصَلِّى عَلَيْهِ المَلائِكَةُ حَتّى يُفْرَغَ مِنْ طَعَامِه »(١) .

وفضائل الصوم مطلقاً كثيرة .

فمنها أن الله تعالى أضاف ثوابه إليه دون سائر العبادات فقال : « الصَّوْمُ لى وَأنا أجْزى بِهِ»(٢) .

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى الله تعالى إضافة تشريف إعلانا بأن ثوابه وصل غاية تقصر العقول عن إدراكها وأيضاً لأنه لم يتقرب إلى الله عزّ وجلّ بالصوم لذاته . وصوم أصحاب الهياكل والإستخدامات للنجوم ليس لذات الهياكل والنجوم لأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها . فصومهم فى الحقيقة لربها وأيضاً لأن فى الصوم إشارة إلى سر صمديته تعالى دون سائر العبادات وأيضاً لأن الإستغناء عن الطعام وسائر الشهوات من صفاته تعالى والصوم فيه نوع يوافقها فلذلك أضافه تعالى إليه ومن ثم قال القرطبى : معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصوم فإنه مناسب لصفة من صفات الحق فكأنه تعالى يقول : ﴿ إن الصوم يتقرب إلىّ بأمر هو من صفاتى ﴾ .

وأيضاً فإن الصوم فيه ترك جميع حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التى جبلت على الميل إليها لله تعالى ولا يوجد ذلك فى عبادة أخرى ألا ترى أن الإحرام بالحج أو العمرة وإن حرم معه كثير من المباحات كالطيب والنساء والصيد واللباس إلا أنه لا يحرم معه الأكل والشرب الذى به قوام الحياة . وهذا وإن كان حرم في الصلاة إلا أنه لوقت محدود لا يتجاوز خمس دقائق .

---

(١) أخرج أحمد والترمذى .

(٢) وهو حديث صحيح ثابت .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين ــ أن صيامهم يشفع لهم يوم القيامة .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصِّيَامُ والقُرْآنُ يَشْفَعَان لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . يَقُوْلُ الصِّيَامُ : أَىْ رَبِّ ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنى فِيْهِ ، وَيَقُول القُرآن : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنى فِيْهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ »(١) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين ــ أن صومهم تطوعاً يعدل ملء الأرض ذهباً .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ يَوْماً تَطَوُّعاً ثُمَّ أُعْطِىَ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَباً لَمْ يَسْتَوْفِ ثَوَابَهُ دُوْنَ يَوْمِ الْحِسَابِ»(٢) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين ــ أن الله قضى على نفسه أن من أعطش نفسه له في يوم شديد الحر كان حقاً عليه تعالى أن يرويه يوم عطش الناس يوم القيامة .

فقد جاء « أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : ياأهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً . قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم صائف سقاه الله يوم العطش »(٣) .

وفى رواية « أن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطّش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة »(٤) . قال الراوى : وكان أبو موسى

---

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله محتج بهم فى الصحيح ورواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٣) رواه البزار بإسناد حسن من حديث ابن عباس .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا .

يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرّاً فيصومه .

وأخبر النبى ﷺ أن الصوم زكاة الجسد .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ ، وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ والصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ »(١) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين ـــ أن الصيام فى رمضان سبب لغفران الذنوب .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَاناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَاناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه »(٢) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين أن الله تعالى اختصهم فى رمضان بخمس خصال لم يُعطهن الأمم السابقين . فقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيَتْ أُمَّتى خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ : خَلُوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيْحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحِيْتَانُ حَتّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيِّنُ الله عَز وجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّته ثُمَّ يقولُ : يُوْشِكُ عِبَادى الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُم المُؤْنَةَ وَيَصِيْرُوا إِلَيْك ، وَتُصْفَدُ فِيْهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِيْنِ فلا يَخْلُصُوا فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره ، ويغفر لهم في آخر ليلة ، قيل : يارسول الله : أهى لَيلةُ القدرِ ؟ قال : لا ولكنْ العامِلُ إنما يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَه » (٣) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين . أنّه جعل لهم صيامهم رمضان كفارةً لذنوبهم .

---

(١) رواه ابن ماجــه .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه مختصرا .

(٣) رواه أحمد والبزار والبيهقى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ ، وَرَمَضَانُ إلى رمضانَ مُكَفِّراتُ ما بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ » رواه مسلم .

شرف الحجاج من هذه الأمة

فضائل الحاج وشرفه :

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ، تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التى يختص بها الحاج من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة وسنذكر أهمها مع الدليل :

الأول : أن الحاج حجه يهدم ما قبله . عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : «لمَّا جعلَ اللهُ الإسلامَ في قلبِي ، أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : أُبسُطْ يدَك فَلأُبايِعْكَ ، قال : فبسَطَ فسقَطتْ يَدِى فقال : مالكَ ياعمروُ . قلتُ : اشْتَرِطُ قال : تَشْتَرِطُ ماذا ؟ أن يُغفرلِي قال : أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهدِمُ ما قَبْله والهِجرةَ تَهْدِم ما قبلها ، وأنّ الحجّ يَهدِم ما قبله »(١) .

الثانى : أن الحاج مجاهد : وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جِهادُ الكبير والصغير والمرأة الحجُّ والعُمرةُ »(٢) .

وعن عثمان بن سليمان عن جدته أم أبيه قالت : « جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال : إنّى أُريدُ الجهادَ فى سبيل الله فقال : حُجَّ البيتَ »(٣) .

وعن عمر أنه قال : إذا وضعتم السُروج فشُدّوا الرحالَ للحجّ والْعُمْرَةِ فإنها أحدُ الجهادَين »(٤) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أخرجه النسائى .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور .

(٤) أخرجه أبو ذر .

الثالث : أن الحاج من وفـد الله .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : « وَفْدُ اللهِ ثلاثةٌ : الغازِى ، والحاجُّ ، والمُعتمِر »(١).

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «الحُجّاجُ والعُمّارُ وَفْدُ الله إن سَألوا أعطُوا وإن دَعَوا أُجيبوا وإن أنفَقُوا أُخلِف علَيهم والذى نفسُ أبِي القاسم بيده : ما أهلَّ مُهِلٌّ ولا كبَّر مُكبِّرٌ علَى شَرفٍ من الأَشْرافِ إلّا هلَّل ما بيَن يدَيْه وكبَّر بتكبِيرِه حتَّى ينقطع مَبلغَ التراب . »(٢).

الرابع : أن الحاج مجـاب الدعـوة .

تقدم فى الفصل آنفاً طرف منـه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « خَمْسُ دعواتٍ لَا تُرَدُّ : دعوةُ الحاجّ حتى يَصدُرَ ، ودَعوةُ الغازى حتى يَرجع ودَعوةُ المَظْلُومِ حتى يُنصرَ ، ودعوة المريض حتى يبرأ ، ودعوةُ الأخِ لأخيهِ بالغَيْبِ ، أسرَعُ هؤلاء إجابةً دَعْوةُ الاخِ لأخِيه بالغَيْب » حديث صحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ولذلك كان من السنة أن يطلب من الحاج الدعاء وهذه السنة المطلوبة فعلها ﷺ مع عُمَر فإنه لما استأذنَ فى العُمرة فأذن له . قال له : « لَا تَنْسَنَا من دعائِك ، أو أَشْرِكْنا فى دُعائك »(٣).

الخامس : ان الحاج نفقته فى سبيل الله .

---

(١) أخرجه النسـائى .
وأخرجه ابن حبان فى التقاسيم والأنواع ، بتقديم بعض اللفظ وزاد فى بعض طرقه . دعاهم فأجابوا ، رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر هذه الزيادة وزاد : فسألوه فاعطاهم وذكره ابن الحاج فى منسكه .

(٢) أخرجه تمام الرازى فى فوائده . وأخرجه ابن الجوزى فى كتاب « مثير الغرام الساكن » من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقال فى اخره : حتى يبلغ منقطع التراب .

(٣) رواه أبو ذر الهروى .

وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : «النفقةُ فى الحَجِّ كالنفقة فى سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف »[1] .

السادس : أن الحاج درهمه بأربعين ألف ألف .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «إذا خَرج الحاجُّ من بيتِهِ كان فى حِرز الله فإن ماتَ قبل أن يَقضِىَ نُسُكَه وقَع أجْرهُ على الله ، وان بقى حتى قضى نسكَه غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّرَ ، وإنفاقُ الدِرهمِ الواحدِ فى ذلك الوجهِ يَعدِلُ أربعين ألفَ ألفٍ فيما سِواه »[2] .

السابع : أن الحاج نفقته مخلوفة .

ثبت فى الحديث : « الحُجّاجُ والعُمّار وَفْدُ الله إن سألوا أُعطُوا وإن دَعَوا أُجِيبُوا وإن أنْفَقُوا أُخلِف عليهم »[3] .

وفى رواية : أن الله تعالى يقول لملائكته : ﴿ واَخلِفُوا لهم ما أنفقُوا ﴾

الثامن : عن أبى أمامة وواثلة بن الأسقع قالا : قال رسول الله ﷺ : « أربعةٌ حَقٌّ على اللهِ عز وجل عَونُهم : الغازِى والمتزوّجُ والمُكاتَبُ ، والحَاجُّ » .

التاسع : عن أبى موسى الأشعرى قال : « الحاجُّ يَشْفَعُ فى أربعمائةٍ من أهلِ بَيته »[4] .

وفى رواية المنذرى : « مَن جَاء حَاجّاً يُريد وجهَ الله غُفِر له وشُفِّع فيمَنْ دَعا له» .

العاشر : أن الحاج مغفور له .

عن جابر مرفوعاً : « ما من مُحرِمٍ يُضَحِّى لله يُلبِّى حتّى تَغِيبَ الشّمسُ إلا غابَت بذنُوبه فعادَ كما ولدَتْه أمُّه »[5] .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما .
(٢) ذكره فى القرى .
(٣) أخرجه تمام الرازى .
(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مسنده .
(٥) رواه ابن ماجـه .

وفى الحديث عن جابر : « إذا كَانَ يومُ عَرفة فإنَّ الله يَنزِل إلى السمآءِ الدنيا فيقولُ : أُنظُروا إلىٰ عِبادِى شُعْثاً غُبْراً ، إشْهَدُوا أنّي غَفَرْتُ لَهُم ذُنُوبَهم ، فتقول الملائكةُ : يارِبّ فلانٌ يُرْهِقُ — يعنى يأتى المحَارِمِ — قال : يقولُ الله عزّ وجل : قد غَفرتُ لَهم »(١) .

وهذه المغفرة العامة حتّى للتبعات ، فقد روى العباس بن مرداس : أن النبى ﷺ دعا لأمته عشيَّةَ عرفَةَ بالمغفرةِ فأُجيبَ : إنىّ غفرتُ لَهُم ما خلَا الظَّالِمَ فانّى آخِذ للمَظْلُومِ منه ، قال : أىْ ربّ إن شئتَ أعطيتَ المظلومَ من الخيرِ ، وغفرتَ للظالِم فلم يُجَبْ ، فلمّا أصبح بالمُزدلفةِ أعاد الدعاءَ فأُجيبَ إلى ما سأَلَ ، قال : فضَحِك رسول الله ﷺ أو قال : تبسَّمَ ، فَقَال له أبوُ بكر وعُمَر : بأبِى أنتَ وأمّي يارسولَ الله : إنّ هٰذِهِ لَساعةٌ ما كُنْتَ تَضْحَكُ فيها ، فما الذى أَضْحَكَ أضحك الله سنك قال : ان عَدُوّ اللهِ إبليسَ لما عَلِمَ أن الله عزّ وجل قد استَجابَ دُعائِى وغفَر أَخَذ الترابَ فجعَلَ يَحْثُوه عَلٰى رأسِهِ ويَدعُو بالوَيْل والثُّبُورِ فأَضْحَكنى مَارأيتُ مِنْ جَزَعِه »(٢) .

قلت : ولكن لابد من تقييد هذا الكلام بأن المراد بذلك هو من نوى على أداء الحقوق لأربابها ولكنه عاجز عن ذلك الوقت فهذا تشمله الرحمة الالٰهية بإذن الله وفضله . أما الظالم إذا تمكن من الأداء ولم يؤد أو إذا كان عاجزاً لكنه مصمم على عدم الأداء فالظاهر أنه لا تشمله الرحمة .

الحادى عشر : أن الحـاج يغفر لمن يَستغفِر له .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفِرْ للحاّج ولمن استَغفَر له الحاجُّ »(٣) .

(١) أخرجه فى شرح السنة البغوى .

(٢) رواه ابن ماجـه .

(٣) رواه البيهقى وصححه الحاكم .

وعن مجاهد قال : قال عمر رضى الله عنه : يُغفَر للحاج ولمن استغفر له الحاجُّ بقيةَ ذِى الحجة والمحرّم وصفَرَ وعَشْر من شهرِ رَبيعِ الأول »[1].

ولذلك كان ابن عمر يقول : إذا لقيت الحاجَّ فسلِّمْ عَليه وصافِحْه ومُرهْ أن يَستغفر لك قبل أن يَدخُلَ بيتَه »[2].

فكانوا يُحبّون أن يدخلُوا فى هذه الخصوصية .

الثانى عشر : أن الحاج يباهى الله به الملائكة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : « إن الله يباهِى بأهلِ عرفاتٍ ملائكةَ السماءِ »[3].

الثالث عشر : أن الحاج من أهل الجنة .

الحَجُّ الْمَبْرُوْرُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَبِرُّ الْحَجِّ إِطْعَامُ الطَّعامِ وَإِفشَاءُ السَّلامِ — فى رواية أحمد — والمعنى : أنه لا يُقتصَر فيه على تكفير بعض الذُّنوب بل لابد أن يَبلُغ به الجنة .

ولا غرابة بعد هذه الخصائص والمزايا التى إمتاز بها الحاج فى أن يحرص المسلم كل الحرص وتشتد رغبته ويعظم طلبه ويجتهد فى حضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قضوا فرضهم وأكثروا من التطوع بهذا النسك الشريف . قال بعضهم : رأيت فى الطواف كهلًا وقد أجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمداً عليها فقال لى : فى كم تقطعون هذا الطريق ؟ قلت : فى شهرين فقال : فهل تحجون كل عام ؟ فسكت فسألته : وكم بينكم وبين هذا البيت ؟ قال : مسيرة خمس سنين ، فقلت والله هذا هو الفضل المبين والمحبة الصادقة ، فضحك وأنشأ يقول :

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه وذكر هذا الحضراوى فى العقد الثمين ٣١ .
(٢) رواه أحمد فى مسنده .
(٣) رواه ابن حبان وأحمد .

زر من هويت وإن شطت بك الدار
وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته
إن المحب لمن يهواه زوار

وعن شقيق البلخى رحمه الله قال : رأيت فى طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض ، فقلت له : من أين أقبلت قال : من سمرقند ، قلت وكم لك فى الطريق فذكر أعواماً تزيد على العشرة فرفعت طرفى أنظر إليه متعجباً ، فقال : ياشقيق مالك تنظر إليّ متعجباً ؟ فقلت : أتعجّب من ضعف مهجتك وبعد سفرك ، فقال : ياشقيق ، أما بعد سفرى فالشوق يقويه وأما ضعف مهجتى فمولاها يحملها . ياشقيق ، أتعجب من عبد يحمله المولى اللطيف ، وأنشأ يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكه
والشوق يحمل والآمال تسعده
ليس المحب الذى يخشى مهالكه
كلا ولا شدة الأسفار تبعده

فضل تلاوة القرآن وشرف القرّاء من هذه الأمة

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ما أعده الله تعالى من الثواب العظيم والفضل الجسيم على تلاوة القرآن الكريم وما إختص به حملة هذا الكتاب من مناقب عديدة ومزايا حميدة .

فمنها ــ أن القارىء له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها بفهم أو بغير فهم .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالىٰ فَلَهُ بِهِ حسنةٌ والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ ألَمّ حَرْفٌ ولٰكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . (رواه الترمذى وغيره) .

قال الإمام النووى : إعلم أن المذهب المختار الصحيح الذى عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار إهـ يعنى لما فى الحديث : إنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَلٰى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلٰى خَلْقِهِ .

ومنها أن القارئ يلبس الله والديه تاجاً يوم القيامة روى أبو داود عن سهل بن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ أَلْبَسَ اللهُ وَالِدَيْهِ تَاجاً يَوْمَ الْقِيامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيه فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِى عَمِلَ بِه » .

ومنها ــ أن الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فيه وَهُوَ عَلَيْه شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » .

(متفق عليه)

يعنى : أن القارئ الذى يقرأ بدون تلعثم ومشقة هو مع السَّفَرَةِ السابقين والذى يقرأ بكلفة ومشقة فله أجران .

ومنها ــ أن القارئ في الدنيا لا يزال يترقى فى المنازل يوم القيامة : روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لِصاحِبِ الْقُرْآنِ إِقْرَأْ وارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِى الدُّنْيا فَإِنّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » .

ومنها أن القارئ لا يهوله الفزع الأكبر يوم القيامة روى الطبرانى بإسناد لا بأس به . عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَهُوْلُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَنَالُهُمْ الْحِسَابُ وَهُمْ عَلٰى كُثُبٍ مِنَ الْمِسْكِ حَتّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرآنَ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالٰى وأَمَّ قَوْماً وهُمْ بِهِ رَاضُوْنَ وَدَاعٍ ــ أى مُؤَذِّنٌ ــ يَدْعُوْ إِلٰى الصَّلَوَاتِ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَفِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِيْه » .

ومنها ـــ أهل القرآن هم أهل الله تعالى : عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للهِ أهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا : مَنْ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرآنُ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ » .

ومنها ـــ أن القرآن مأدبة الله تعالى فمن دخله فهو آمن : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إقْرَؤا الْقُرآنَ فإنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَى الْقُرآنَ . إنّ هٰذَا الْقُرآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَمنْ دَخَلَ فِيْهِ أَمِنَ وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرآنَ فَلْيُبْشِرْ »(١) . ـــ أى فليستبشر .

وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن هٰذَا القرآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَاقْبَلُوا مَأْدُبَته ماَ استَطعْتُم إنّ هٰذَا القرآنَ حَبْلُ اللهِ والنُّورُ الْمُبِينُ والِشّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ به وَنَجاةٌ لِمنْ اتَّبعَهُ ، لا يَزِيغُ فُيستَعتَبَ ولَا يَعْوَجُّ فيقُوَّمَ ، ولا تَنْقَضِى عجائبهُ ولا يَخْلُقُ على كثرةِ الرَدّ أُتْلُوهُ فإنّ الله يَأْجُرُكم عَلىٰ تِلاوَتِه كُلُّ حَرفٍ عَشْرُ حسَناتٍ . أمَا إنِّي لَا أَقُوْلُ ألَمّ حَرْفٌ ولكن أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيْمٌ حَرْفٌ »(٢) .

ومنها ـــ أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة ويتسع على أهله : روى الإمام محمد بن نصر المروزى بإسناده عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « البَيْتُ إذا قُرِئَ فيهِ القُرآنُ حَضَرتْهُ الْمَلَائِكَةَ وتَنكَّبَتْ عنه الشَّيَاطِينُ (أى تباعَدتْ عنه) واتّسعَ عَلىٰ أهلِه وكثُرَ خَيْرُهُ وقَلَّ شَرُّه وإنَّ البيتَ إذا لم يُقْرأ فيه القرآنُ حضَرتْه الشياطينُ وتَنكَّبتْ (اى تباعدتْ) عنْهُ الملائكةُ وضاقَ على أهلِه وقَلّ خَيْره وكَثُر شَرّهُ » قال : وفى الباب عن أبى هريرة موقوفاً وعن ابن سيرين إهـ وأثر أبى هريرة رواه الدارمي .

ومنها ـــ أن تلاوة القرآن جلاء القلوب : روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذه القُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَديدُ إذا

---

(١) رواه الـداوهى .

(٢) رواه الحاكم وصححه والدرامي .

أصَابَه الماءُ قيل : يارسول الله وما جَلَاؤُها ؟ قال : كَثْرَةُ ذِكْرِ الْموتِ وتِلَاوَةُ القرآن »(١).

ومنها ــ من أحب القرآن فقد أحبه الله ورسوله ﷺ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أَحَبَّ أن يُحِبَّه الله ورَسُوله فلينْظُرْ فإنْ كاَن يُحِبُّ القرآنَ فهو يُحِبّ الله ورَسُولَه »(٢).

ومنها ــ أن القرآن هو الذكر الحكيم : وروى عن علي رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أمَا إنّها ستكُونُ فِتنةٌ . قلتُ : فما المَخْرَجُ منها يارسولَ الله ؟ فقال : كتابُ الله تعالىٰ فيه نبَأُ ماقبْلَكم وخَبرُ مابَعْدَكم وحُكْمُ مَا بَيْنَكُم . هو الفصْلُ لَيْسَ بالهَزْل ، مَن تَرَكَهُ من جَبّارٍ قَصَمَهُ الله تعالى . ومن ابتَغىٰ الهُدىٰ فى غيره أضَلّهُ الله تعالىٰ ، وهو حبْلُ الله المَتِيْنُ وهو الذِّكْرُ الحَكيمُ وهو الصِراطُ المُسْتَقِيمُ وهو الذى لَا تَزيغُ به الْأَهْوَاءُ ولا تَلْتَبِسُ به الْأَلْسِنَةُ ولا يَخْلُقُ على كَثْرةِ الرَّدِّ ولا تَنْقَضِى عجَائِبُه وهو الذى لم تَنْتَهِ الجنُّ إذْ سَمِعَتْهُ حتّى قالوا : إنَّا سَمِعْنا قرآناً عَجَباً يَهْدِى إلى الرُّشدِ فآمَناّ بِه . مَنْ قالَ به صَدَق ومن عَمِل به أُجِرَ ومن حَكَم به عَدَل ومَن دعا إليه هُدِىَ إلى صِراطٍ مستقيم »(٣).

ومنها ــ أن المواظبة على متابعة الختمات أحب الأعمال إلى الله تعالى : روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : قال رجل : يارسولَ الله أىُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ » فقال : الحَالُّ المُرْتَحِل . قال : وما الحَالُّ المُرْتَحِل » قال : الَّذى يَضْرِبُ مِنْ اَوَّلِ القُرآنِ إلى آخِره كلَّما حَلَّ ارْتَحلَ أى كلما ختَم خَتْمَةً شرعَ فى غيرِها . ولذلك يستحسن إذا ختمت ختمة أن تتبعها بالفاتحة وفاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ .

ومنها ــ أن القرآن يشفع لقارئه : عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إقرَؤُا القرآن فإنّه يأتِي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحَابِه »(٤).

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(٢) رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٣) رواه الترمذى والدارمى وفى السند مقال .

(٤) رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « القُرآنُ شافِعٌ مُشَفَّع وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ من جعَلهُ أمامهَ قادَهُ إلى الجنّة ومن جعَله خَلْفَه ساقَهُ إلىٰ النارِ »[1].

وشفاعة القرآن قد تكون بمغفرة الذنوب وقد تكون برفع الدرجات والتحلية بالكمالات . فالأول يدل عليه ما رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إنّ سُورةً من القرآن ثلاثون أيةً شَفَعَتْ لرجلٍ حتى غفر الله لهُ : ﴿ وهى تبارَكَ الذى بيده المُلْكُ ﴾ » والثانى يدل عليه مارواه الترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يجىءُ صاحِبُ القرآن يومَ القيامة فيقولُ القُرآنُ : يارَبِّ حُلَّهُ فَيُلْبَسُ تاجَ الكَرامةِ ثم يَقولُ القرآنُ : يارب زِدْهُ فَيُلْبَس حُلَّةَ الكَرامةِ . ثم يقولُ القُرآنُ : ياربِّ إرْضَ عنْهُ فَيَرْضىٰ عَنْه . فيقال للقارئ إقرأْ وَارْقَ ويَزْدَادُ بكل آية حسَنَةً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : قال الصيّامُ: رَبِّ إنّى منَعتُهُ الطعامَ والشَّرابَ بالنَّهارِ فَشفِّعْنِى ويقولُ القرآنُ : ربِّ إنى منَعْتهُ النَّومَ بالليلِ فشفِّعْنِى فيه فيَشْفَعانِ »[2]

ومنها أن قراءة القرآن تطيب رائحة القارئ :

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « مَثَلُ المؤمِنِ الّذِى يَقْرأُ القُرآن مَثَلُ الأتْرُجَّة رِيْحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ ومَثَلُ المؤمِن الذى لا يَقْرأُ القرآنَ مثَلُ التَّمرةِ لا رِيْحَ لَها وطَعْمُها حُلْوٌ . ومَثَلُ المنافِقِ الذى يَقْرَأُ القُرْآنَ مثَلُ الرَّيْحانَةِ رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ . ومَثَلُ الْمُنافِقِ الذى لَا يقْرأُ اَلقُرآنَ كمثَلِ الحَنْظَلةِ ليْسَ لها رِيْحٌ وطَعْمُها مُرٌّ »[3].

والأترجة : ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون .

ومنها ــ فضل القراءة فى الصلاة على غيرها : روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « قراءَةُ القرآنِ فى الصلاةِ أفضَلُ من قِراءةِ القرآنِ في

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٢) رواه الإمام أحمد .
(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم .

غيْرِ الصلاةِ وَقِراءَةُ الْقُرْآن في غيْرِ الصَّلاةِ أفضَلُ من التَّسبيحِ والتَّكْبيْرِ والتّسبيحُ أفضَلُ مِنَ الصدقة ــ أي النافِلةِ ــ والصَّدقةُ أفضَلُ من الصَّوم ــ أي النفلِ ــ والصّوْمُ جُنَّة »(١) .

ومنها ــ مضاعفة القراءة فى المصحف على غيرها روى عن النبى ﷺ أنه قال : « قِراءَةُ الرَّجُل فى غيرِ المُصْحَف ألفُ درَجةٍ . وقراءتُه فى المُصْحَفِ تُضَعَّفُ علىٰ ذلك إلى ألفَيْ درَجةٍ »(٢) .

وروى ابن أبى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا دخل البَيْتَ نَشَرَ المصحفَ فَقَرأ فيه .

وروى الإمام أحمد فى « الزهد » عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : ما أُحِبّ أن يأتيِ عَلَيَّ يَومٌ ولا ليلةٌ إلّا أنْظُرُ فى كتابِ الله تعالى ــ يعنى القراءة فى المصحف .

وروى ابن سعد أنه قيل لنافع : ما كان يَصْنع ابن عمر فى منزله ؟ فقال : لا تُطِيقُونَهُ ، الوضُوءُ لكل صلاةٍ ، والمصْحفُ فيما بينهما .

قال الإمام النووى : قراءة القرآن فى المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر . هكذا قاله القاضى حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالى وجماعات من السلف .

ثم بيّن الإمام النووى أنه لو قيل بالتفصيل لكان القول حسناً ، وذلك أنه يختلف بإختلاف الأشخاص ، فأيّة القراءتين أقرب إلى الخشوع والتدبّر فهى أفضل . قال : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

وأخرج البيهقى بسند حسن عن ابن مسعود أنه قال : أَدِيمُوا النظر فى المصحف .

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب على ضعف فى إسناده .

(٢) رواه الطبرانى والبيهقى على ضعف فى سنده .

ومنها — أن القارىء يقدم على غيره شرعاً .

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يَؤُمُّ القومَ أقْرَؤُهم لِكتابِ الله تعالى » . (رواه مسـلم)

وروى البخارى وغيره أن النبى ﷺ كان جَمَعَ بين الرّجُلَين من قَتْلىٰ أُحُد ثم يقول : أيُّهُمـا أكْثَرُ أخْذاً للقرآنِ فإنْ أُشيرَ إلىٰ أَحَدِهما قَدَّمه فى اللحد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان القُراء أصحابَ مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورتِه كهُولًا كانوا أو شباباً .

ومنها — إكرام أهل القرآن من تعظيم شعائر الله تعالى ومن إجلاله تعالى : قال الله تعالى : ﴿ ومن يُعَظِّمْ شعائِرَ الله فإنّها من تَقْوىَ القلُوب ﴾ . إستدلّ الإمام النووى رضى الله عنه بهذه الآية على وجوب إكرام أهل القرآن لأنهم من شعائر الله تعالى ، كما يجب تعظيم العلماء الذين هم حملة دين الله تعالى وشعائره ولا يجوز إيذائهم .

وقد نقل الإمام النووى عن الإمامين الكبيرين أبى حنيفة والشافعى رضى الله تعالى عنهما أنهما قالا : إن لم يكن العلماء أولياء الله تعالى فليس لله تعالى وليّ ، كما نقل أيضاً عن الحافظ ابن عساكر أنه قال : إعلم يأأخى — وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته — أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله تعالى فى هتك أستار منتقصيهم معلومةٌ وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب إبتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ مِنْ إجْلالِ الله تعالى إكرامَ ذى الشَّيْبةِ المُسْلم وحامِلِ القرآن غيرِ الغالي فيه والجافي عنه وإكرامَ ذِى السُلْطان المُقْسِط » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « أمَرَنا رسول الله ﷺ أن نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنازِلَهم »[1].

ومنها ـــ فضيلة إستظهار القرآن الكريم وهى مِن أعظم المنن الإلهية التى خصّ الله تعالى بها هذه الأمة المحمدية دون سائر الأمم ، فقد جعل قلوب هذه الأمة أوعية لكلامه ، وصدورها مصاحف لحفظ آياته ، لا يغسله من قلوبهم تيّار الماء ولا يمحوه من صدورهم كيد الأعداء .

قال الله تعالى : « بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ وما يَجْحَدُ بآياتِنآ إلّا الظّالِمُونَ » .

وفى صحيح مسلم عن عياض رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إنّ ربّي أمَرَني أن أُعَلّمَكم ما جَهِلْتُمْ مما عَلَّمني يَوْمي هٰذا كُلُّ مالٍ نحَلْتُه « أعطَيْتُه » عبداً حلالٌ وإنىّ خَلَقْتُ عِبادِى حُنَفاءَ كلَّهم ـــ أى على الملةِ الحَنِيفيّة ـــ وإنهم أتَتْهُم الشياطِينُ فاجْتالَتْهم عن دِينْهم وحَرّمَتْ علَيْهِمْ ما أحْلَلْتُ لهم وأمَرتْهُم أن يُشْرِكوا بي ما لم أُنْزِلْ به سُلطَاناً وإن الله تعالى نظر إلىٰ أهل الأرضِ فمقَتَهم عَرَبَهُمْ وعَجمَهُم إلا بَقايا من أهْلِ الكْتاب وقال : إنما بَعثْتُك لأَبْتَلِيَك وَأبْتَلِى بِك وأنزَلْتُ عليك كتاباً لا يَغْسِلهُ الماءُ تَقْرأُه نائماً وَيقْظَانَ ، الحديث

وروى عن علي رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مَنْ قَرأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ فأحَلَّ حَلالَهُ وَحَرَّمَ حَرامَهُ أدْخَلَهُ الجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ في عَشْرَةٍ مِنْ أهْلِ بَيْته كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النار » »[2].

وروى عنه ﷺ : « مَنْ أعطَاهُ الله تعالى حِفْظَ كتابه فظَنَّ أن أحَداً أُعْطِىَ أفضَلَ مما أُعْطِىَ فقد غَلَط ـــ وفى رواية ـــ فقد صَغَّرَ أعظَمَ النِعّمَ »[3].

---

(١) رواهما أبو داود .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه .

وفى مسند الفردوس عن على رضى الله عنهِ مرفوعاً : « إِنَّ حَمَلَةَ الْقُرآن فى ظِلّ الله يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه مع أنبيائِه وأصْفيائه » الحديث .

قال فى شرح المنية : إن حفظ ما تجوز به الصلاة فرض عين على كل مكلف وحفظ فاتحة الكتاب وسورة واجب . وحفظ سائر القرآن فرض كفاية وسنة عين أفضل من صلاة النفل إهـ وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما أن يفرض لحفاظ القرآن فى البصرة ما يفى بحاجتهم .

ومنها أن أهل القرآن ممن يعلم أو يتعلم القرآن هم خير الناس . عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » وفى رواية : إنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وعَلَّمَهُ[1] .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « تعلَّمُوا القرآنَ فَاقْرَؤُوهُ فإنّ مثَل القرآن لِمَنْ تعلَّمهُ فقرأَهُ وقَامَ به ــ أىْ فى اللّيل ــ كمثَلِ جَرابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكا يَفُوحُ رِيحُه كلَّ مكَان . ومَثَلُ مَنْ تعلَّمه فرقَد وهُو فى جَوْفِه كمثَلِ جَرابٍ أُوِيَ عَلَى مِسْكٍ . أي مُلِيءَ مِسْكاً ورُبط عليه »[2] .

ومنها ــ ان من علم ولده القرآن فقد حاز خيراً عظيما لا يساويه خير ونال أجراً كريما لا يوازيه أجر .

عن على رضى الله عن النبى ﷺ قال : « أدِّبُوا أَوْلادَكَم عَلىٰ ثلاثِ خِصالٍ : حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وحُبِّ أَهْلِ بيْتِه وقِراءةِ القرآن فإنّ حَملَةَ القُرْآنِ« حَفظَته » فى ظِلّ الله يومَ لا ظِل إلا ظِلُّه مع أنبيائِه وأصْفِيائِه »[3] .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عَلَّمَ ابْنَه القُرآنَ نَظَراً « أى فى المصحف » غُفِر لَه ما تقدَّم مِنْ ذنبه وما تأخَّرَ ومَنْ عَلَّمه إيّاهُ ظاهِراً « أي عن ظَهْرِ قَلْبِه » بعَثَهُ الله يوْمَ القِيامةِ على صُورةِ القَمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ويقال

(١) رواه البخـارى .
(٢) رواه الترمذى وغيره .
(٣) رواه الديلمى وابن النجار على ضعف فى سنده .

لإبنه إقْرَأْ فكُلَّما قَرأ آيةً رفَعَ الله عزَّ وجلّ الأَبَ بِهَا دَرَجةً حَتّى يَنْتهِىَ إلى أخِرِ ما مَعَه من القُرأن »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبى ﷺ قال : « مامِنْ رَجُلٍ يُعَلِّمُ وَلَدَه القُرآنَ فى الدُّنيا إلاّ تُوِّجَ أَبُوهُ يوم القيامة بتَاجٍ فى الجَنَّة يَعْرِفُه به أَهْلُ الجَنّة بتَعْلِيمِ ولدِه الْقُرْآنَ فى الدُّنيا »[2] .

عن بريدة رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ فسمعتهُ يقول : تَعلَّمُوا البقرةَ فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ وتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ولا يَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ . ثم سكتَ ساعةً ثم قال : تَعَلَّمُوا البقرة وآلَ عِمْرانَ فإنهما الزَّهْرَاوانِ يُظِلّان صاحِبَهُما يَوْمَ القيامةِ كأَنَّهُما غمامَتان أو غيايَتان أوْ فِرقَانِ من طَيْرٍ صَوَافَّ وإن الْقُرآنَ يَلْقَى صاحِبَه يومَ القيامَةِ حين يَنْشَقّ عنه قَبْرُهُ كالرَّجُل الشاحِبِ فيقولُ : هَلْ تعرِفُنى ؟ فيقول : ما أعْرِفُكَ فيقول : أنا صاحِبُك القرآنُ الذى أظمَأْتُكَ فى الهَوَاجِرِ وأسْهَرْتُ لَيْلَك وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراءِ تِجارتِه (أي يَبتغِى رِبْحَها) وإنّكَ اليوم من وراءِ كلِّ تجارةٍ أعظَمَ رِبْحاً فيُعْطىٰ « أى صاحب القرآن » المُلْكَ بيَمينه والخُلْدَ بشمالِه ويُوضَعُ على رأسِه تَاجُ الْوَقَارِ ويُكْسَى والِدُه حُلّتَيْنِ لا تَقُوم لَهُما « أي لا تُقَدَّرُ بهما » الدُّنيا فيقولان : بِمَ كُسِيْناَ هٰذا ؟ فيقال : بأَخْذِ وَلدِكُما القرآنَ وفى رواية الطبرانى : بتعليمِ وَلدِكُما الْقُرآن ثم يقال « أى للقارىء » إقْرَأْ واصْعَدْ فى دَرَجِ الجنةِ وغُرَفِها فهو فى صُعودٍ ما دامَ يَقرأ هَذًّا كان أو تَرْتيلًا »[3] .

ومنها — نزول السكينة والملائكة لقراءة القرآن سيما فى الليل .

فعن أُسَيْد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفَرسُه مَربُوطةٌ عنده إذْ جالت الفرسُ اى اضْطَربت فسكتَ فسكَنَتْ فقرأ فجالَتْ فسَكتَ فسكَنتْ الفَرسُ ، ثم قرأ فجالَتْ . وكان ابنُه يَحيىٰ قريباً منها فانصرفَ فأخَّرَه ثم رَفع رأسَه إلى السّماء فإذَا مِثْل الظُلَّة فِيها أمْثَالُ المصَابيح . فَلَّما أَصْبَحَ حَدّثَ النبى ﷺ

---

(١) رواه الطبرانى قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفه .

(٢) رواه الطبرانى على ضعف فيه .

(٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وروى ابن ماجه طرفا منه . قاله الهيثمى .

فقالَ : وتَدْرِى مَا ذَاك ؟ قال : لا . فقال ﷺ : تِلك المَلائكةُ دَنَتْ لِصَوْتِك ولو قرأتَ لأصبحَت يَنظُر إليها النّاسُ لا تَتوارَى مِنْهم « أى لَا تَخْتَفِي مِنهُم »[1] .

ومنها ــ أن الدعاء يستجاب عند ختم القُرآن فقد روى الطبرانى مرفوعاً « من خَتَمَ القُرْآنَ فله دَعْوَةٌ مُسْتَجابةٌ . وفى الشعب من حديث أنس مرفوعاً : من قَرأ القُرآنَ وحَمِد الربَّ وصَلّى على النبِىّ ﷺ واستَغْفَر رَبَّه فقَدْ طَلبَ الخَيْرَ مَكانَه » .

ومنها ــ انتصار القرآن للعامل به ومجادلته عنه فهو له حجة .

فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : يُؤْتَى برجُلٍ يومَ القيامة ويُمثَّلُ له القُرآن قد كانَ يُضَيِّع فرائِضَه ويتعَدّى حُدُوْدَه ويُخالِفُ طاعَتَه ويَرْكبُ مَعَاصِيَه فيقول : أىْ ربِّ حَمَّلْتَه أياتى فبئسَ حامِلي تعَدَّى حُدودِي وضَيَّع فرائضى وتَركَ طاَعَتِى وَركِبَ مَعْصِيتِي فما يزال يَقْذِف عليه بالحُجَج حتى يُقال : فشَأنك به فيأخُذ بيده فَما يُفارِقُه حتى يَكُبَّهُ على مَنْخَرِهِ ــ أى عَلىٰ وجهه ــ فى النّار ويُؤْتَى بالرَّجُل قد كانَ يَحفَظ حُدُودَهُ ــ أي حدُودَ القرأنِ ــ ويَعْمَلُ بفرَائضِه ويَعْمَلُ بطاعتِه وَيَجْتَنِبُ معْصِيتَه فيَصِير خَصْماً دُونَه فيقول : أيْ ربِّ حَمّلتَ آياتِي خَيْرَ حامِلٍ اتَّقى حُدُودِى وعَمِلَ بفَرائضِي واتَّبعَ طاعَتِي واجْتَنبَ مَعْصِيَتِى فلا يَزَال يَقْذِف له بالحُجَج حتّى يُقالَ له : فشَأْنَكَ به . فيأخُذُ بيَدِهِ فما يَزالُ به حتى يَكْسُوَهُ حُلَّة الإسْتَبْرق ويَضَعُ علَيه تاجَ المُلْكِ وَيَسْقِيْه بكَأسِ المُلْك »[2] .

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الطُّهورُ شَطْرُ الإِيمان والحمد لله تَمْلأن أو تمــلأ مَـا بيْن السماءِ والأرض والصَّلاةُ نُورٌ والصَدَقةُ بُرهانٌ والصّبر ضياءٌ والقرآنُ حُجّةٌ لك أو عليك . كُلُّ الناس يَغْدُو فبائِعٌ نَفْسَه فَمُعْتِقُها أو مُوبِقُها »[3]

---

(١) رواه البخــارى .

(٢) قال فى مجمع الزوائد رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات إهـ ورواه ابن أبى شيبة وابن الضُّريس كما فى [منتخب الكنز] .

(٣) رواه مسلــم .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاثَةٌ تحتَ العرشِ يومَ القيامة : القُرآن له ظهْرٌ وبَطنٌ يُحاجُّ العِبادَ والأمَانةُ والرّحِمُ تُنَادِى أَلَا مَنْ وَصلنِى وصَلَه الله تعالى ومن قطعَنى قطعَهُ الله » .(١)

فإذا كان يومُ القيامة وقَفَ القرآنُ مَوْقِفَ الإحتجاج . فإمَّا أن يَحْتَجّ للعبد وذلك إذا عَمِل به وإمّا أن يَحْتَجَّ على العَبْد وذلك إذا خَالَف ما جاءَ به القُرأن . قال أبو موسى الأشعري إن هٰذا القرآن كائِنٌ لكم أجراً وكائِنٌ عليكم وِزْراً فاتَّبعوا القرآن ولَا يتَّبِعنّكُم القرآن ، مَنْ اتَّبع القرآن ــ أى عَمِل به ــ هَبط به علىٰ رياضِ الجنة ومن اتَّبعه القرآنُ ــ بأن لم يَعْمل به ــ زُجَّ بِهِ قفاه فقذَفه فى النار »

شــرف الذاكرين من هذه الأمة

ومن الشرف الذى ادخره الله لهذه الأمة ما أعده الله تعالى للذاكرين من الفضل والثواب بذكرهم ، وقد جمعت جملة صالحة من ذلك نذكرها إن شاء الله فيما يأتى :

الأول ــ أن العبد يستفيد بالذكر خصوصية لا أشرف منها عنده ولا أعز منها لديه وهى معية الحق سبحانه وتعالى وذكره له فى الملأ الأعلى ، كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أنا عِنْدَ ظَنّ عبدى بى وأنا معه إذا ذكَرَنى ، فإنْ ذكَرنى فى نفسِه ذكرتُه فى نفسى وإن ذَكرنى فى مَلأٍ ذكرتُه فى مَلأٍ خيرٍ منهم ، وإنْ تقرَّب إليَّ شِبْراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً ، وإن تَقَرَّبَ إليَّ ذراعا تقربتُ إليه باعاً ، وإن أتَانَى يمْشى أتيتُه هَرْوَلَةً »(٢).

وهو يستفيد هذا المقام بمجرد إقباله وإشتغاله بالذكر يقول الله تعالى : ﴿ أنا مع عبدى إذا هو ذَكرنى وتحرَّكتْ بى شَفَتاه ﴾ (٣).

---

(١) رواه البغوى فى شرح السنة ورواه الحكيم والترمذى ومحمد بن نصر .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه ابن ماجه وابن حبان .

والذكر أحب الأعمال إلى الله تعالى ، قال معاذ بن جبل : إن آخر كلام فارقتُ عليه رسولَ الله ﷺ أنْ قلتُ : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله ؟ قال : أن تموت ولسانُك رطْبٌ مِنْ ذكْرِ الله »[1].

والذكر خير أعمالنا وأزكاها عند ربنا وأقوى الأسباب لرفع درجاتنا وخير من قتال الأعداء بلا إخلاص يقول رسول الله ﷺ : « ألا أُنبِّئكُمْ بخيرِ أعمالِكم وأزْكاها عنْدَ مليكِكُمْ وأرفعِها فى درجاتِكم وخيرلكم من إنفاقِ الذهبِ والْوَرِقِ وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوْا عَدُوَّكم فتضرِبُوا أعناقَهم ويضرِبُوا أعْناقَكم ؟ قالوا : بلىٰ . قال : ذكْرُ الله ، قال معاذ بن جبل : ما شَيْءٌ أنْجىٰ مِن عذابِ الله مِنْ ذِكر الله »[2].

والذكر يصقل القلوب ويجلوها وينجى من عذاب الله قال ﷺ : « إنّ لكل شَيءٍ صَقَالةً وإن صقالةَ القلوبِ ذِكرُ الله وما من شيءٍ أنجىٰ من عذابِ الله مِنْ ذكرِ اللهِ . قالوا : ولا الجهادُ فى سبيلِ الله ؟ قالَ : ولو أن يضرِبَ بسيفِه حتى ينقطِعَ »[3].

وقال ﷺ : ما عمِلَ آدميٌّ عملًا أنْجىٰ له من العذابِ مِنْ ذكرِ الله تعالى ، قيل : ولا الجِهادُ فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهادُ فى سبيلِ الله إلا أن يَضْرِب بسيفِه حتّى يَنْقَطِعَ »[4].

والذاكر هو أفضل العباد درجةً وأعلىٰ رتبة ، فقد سئل رسول الله ﷺ : أيُّ العبادِ أفْضَلُ درجةً عند الله يومَ القيامة ؟ قال : الذّاكِرون الله كثيراً ، قال قلتُ يارسول الله ومِنَ الغازى فى سبيلِ الله ؟ قال : لو ضَرَبَ بسيفه فى الكفار والمشركين حتى يَنْكَسِرَ ويَخْتَضِبَ دماً لَكانَ الذاكرون الله كَثيرا أفضلَ منهُ درجةً » رواه الترمذى وقال حديث غريب ، ورواه البيهقى مختصراً قال : قيل : يارسول الله أيُّ الناسِ أعظَمُ درجةً قال : الذاكرون الله .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى واللفظ له ، والبزار الا أنه قال : أَخْبِرنى بأفضلِ الأعمال وأقربها إلى الله ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبى الدنيا والترمذى وغيرهم .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى من رواية سعيد بن سنان واللفظ له .

(٤) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ورجالها رجال الصحيح .

والذكر يهذب الأخلاق ويرقق الطباع فيربط على قلب الخالق حتى يثبته فى ميادين الجهاد ، ويصلح حال العاجز عن العبادة حتى ينشط لذكر الله ، ويصلح حال البخيل فيصير كريماً محموداً ببركة الذكر . قال ﷺ : « من عَجز منكم عن الليلِ أن يكابِدَه وبخل بالمال أن يُنْفِقه وجَبُنَ عن العَدوِّ أن يجاهدَه فليُكْثِرْ ذكرَ الله »(١) .

وذكر الله وقاية من وساوس الخناس وحصن متين من الوقوع فى المعاصى : فقد جاء فى الحديث أن نبينا ﷺ قال : إن الله أوحى إلى يَحيى بن زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يَعْمَلَ بهنّ ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه ابطأ بهن فأتاه عِيْسى فقال : إنّ الله أمَرَك بخمسِ كلماتٍ أن تَعْملَ بهنّ وتأمُرَ بنى إسرائيل ان يعملوا بهنّ فإمّا ان تخبرهم وإمّا أن أُخْبِرَهم . فقال : يا أخى لا تَفعلْ فإنى أخافُ إن سَبَقْتَنِى بهنّ أن يُخسَفَ بى أو أُعَذَّبَ . قال : فَجمع بنى إسرائيل ببيت المَقْدِس حتى امتلأ الْمسجدُ وقَعَدُوْا على الشُّرُفاَتِ ثُمّ خَطبَهُم فقال : إن الله أوحى إليّ بخمس كلمات أن أعَمَلَ بِهنّ و آمربنى إسرائيل أن يَعْمَلُوا بِهنَّ أوَّلُهنَّ : لا تشركوا بالله شَيْئًا فإن مَثَلَ من أشْرَكَ بالله كَمَثَل رَجُلٍ إشْتَرىٰ عبداً مِنْ خالِص ماله بذهبٍ أو وَرِقٍ ثم أسكنه داراً فقال : اِعْمَل وارْفَعْ إلَيَّ فجَعَلَ يَعمل ويَرْفَع إلىٰ غيرِ سيّده فأيُّكم يرضى أن يكونَ عبدُه كذلك ، فإنّ الله خَلقكم ورَزَقكم فلا تُشركوا به شَيْئاً ، وإذا قُمْتُم إلىٰ الصَّلاة فَلَا تَلْتَفِتُوا فان الله يُقْبِل بوَجهه إلى وجه عَبْدِه ما لم يَلْتَفِتْ ، وأمَركم بالصيّام . ومَثَلُ ذلك كمثَل رجُلٍ في عِصابةٍ معه صُرَّة مِسْكٍ كُلُّهُم يُحِبُّ أن يَجدَ رِيْحَهَا وإن الصِّيامَ أطيبُ عند الله من ريح المِسْك ، وأمَركم بالصدقة ، ومَثَل ذلك كمثَل رجُل أسَرَهُ العَدوُّ فأوْثقوا يَدَهُ إلى عُنُقِه وقَرَّبُوه ليَضْرِبوا عُنُقَه فَجَعَلَ يقولُ : هل لَكم أن أفدىَ نفسى مِنْكُمْ . وجَعل يُعطِى القليلَ : هل لَكُم أن أفديَ نفسي مِنْكُم . وجَعل يُعطِى القليلَ والكثيرَ حتى فدَى نَفْسَه ، وأمَركم بذكر الله كثيراً . ومَثَل ذلك كمثَل رجل طَلَبَه العَدُوُّ سراعاً فى

---

(١) رواه الطبرانى والبزار واللفظ له ، وفى سنده أبو يحيى القتات وبقيته محتج بهم فى الصحيح . ورواه البيهقى من طريقه أيضا .

أثره حتى أتىٰ حِصْنا حصيناً فأحْرَز نَفْسَه فيه وكذلك العبدُ لا يَنْجو من الشّيْطَانِ إلاّ بذكر الله »[1] الحديث .

وقال ﷺ « إن الشّيْطانَ وَاضِعٌ خَطْمَه علىٰ قلْبِ ابن آدم فإنْ ذَكَر الله خَنَس وإنْ نَسِيَ اِلْتَقَم قَلْبَه » رواه ابن ابى الدنيا وابو يعلى والبيهقى .

والذاكر سابق لغيره يأتى يوم القيامة معزّزاً مُبَجَّلا قال رسول الله ﷺ : « سبق الُمفَرِّدُون . قالوا وما المفرِدون يارسولَ الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً »[2].

وروى الترمذى ولفظه : يارسول الله وما المفرّدون قال : « المُستَهْتَرون بِذِكر الله يَضَعُ الذّكرُ عنهم أثقالَهم فيأتون الله يوم القيامةِ خِفَافاً » .

وذكر الله أحد الأربعة التى تجلب سعادة الدنيا والأخرة وتعطى الذاكر الثقة التامة وتحليه بالإستقامة وحب الخير والسداد فى عمله والصواب فى تفكيره .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : أربع من أُعطِيَهُن فقد أُعطِيَ خيرَىِ الدنيا والأخرة: قلبا شاكراً ولسانا ذاكراً وبدنا على البلاء صابراً وزوجةً لا تَبغِيه فى نفسها وماله »[3]

وذكر الله يوصل إلى الدرجات السامية فى الجنة ، ويرفع الذاكر إلى أعلى عليين وهو فى الفرش الممهدة .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَيذكُرَنّ الله أقوامٌ فى الدنيا على الفُرُشِ الُممَهَّدةِ يُدخِلُهم الدرجاتِ العُلىٰ »[4].

وذكر الله ينير القلب ويحييه ويزيل رانه ويهديه إلى الحق ويجعل الذاكر حيا ، وغير الذاكر قلبه خرب ومظلم وهو ميت .

---

(١) رواه الترمذى والنسائى والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم قال الترمذى : حديث حسن صحيح

(٢) رواه ومسلم .

(٣) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق درّاج عن أبى الهيثم .

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : مَثَل الذى يَذكر ربَّه والذى لا يذكر الله مثَل الحي والميت »[1].

والذاكرون يتباهى الله بهم أمام السفرة البررة ، فيسألهم وهو أعلم بهم : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله ملائكةً يطوفون فى الطُّرق يَلْتَمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يَذْكرون اللهَ تنادوا هَلُمُّوا إلىٰ حاجتكم فَيَحُفّونهم بأجنحتهم إلى السماء . قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يُسَبِّحونَك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك قال فيقول : هل رَأَوْنى قال فيقولون : لا والله ياربِّ ما رَأَوْك قال فيقول : كيف لو رَأَوْنى ؟ قال فيقولون : لو رَأَوْك كانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول : فما يسألونى ؟ قال يقولون : يسألونك الجنةَ قال فيقول : وهل رأَوْها ؟ قال يقولون : لا واللهِ ما رأَوْها قال فيقول : فكيف لو رَأَوْهَا ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشدَّ لها طلبا وأعظم فيها رغبةً قال : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُون ؟ قال : يتعوّذون من النار قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشد لها مخافةً قال فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقول مَلَك من الملائكة : فيهم فُلَان ليس منهم وانما جاء لحاجة قال : هم القوم لا يَشْقَى بهم جليسهم »

وروى مسلم بلفظ قال : إن لله تبارك وتعالى ملائكة سَيَّارةً فُضَلَاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وَجَدوا مجلساً فيه ذكرٌ قَعدوا معهم وحَفَّ بَعضُهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء ، فإذا تفرّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عزَّ وجَلّ وهو أعلم : من أينَ جِئْتُم فيقولون : جئنا من عند عبادك فى الأرض يُسَبِحونك ويُكبّرونك ويهللونك ويحَمدونك ويَسْألونك قال : فما يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا ياربّ . قال : وكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا : ويستجيرونك قال مِمَّ يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك ياربّ قال :

(١) رواه البخارى ومسلم إلا أنه قال : مثَل البيت الذى يُذكر الله فيه .

وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا يارب . قال : فكيف لو رأوا نارى ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال يقولون : ربّ فيهم فُلانٌ عبدٌ خَطَّاء إنما مرّ فجلس معهم . قال : فيقول : وله غَفَرْتُ هم القوم لا يَشْقى بهم جليسُهم .

والذاكرون يسعد العاصى بصحبتهم وينعم الشقى بمحبتهم ويتجلى الله على الفاجر الذى يودهم ويحضر مجالسهم ، ولو سأل شيئاً من عرض الدنيا يعطاه ، لما جاء فى الحديث السابق من قوله تعالى : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

والذاكرون يضمنون الغفران ويعتقدون برضا الله جل وعلا ولا ينصرفون عن الذكر إلا إذا امتلأت صحائفهم حسنات وتجلى الله عليهم بانعامه : لما جاء فى الحديث السابق أن الله تعالى يقول لملائكته : أُشهِدكُم أنّى قد غَفَرْتُ لَهُم .

والذاكرون فى درجات سامية قريبة من رحمة الله وإحسانه يود النبيون والمجاهدون أن يدركوها مبالغة فى إرضاء الله عز وجل عنهم تتلألأ وجوههم نوراً ونفوسهم بشراً وسروراً .

عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، رجالٌ ليسوا بأنبياءَ ولا شُهداء يغشى بياضُ وجوههم نظَر الناظرين يغبِطُهم النبيون والشهداء بمَقْعَدِهم وقُرْبِهم من الله عز وجل . قيل يارسول الله من هم ؟ قال : هم جُمَّاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينْتَقُون أطايِبَ الكلام كما ينتقى آكِل التمر أطَايِبَه »[١] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَيَبْعَثَنَّ الله أقواماً يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال : فجثا أعرابي على ركبتيه فقال يارسول الله جَلِّهِمْ لنا نَعْرِفْهُمْ .قال : « هم المتحابُّون فى الله من قَبَائِلَ شتّى وبلادٍ شَتَّى يجتمعون على ذكر الله ويذكرونه »[٢] .

---

(١) رواه الطبرانى وإسناده مقارب لا بأس به .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

والذاكرون تحيط بهم الملائكة وتعمهم الرحمة ويعلوهم الوقار والرضوان كما قال ﷺ : لا يقْعُدُ قومٌ يذكرون الله إلا حفَّتْهم الملائكةُ وغشِيَتْهُم الرحمةُ ونزَلَتْ عليهم السَّكينةُ وذَكرهم اللهُ فيمَنْ عنده »[1].

والذاكرون تشاركهم الملائكة عبادتهم فيجلسون معهم ويفعلون كما يفعلون ويقولون كما يقولون ثم يصعدون بعملهم كما قال ﷺ : « لمّا مرّ بعبد الله بن رواحة وهو يُذَكِّرُ أصحابه : أمَا إنكم الْمَلأُ الذين أمرنى الله أن اصْبِرَ نفسي معكم . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاةِ وَالْعَشِيِّ — إلى قوله وَكٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ ، أما أنه ما جَلس عِدَّتكم إلّا جلَس معهم عِدَّتهم من الملائكة إن سبَّحوا الله تعالى سبَّحوه ، وإن حمِدوا الله حمِدُوه وإن كَبَّرُوا اللهَ كبَّروه ، ثم يَصْعَدون إلى الربّ جلّ ثناؤه وهو أعلم بهم فيقولون : ياربنا عبادُك سبَّحُوك فسبَّحْنا وكبّروك فكبّرنا وَحَمِدُوْكَ فحمدنا فيقول رَبُّنٰا جل وعلا ياملائكتى أُشهِدكم إنى قد غفرتُ لهم فيقولون : فيهم فُلَان وفلان الخَطَّاء فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[2].

والذاكرون مجالسهم هى رياض الجنة قال ﷺ : إن لله سرايا من الملائكة تَحِلّ وتقفُ على مجالس الذكر فى الأرض فارْتَعوا فى رياضِ الجنة . قالوا : وأينَ رياضُ الجنة ؟ قال : مجالس الذكر فاغْدُوا أورُوحوا فى ذكر الله وَذَكِّرُوْهُ أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله يُنزِل العبد منه حيث أنزله من نفسه »[3].

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أن الله تعالى يناديهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد . قال النبى ﷺ « يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع مَن أهلُ الكَرَمِ فقيل : ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ أهل مجالس الذكر »[4].

---

(١) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى وغيرهم .

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أنه لا تدخل قلوبهم الحسرة ولا الأسىٰ على أوقاتهم التى ملؤوها بالذكر : لما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : « ليس يَتَحَسَّرُ أهْلُ الجنة إلّا على ساعة مرَّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها »[١].

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أنهم أهل الشكر : لما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : « إن الله يقول ياابن آدم :إنك إذا ذَكَرتنى شكرتنى ، وإذا نسيتنى كفرتنى »[٢].

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أنهم هم المجاهدون وأنهم هم الصالحون : لما جاء فى الحديث أن رجلًا سأل النبى ﷺ فقال : « أيُّ المجاهِدين أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً . قال : فأي الصالحين أعظَم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة وفى كُلِّ ذلك ورسول الله ﷺ يقول : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ، فقال أبو بكر لعمر : ياأبا حفص : ذهب الذاكرون بكلّ خير ، فقال رسول الله ﷺ : أجــل »[٣].

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين : أنهم هم الملهمون لما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : ما من يومٍ وليلة إلا ولله عز وجل فيه صَدَقةٌ يمُنُّ بها على مَنْ يشاء من عبادِه وما منَّ الله على عبدٍ بأفضلَ من أن يُلْهِمَهُ ذِكْرَه »[٤].

ومن فضائل الذاكرين المشتغلين بالذكر بلا إنقطاع ما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : مررت ليلة أسرى بى برجلٍ مغيَّب فى نور العرش . قلت . من هذا أهــذا ملَك ؟ قيل : لا . قلت : نبي ؟ قيل : لا . قلت . من هو ؟ قال : هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رَطْبٌ من ذكرِ الله وقلبه معلَّقٌ بالمساجد ولم يَسْتَسِبَّ لوالديه »[٥].

---

(١) رواه الطبرانى عن شيخه محمد بن ابراهيم الصورى . ورواه البيهقى بأسانيد أحدها جيد .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٣) رواه أحمد والطبرانى .
(٤) رواه ابن أبى الدنيا .
(٥) رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا .

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ما جعله الله لها من الفضل والثواب الدنيوي والأخروى لمن يأتى بالأذكار والأدعية النبوية .

فمن ذلك : أن من قال حين يصبح أو يمسى :

« اللهم إنى أصبحْتُ أُشْهِدك وأُشهِد حَمَلةَ عرشك وملائكتَك وجميعَ خلْقِك أنَّك أنت الله لا إله إلا أنتَ وحدَك لا شريكَ لك وأنَّ سيدَنا محمداً عبدُك ورسولُك ــ أعتقَ اللهُ رُبُعَهُ من النارِ ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النارِ ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثةَ أرْباعِه من النار ، ومن قالها أربعا أعتقه اللهُ من النارِ »[١] .

وفى رواية « من قالها أربعا غَدْوةً وأربعا عشِيَّةً ثم مات دخلَ الجنة »[٢] .

ومن ذلك : أن من قال ثلاثا حين يمسى : « أمْسَينا وأمسىٰ المُلْكُ لله والحمد لله كلُّه أعوذ بالله الذى يُمْسِكُ السماءَ أن تقَعَ على الأرضِ إلا بإذنه من شر ما خلَق وذرأَ ومن شر الشيطان وشِرْكِه ــ حُفظ من كل شيطان وكاهن وساحر حتى يصبح ــ وإذا قالها حين يصبح حفظ كذلك حتى يمسى »[٣] .

ومن ذلك : أن فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيَتين من آل عمران ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بَالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الحكِيْمُ إِنَّ الدِيّنَ عِنْدَ اللهِ الْاسْلَامُ وـقُلِ اللّٰهُـمَّ مالِكَ المُلْكَ تُؤْتى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شيْءٍ قَدِيْرٌ تُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُوْلِجُ النَّهارَ فِى الَّليْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بغَيْرِحِسَابٍ ﴾ هن معلَّقاتٌ بالعرشِ ما بينهن وبين اللهِ حجابٌ قُلْنَ يارِبِّ تُهْبِطُنا إلى أرضِك وإلى من يعْصِيك » قال الله تعالى : « إنى حَلَفْتُ لا يَقْرَؤُكُنَّ أحدٌ من عبادى دُبرَ كلِّ صلاةٍ إلا جعلتُ الجنّةَ مأواه على ما كان منه ، وإلا أسْكَنْتُه حظِيرةَ القُدْسِ ، وإلا نظَرْتُ إليه بعيْنى المكْنونَةِ كل يومٍ سبعين نظرةً ، وإلّا قضيْتُ له كلَّ يومٍ سبعين حاجةً أدناها المغْفِرةُ ، وإلا أعَذْتُه من كل عدوٍّ ونصرتُه عليه[٤] .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) عند ابن عساكر .

(٣) أخرجه ابن السنى .

(٤) أخرجه ابن السنى .

ومن ذلك : « أنه ما من عبدٍ يقول فى صباحِ كلّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ : ﴿ بِسمِ اللهِ الَّذى لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴾ ثلاثَ مرّاتٍ إلّا لم يضرّه شىءٌ ولم تصِبهُ فجْأةُ بلاءٍ »(١).

ومن ذلك « أن من قال حين يصبحُ وحين يمْسى : ﴿ أَعُوْذُ بِكَلِماَتِ اللهِ التّامّات مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ لم يضُرَّه شىءٌ »(٢).

ومن ذلك ــ « أن فاتحةَ الكتاب وآية الكرسى لا يقرؤهما عبدٌ فى دارٍ فتصيبَهم ذلك اليومَ عينُ إنسٍ أو جــن »(٣).

ومن ذلك ــ « أن من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات ﴿ رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ﴾ كان حقًّا على اللهِ أن يُرضيَه يومَ القيامة »(٤).

ومن ذلك ــ « أن ﴿ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ﴾ أمانُ كلِّ خائِفٍ »(٥).

ومن ذلك ــ أن من قرأ هذه الآياتِ العشْرَ أول النهارِ لم يَقْرُبْه شيطانٌ حتى يمْسِيَ وإن قرأها حين يُمْسى لم يَقْرُبْه شيطانٌ حتى يصبِحَ ولا يَرىٰ شيأ يَكْرَهُهُ فى أهله ومالِه ، وإن قرأها على مجنونٍ أفاقَ . ﴿ وهن ــ أول سورة البقرة ــ إلى ــ المفلحون ، وآية الكرسى ، والآيتان بعدها . وثلاث آيات من آخر سورة البقرة »(٦).

ومن ذلك ــ « أن من قرأ فى ليلةٍ هذه الآيات الثلاثَ والثلاثين لم يضُرَّه فى تلك الليلة سَبُعٌ ضارٍ ولا لصٌّ طَارِىءٌ وعُوْفِيَ بنفسِه وأهلِه ومالِه حتى يُصْبِحَ »(٧). ﴿ وهن : أول سورة البقرة ــ إلى ــ المفلحون وآية الكرسى

---

(١) أخرجه أبو داود وغيره .

(٢) رواه الطبرانى . ورواه الترمذى وقال : ثلاثا وقال : من قاله وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه فإن مات مات شهيدا .

(٣) رواه الديلمى وغيره .

(٤) أخرجه الامام أحمد وغيره هكذا جمع بينهما الحافظ السيوطى فى الكلم الطيب ورواية أبى داود رسولا فقط .

(٥) أخرجه أبو نعيم .

(٦) رواه البيهقى .

(٧) أخرجه ابن النجار .

وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة و ـــ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوٰاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ـــ إلى ـــ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ ، ـــ قُلِ ادْعوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الَّرحْمٰنَ ـــ إلى آخر سورة الإسراء ، والصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِراتِ زَجْراً ـــ إلى ـــ إِنّـا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِيْنٍ لَازِبٍ ، و ـــ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا ـــ إلى ـــ يُرْسَلُ عَلَيْكُمٰا شُوَاظٌ مَنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرانِ و ـــ لَوْ أَنْزَلْنا هٰذا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ـــ إلى آخر سورة الحشر و ـــ وأَنَّهُ تَعالَى جَدُّرَبِّنا ـــ إلى ـــ شَطَطاً ، رَبَّنا لَا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مَنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ ﴾ .

ومن ذلك ان من قال لا اله إلا الله قبل كل شيء لا اله إلا الله بعد كل شيء لا اله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء عوفى من الهم والحزن (١) .

ومن ذلك ـــ « أن من قال : ﴿ أَشْهَدُ أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبدُه ورسوله وأنَّ عيسى عبدُ الله وابنُ أمتِه ورسولُه وكلمتُه أَلْقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنةَ حقٌّ والنارَ حق ﴾ أدْخله اللهُ الجنةَ على ما كان من عَملٍ من أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ أَيَّها شاء »(٢).

ومن ذلك ـــ « أن من قال : ﴿ سبحانَ اللهِ وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أَشْهَدُ أن لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمتُ نفسى فاغفِرْ لى وتُبْ علَيَّ إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت ﴾ ثلاث مرات فى مجلس ذكر كان كالطابَع يُطْبَعُ عليه ، ومن قاله فى مجلس لغوٍ كانت كفّارةً له »(٣).

ومن ذلك ـــ « أن من قال حين يصبح ﴿ لا اله الا الله وحده لا شريكَ له له المُلْكُ وله الحمد يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيدِه الخيرُ وهو على كل شيء قديرٌ ﴾ عَشْرَ مرات كتب الله له بكلّ واحدةٍ قالها عشر حَسناتٍ ومحَا عنه بها عشر سَيئات ورفعه بها عشرَ درجات وكُنَّ له كعتِقْ عشرِ رقابٍ وكُنَّ له مَسْلَحةً من أولِ النهارِ إلى أخره ولم يعَملْ يومئذ عملا يُقَاوِمهُنَّ فإن قالها حين يُمْسِى فكذلك »(٤).

---

(١) أخرجه الطبرانى .
(٢) أخرجه الشيخان .
(٣) أخرجه النسائى وغيره .
(٤) أخرجه الأمام أحمد وغيره .

ومن ذلك « أن من قال : ﴿ اللهم فاطِرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ إنّى أعهَدُ إليك فى هذه الحياةِ الدنْيا أنّي أشهَدُ أن لا إله إلا أنت وحدَك لا شريك لك وأن محمدا عبدُك ورسولُك فإنك إن تَكِلْنى إلى نفسى تُقَرِّبْنى من الشرِّ وتباعِدْنى من الخيرِ وإنى لا أثِقُ إلا برحمتِك فاجعَلْ لي عندك عهْداً تُوَفِّينِيه يومَ القيامةِ إنك لا تُخْلِفُ المِيعاد ﴾ قال الله عز وجل يومَ القيامة لملائكتِه إن عبدى عهِدَ عندى عهْدا فأوْفُوه إياه فيُدْخِلهُ اللهُ الجنةَ »(١) .

ومن ذلك ـــ « أن من قرأ آيةَ الكرسى وخَواتِيمَ سورة البقرة عند الكرْبِ أغاثه الله عز وجل »(٢) .

ومن ذلك ـــ « أن من قال : ﴿ لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده لا اله الا الله لا شريك له لا اله الا الله له الملك وله الحمد لا اله الا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ فى يوم أو فى ليلةٍ أو فى شهرٍ ثم مات فى ذلك اليومِ أو فى تلك الليلة أو فى ذلك الشهر غُفِر له ذنبُه »(٣).

ومن ذلك ـــ « أن من قرأ ﴿ حٰمٓ ـــ المؤمن إلى قوله ـــ المصير ، وآية الكرسى ﴾ حين يُصْبِحُ حُفِظ بهما حتى يمسِيَ ومن قرأهما حين يمسى حفِظَ بهما حتى يُصبِحَ »(٤) .

ومن ذلك ـــ « أن من عليه دين ولو كان مثل أحد ثم قال : ﴿ اللهم فارِجَ الهمِّ كاشفَ الغمِّ مجيبَ دعوةِ المُضْطَرين رحمانَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما أنت ترحمُنى فارْحَمْنى رَحْمَةً تُغْنِينى بها عن رَحْمَةِ مَنْ سواك ﴾ لقَضاهُ الله عز وجلّ »(٥) .

ومن ذلك ـــ « أن كلماتٍ من قالهُنّ أوّلَ نهاره لم تصِبْه مصيبةٌ حتى يُمْسِيَ ومن قالهن آخر النهار لم تصِبْه مصيبةٌ حتى يصبِحَ ﴿ اللهّم أنتَ ربّى لا اله الا أنتَ عليك توكّلْتُ وأنت ربُّ العرشِ العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ

---

(١) أخرجه الأمام أحمد برجال الصحيح .
(٢) أخرجه ابن السنى .
(٣) أخرجه النســائى .
(٤) أخرجه الترمذى وغيره .
(٥) رواه الحاكم وغيره .

لم يَكُنْ لا حول ولا قوة إلا بالله العليِ العظيم أعلَمُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ وان الله قد أحاطَ بكل شَيءٍ علما ﴾ »[1].

ومن ذلك ـــ « أن من قرأ ﴿ شهد اللهُ أنّه لا اله إلا هو والملائكةُ وأولو العلمِ قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام ، وأنا أشهَد بما شهد الله به واستودِعُ الله هذه الشهادةَ وهى لِي عنده وديعةٌ ﴾ جِيءَ به يوم القيامة فقيل : عبْدى هذا عهِدَ إلَيَّ عهْداً وأنا أحقُّ مَنْ أوفى بالعهدِ أدْخِلوا عبدى الجنَّةَ »[2].

ومن ذلك ـــ « أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه ألا أُعَلِّمُكَ كلِماتٍ إذا قلتَهن غُفِرَتْ ذنوبُك وإن كانتْ مثلَ زَبدِ البحرِ أو مثلَ عدد الذَّرِّ مع أنه مغفورٌ لك ﴿ لا اله إلا الله الحليمُ الكريم لا اله إلا الله العليمُ العظيم سبحان الله ربِّ السموات السبع ورب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين ﴾[3] »

ومن ذلك ـــ « أن النبى ﷺ قال لابن عباس رضى الله عنهما : إذا أتيتَ سُلطانا مهيْباً تخاف أن يسطُوَ بك فقل : ﴿ الله أكبر الله أكبر ألله أعَزُّ مِنْ خلقِه جميعا الله أعزُّ مما أخافُ وأحذَرُ أعوذ بالله الذى لا اله إلا هو المُمْسِكُ السماءَ أن تَقَع على الارضِ إلا بإذنِه من شرِ عبدِه فلان (ويسمِّى من يخاف شرَّه) وجنودِه وأتباعِه وأشْياعِه من الجنِّ والأنس اللهم كُنْ لى جارا من شرِّهم جلَّ ثناؤُك وعَزَّ جارُك وتبارَك اسمُك ولا اله غيرك ﴾ ثلاث مرات »[4].

ومن ذلك ـــ « أن النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : ألا أعلِّمُك دعاءً تدعو به فلو كان عليك أمثالُ الجبالِ من الدَّين قضاه الله تعالى : قال : معاذٌ : قلتُ بلى . قال : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ

---

(١) أخرجه ابن السنى .
(٢) رواه أبو الشيخ .
(٣) أخرجه الأمام أحمد .
(٤) أخرجه الطبرانى وغيره بسند صحيح .

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُوْلِجُ اللَّيْلَ فى النَّهارِ وَتُوْلِجَ النَّهارَ فى اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ رحمٰنَ الدنيا والأخرةِ ورحيمَهما تُعْطى من تشاء منهما وتَمنعُ من تشاء ارْحَمْنى رحمةً تُغْنينى بها عن رحمةِ مَنْ سواك . اللهم اَغْنِنى من الفقرِ واقضِ عَنىِّ الدَّينَ وتوفَّنى فى عبادِتك وجهادٍ فى سبيلك ﴾ »(١).

ومن ذلك ــ أن البى ﷺ قال : « اسم الله الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجابَ فى هذه الآية : ﴿ قلِ اللهم مالكَ المُلْكِ تُؤْتى المُلْكَ مَنْ تشاء وتنزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تشاء وتُعِزُّ من تشاء وتُذِلُّ من تشاء بيدك الخير إنَّك على كلِّ شَيْءٍ قدير تُولِج الليلَ فى النهار وتولِج النَّهارَ فى الليل وتُخْرِجُ الحَيَّ من المَيِّتِ وتخرج الميت من الحي وترزق مَنْ تشاء بغيرِ حساب ﴾ »(٢).

ومن ذلك ــ « أن من قال كل يوم مرة ﴿ سبحانَ القائم الدائمِ سبحان الحي القيومِ سبحان الحيِّ الذى لا يموت سبحان الله العظيم وبحمده سُبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكة والرُّوح سبحانَ العليِّ الأعلٰى سبحانه وتعالى ﴾ لم يمُتْ حتى يرىٰ مكانه من الجنَّةِ أو يُرىٰ له »(٣).

ومن ذلك ــ أن النبى ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللِّسانِ ثقيلتان فى الميزان حبيبتَان إلى الرحمن ﴿ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ »(٤).

ومن ذلك ــ « ما جاء فى قصة قبيصة أنه جاء إلى النبى ﷺ فقال : كبُرَتْ سِنِّي يارسولَ الله ورَقَّ جِلدى وضُعفَت قُوَّتى وهِنْتُ على أهلى وعَجزت عن أشياء كنتُ أعملها ! فعلِّمْنى كلماتٍ يَنْفَعُنى الله بِهِنّ فأوجِزْ . فقال النبى ﷺ : ياقَبيصَةُ ــ قل ثلاث مرات إذا صلّيتَ الغداةَ ﴿ سبحانَ الله وبحمدِه سبحان الله العظيم وبحمده ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم ﴾ فإنك إن

---

(١) أخرجه الطبـرانى .

(٢) أخرجه الطبرانى .

(٣) أخرجه ابن عسـاكر.

(٤) أخرجه الشيخان .

قُلْتَ ذلك أمِنْتَ بإذن الله من العَمٰى والجُذامِ والبَرصِ . وقل : ﴿ اللهم اهْدِنى من عندِك وأفِضْ عليَّ من فضلِك وأسبغ عليَّ رَحمتَك وانزِلْ عليّ من بَركاتِك ﴾[1].

ومن ذلك — « أن من صلى الفجرَ فى جماعةٍ وقعد فى مصلاه وقرأ ثلاثَ آياتٍ من أول سورة الأنعامِ وَكَّل اللهُ به سبعين ملَكاً يسبِّحُونَ اللهَ ويستَغْفِرونه إلى يومِ القيامة »[2].

ومن ذلك — « أن من قال فى دبُرِ الصلاة بعد ما يسلِّم هؤلاءِ الكلماتِ كتبها ملَكٌ فى رَقٍّ فخُتِم بخاتَمٍ ثم رفَعها إلى يومِ القيامةِ فإذا بعثَ اللهُ العبدَ مِنْ قبرِه جاءه الملَكُ ومعه الكتابُ . فيقول أين أهلُ العُهودِ حتى تُدْفَعَ إليهم .

والكلمات هى ﴿ اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادةِ الرحمنَ الرحيم إنى أعهَدُ إليك فى هذه الحياةِ الدنيا بأنّك أنت الله لا إله إلا انت وحدَك لا شريكَ لك وأن محمدا عبدُك ورسولك فلا تَكِلْنى إلى نفسى فإنك إن تَكِلْنى إلى نفسى تُقَرِّبْنى من الشر وتباعِدْنى من الخير وإنى لا أثِقُ إلا برحمتِك فاجعَلْ رحمتَك لي عهداً عندك تؤدِّيه إليَّ يومَ القيامة إنك لا تخلِفُ الميعاد ﴾»[3].

ومن ذلك — « أن من قرأ هذه الآياتِ أو حملَها لو نزلَ عليه العذابُ مثل أُحدٍ لرفعه الله عنه ببركتها ﴿ قُل لَنْ يُصِيبَنٰا الّا مٰا كَتَبَ اللهُ لَنا — إلى قوله — إنَّا إِلىٰ اللهِ رَاغِبُونَ ﴾»[4]. من سورة التوبة .

ومن ذلك — أن النبى ﷺ قال : ﴿ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفرُ الله وأتوبُ إليه ﴾ من قالها كُتِبَتْ كما قالَها ثم عُلِّقَتْ بالعرشِ لا يمْحوها ذنبٌ عمِلَه صاحُبها حتى يلقى اللهَ تعالى يومَ القيامة وهى مختومةٌ ﴾»[5]

---

(١) أخرجه ابن السنى .
(٢) أخرجه الديلمى .
(٣) أخرجه الحكيـم .
(٤) نقله الشرجى فى فوائده .
(٥) أخرجه البزار .

ومن ذلك — أن النبى ﷺ قال : « ما يمنعُ أحدَكم إذا عَسر عليه أمرُ معيشتِه أن يقولَ إذا خرج من بيته : ﴿ بسم الله على نفسى ومالى ودِينى اللهم رضِّنى بقضائِك وبارِك لى فيما قَدَّرتَ لى حتى لا أحِبَّ تعجيلَ ما أخّرتَ ولا تأخيرَ ما عَجَّلت »(١) .

ومن ذلك — « أن من لزم قراءة : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَؤُوْفٌ رَّحِيمْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ ﴾ لم يمت هدْماً ولا غرقا ولا حَرقاً ولا ضرْباً بحديدةٍ »(٢) .

ومن ذلك — « أن من قال حين يصبحُ وحين يمسى :

—(حسبى الله) سبعَ مرات كفاه الله ما أهَمَّه من أمر الدنيا والآخرة »(٣) .

ومن ذلك — « أن من قال : (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ الّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) بعد صلاة الصبح سبعَ مرآتٍ كفاه الله يومَه ذلِك وإن لم يكُنْ صَادقاً فى توكُّلِه ، وإن قالها مساءً فكذلك حتى يصبِحَ) »(٤) .

ومن ذلك — ان النبى ﷺ قال : « من سَرَّه أن يُنسأَ فى عمرِه ويُنْصَرَ على عدُوِّه ويُوسَّعَ عليه فى رزقِه ويُوْقى مِيْتةَ السوءِ فليقُلْ حينَ يُمْسى وحينَ يُصبِحُ ثلاثَ مرات : (سبحان الله مِلْءَ الميزانِ ومُنْتهى العلْمِ ومبلَغَ الرِّضا وزِنةَ الْعرْشِ) »(٥) .

ومن ذلك — « أن النبى ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها قال : ياعائشةُ ألا

---

(١) رواه ابن السنى .

(٢) أخرجه العراق فى تخريج أحاديث الاحياء .

(٣) أخرجه ابن السنى .

(٤) حـديث الاحياء .

(٥) أخرجه الديلمى .

أعلِّمُك كلماتٍ تعدِلُ أو تفْضُلُ تسبيحَ أهلِ السَّمواتِ والأرضِ . تقولِيْنَ : (سبحان الله العظيمِ وبحمده أضعافَ ما يسَبِّحُه جميعُ خلقهِ وكَما يُحِبُّ ويَرْضَى وكما ينْبَغى له) »[1].

ومن ذلك — « أن النبيَّ ﷺ قال لبعضِ بناتِه : قُولى حين تُصْبِحين (سبحان الله وبحمده ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن أعلمُ أن الله على كلِّ شَيْءٍ قدير وأن الله قدْ أحاطَ بكلِّ شَيْءٍ علماً) فإن من قالهن حين يصبِحُ حُفِظ حتى يُمْسِيَ — ومن قالهن حين يُمْسى حُفِظ حتى يُصْبِحَ »[2].

ومن ذلك — « دعوة ذى النون إذ دعابها وهو فى بطن الحوت (لا اله إلا أنت سبحانك إنِّى كُنْتُ من الظالمين) لم يَدْعُ بها مسلم فى شَيْءٍ قطُّ إلّا استَجابَ اللهُ له »[3].

ومن ذلك — « أن النبى ﷺ قال : إذا نَزل بأحدِكم همٌّ أو غمٌّ أو سَقَمٌ فليقُلْ : (اللهُ الله ربّى لا أُشْرِكُ به شيئا) ثلاثا »[4].

ومن ذلك — « أن النبى ﷺ قال لأنس رضى الله عنه إذا طلَبْتَ حاجةً فأحبَبْتَ أن تنْجحَ فقُلْ : (لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ العَليُّ العظيمُ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الحليمُ الكريمُ بسمِ الله الذَّى لا اله إلَّا هو الحَيُّ الحكيمُ سبحانَ الله ربِّ العرْشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ الْعالمينَ كأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مٰا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا سٰاعَةً مِنْ نَهٰارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهٰا لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاٰهٰا ، اللهم إنى أسأُلك موجباتِ رحمتِك وعَزائِمَ مغْفِرَتِك والغنيمةَ من كلِّ بِرٍّ والسَّلامةَ من كلِّ إثمٍ ، اللهم لا تدَعْ لى ذنباً إلا غفَرْتَه ولا هَمًّا إلّا فرَّجْته ولا دَيناً إلا قضَيْتَه ولا حاجةً من حوائجِ الدُّنيا والأخرةِ إلّا قضَيْتَها برحمتِك ياأرحمَ الرّاحمِين ، اللهم أنتَ تحكُم بين عبادِك فيما

---

(١) أخرجه الدارقطنى .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) رواه الامام أحمد وغيره وصححه الحاكم .

(٤) أخرجه أبو داود .

كانوا فيه يخْتلِفون ، لا إله إلا الله العلِىُّ العظيم ، لا إله إلا اللهُ الحَلِيْمُ الكريمُ سبحانَ الله ربُّ السمواتِ السَبْعِ وربُّ العرْشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، اللهم كاشِفَ الْغَمِّ مُفَرِّجَ الهَمِّ مُجيبَ دعْوَةِ المضْطَرِّيْنَ إذا دَعَوْكَ رحمٰنَ الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهُما فارْحَمْنى فى حاجَتى هذهِ بقضائِها ونجاحِها رَحْمَةً تُغْنِينى بها عَنِ رحمةِ مَنْ سِواك ، اللهم يامُؤَنِّسَ كلِّ وحيدٍ وياصاحبَ كلِّ فريدٍ وياقريباً غيرَ بعيدٍ وياشاهِداً غيرَ غائبٍ وياغالباً غيرَ مغلُوبٍ ياحَيُّ ياقيُّومُ ياذَا الجلالِ والإكرامِ يابديعَ السَّمواتِ والأَرْض ، اللهم أَسْأَلُكَ باسْمِك بسم الله الرحمن الرحيم الحيِّ القيُّومِ الذى لا تأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ ، وأسأَلُك باسمِك بسم الله الرحمٰنِ الرحيم الحَيِّ القيُّومِ الَّذى عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ وخشَعَتْ له الأَصْواتُ ووَجِلَتْ له القُلُوبُ أن تُصَلِّيَ على سيِّدِنا محمدٍ وأن تقْضِيَ حاجَتى (ويسمِّى حاجته) اللهم إنى أسأَلُك وأتَوَجَّهُ إليك بنبيِّك سيِّدِنا محمدٍ نبىِّ الرحمةِ ﷺ ياسيِّدَنا يامحمدُ إنى تَوَجَّهْتُ بك إلى ربِّى فى حاجتى هذه لتُقْضٰى (ويسمى حاجته) اللهم فشفِّعْه فِيَّ وشفِّعْنى فى نفْسى »(١) .

ومن ذلك ــ « أن من حَفِظ عشرَ آياتٍ من أوَّلِ سورة الكهف عُصِم من فتنةِ الدجَّالِ »(٢) .

« وكذلك من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف »(٣) .

ومن ذلك ــ « أن من قال حين يصلى الغَداة (سبحان الله عدَدَ خلقِه ، سبحان الله رِضا نَفْسِه ، سبحان الله زِنَةَ عرْشِه والحمد لله مثلَ ذٰلك ولا إلٰه إلا الله مثْلَ ذٰلك) فذلك خيرٌ له من أن يَجْمَعَ ما بين المشرق والمغرب ويَدْأَبُ الملائكةُ يكْتُبون ولا يُحْصُون ما قال »(٤) .

ومن ذلك ــ ما جاء أن عليا رضى الله عنه سأل رسولَ الله شيئا من الدنيا فقال : والذى بعَثنى بالحقِّ نبياً ما عنْدى قليلٌ ولا كثيرٌ ولكن أُعَلِّمكَ شيئا أتانى

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه مسلم وغيره .
(٣) رواه مسلم وغيره .
(٤) أخرجه ابن عساكر .

به جبريلُ عليه السلام فقال : يامحمد هذه هدِيَّةٌ من الله تعالى إليك لم يُعْطَهَا أحدٌ قبلَك لا يدعو بها مَلْهوفٌ ولا مكْروبٌ ولا عبدٌ خائفٌ من سُلطانٍ إلّا فرَّجَ اللهُ عنه (اللهم ياعِمادَ مَنْ لا عمادَ له ، ياسَنَدَ من لا سندَ له ، ياذُخْر مَنْ لاذُخْر لَه ياغياثَ مَنْ لا غياثَ له ، ياكريمَ العفْوِ ياحسَنَ التجاوُزِ ياكاشفَ البلاء ياعظيمَ الرجاءِ ياعونَ الضُّعفاء يامُنْقِذَ الْغَرْقى يامُنْجي الْهلكْى ، يامُحْسِنُ يامُجَمِّلُ يامُنْعِمُ يامُفَضِّلُ أنت الذى سَجَد لك سوادُ اللَّيلِ ونُورُ النهارِ وضوءُ القمرِ وشُعاعُ الشمسِ ودَوِىُّ الماءِ وخفِيقُ الشَجَرِ ياأللهُ لا شريكَ لكَ ياربِّ ياربِّ ياربِّ) ثم تدْعو بحاجتِك فلا تقومُ من مقامِك حتى تُقْضىٰ لك ولا تعلِّموهٰا السُّفهاءَ »[1] .

ومن ذلك — « أن من قرأ مِنْ قد أفلحَ المؤمنُونَ عشرَ آياتٍ بنٰى اللهُ له بيتاً فى الجنَّةِ »[2] .

ومن ذلك — « أن النبى ﷺ قال : ما مِنْ عبْدٍ يبْسُط كفَّيه فى دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثم يقولُ : (اللهم إلٰهى وإلٰهَ ابراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وإلٰهَ جبريلَ وميكائِيل وإسْرافيلَ أسأَلُك ان تستَجيبَ دعوَتى فإنِّى مُضْطَرٌّ وتعْصِمَنى فى دينى فإنّى مُبْتَلىً وتنالَنى برحمتِك فإنىّ مُذْنِبٌ وتَنْفِىَ عنىّ الفقْرَ فإنى مِسْكِينٌ) إلا كان حقا على الله أن لا يَرُدَّ يديه خائبتَين »[3] .

ومن ذلك — «أن من قال حينَ يُصْبِحُ : (فسبحان الله حين تمْسُون — إلى قوله — تُخرَجُون) أدركَ ما فاته فى يومِه ذلٰك ، ومن قال حين يمسى أدرَك ما فاتَه فى ليلتِه »[4].

وفى رواية « مَنْ قال حين يُصْبِحُ ثلاثَ مرّاتٍ (فسبحانَ اللهِ حينَ تُمْسُونَ — إلى آخرها)لم يَفُتْهُ خَيْرٌ كان قَبْلَهُ من اللَّيلِ ولم يُدْرِكْه يومَه شرٌّ . ومن قالها حين يُمْسى مثلهُ »[5].

---

(١) أخرجه أبو الفتح المقدسى .
(٢) رواه ابن مردويه .
(٣) أخرجه ابن السنى .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) رواها الحافظ ابن حجر .

ومن ذلك ــ أن النبى ﷺ قال : ما أصاب مُسْلماً قطُّ همٌّ ولا حُزْنٌ فقال : (اللهم إنّى عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِك فى قَبْضَتِك ، ناصيَتى بيدِك ماضٍ فيَّ حُكْمُك ، عدْلٌ فِيَّ قضاؤُك أسأُلك بكلِّ اسمٍ هُوَ لكَ سميتَ به نفْسَك ، أو أنزلْته فى كتابِك أو علَّمْتَه أحداً من خلقِك أو استأْثَرْتَ به فى علمِ الغيبِ عندَك أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قَلْبى ونورَ بصَرى وجَلاءَ حُزْنى وذهابَ همِّى وغمِّى) إلا أذهبَ اللهُ همَّه وأبْدَلَه مكانَ حُزنِه فرجاً »(١).

ومن ذلك ــ « ما جاء فى قصَّةِ رجُلٍ جاء إلى النبى ﷺ فسَلَّم فلما جَلَس قال : (الحمد للهِ حمْداً كثيرا طيِّباً مبارَكاً فيه كما يُحِبُّ ربُّنا أن يُحمْدَ وينْبَغى له) فقال رسول الله ﷺ كيف قلت ؟ فرد عليه كما قال . فقال النبى ﷺ : والَّذى نفسى بيدِه لقد ابْتدرَها عشرةُ أمْلاكٍ كلُّهم حريصٌ على أن يَكْتُبَها فما دَرَوْا كيفَ يكْتُبُونها لكثرةِ ثوابِها حتى رفَعُوها إلى ذى العزَّةِ فقال : اكْتُبوها كما قال عبدى وَعَلَيَّ جزاؤُه بها »(٢).

ومن ذلك ــ « أن النبى ﷺ قال : إذا شَجاك شيطانٌ أو سلطانٌ فقل : (يامن يَكْفى عن كُلِّ أحدٍ ولا يكفى عنه أحدٌ ياأحدَ مَنْ لا أحدَ له ياسنَدَ مَنْ لا سندَ له انقطَعَ الرَّجاءُ إلاّ مِنْك نَجِّنى مِمّا أنا فيه وأعِنِّى علىٰ ما أنا عليه مما قد نَزَل بى بجاهِ وجهِك الكريم وبحَقِّ سيِّدنا محمد ﷺ آمين آمين » .

ومن ذلك ــ « أن منْ قال : (الحمد لله الذى تواضعَ كلُّ شيءٍ لعظَمتِه ، والحمد للهِ الذى ذَلَّ كلُّ شيءٍ لعِزَّته ، والحمدُ لله الذى خَضَعَ كلُّ شيءٍ لمُلْكِه ، والحمد لله الذَّى استَسْلَمَ كلُّ شيءٍ لقُدْرَتِه) يطلبُ ما عند الله كَتَبَ اللهُ له بها ألْفَ حسَنَةٍ ورفَعَ له بها الْفَ درجةٍ وَوُكِّل به سبعونَ ألفَ مَلكٍ يستَغْفِرون له إلى يومِ القيامةِ »(٤).

ومن ذلك ــ ما جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال : لما أهْبَطَ اللهُ آدمَ إلى الأرضِ جاءَ

---

(١) أخرجه الحاكم .

(٢) أخرجه الامام أحمد برجال ثقات .

(٣) أخرجه الديلمى .

(٤) أخرجه الطبرانى .

الكعبةَ وصلّى ركَعْتين ، فألْهَمَه الله هذا الدُّعاءَ (اللُّهمَّ إنَّكَ تعلمُ سريَرَتى وعلانِيَتِى فاقبَلْ مَعْذِرَتى وتعلَمُ حاجَتى فأعَطِنى سُؤْلى وتعلَمُ ما فى نفْسى فاغفِرْ لي ذَنْبى . اللهم إنىّ أسألُك ايمانا يباشِرُ قَلْبى ويقينا صادِقاً حتى أعْلَمَ انَّه لا يُصِيْبُنى إلا ما كَتبْتَ لى ورَضِّنى بما قَسَمْتَ لي) فأوحى الله إليه ياآدم قد قَبِلتُ توبتَك وغَفَرْتُ لك ذنبَكَ ولم يدعُنى أحَدٌ بهٰذاالدعاءِ إلا غفَرْتُ له ذنْبَه وكفيْتُه المُهِمَّ من أمْرِه وزَجَرْتُ عنه الشَّيطانَ واتَّجَرْتُ له مِنْ وراءِ كلِّ تاجرٍ وأقبلتْ إليه الدنيا راغمةً وإن لم يُرِدْها »(١).

ومن ذلك ــ « ان النبى ﷺ قال : إذا تخَّوفَ أحدُكم السُّلطانَ فليقل : (اللهم ربَّ السمواتِ السَبْعِ وربَّ العرْشِ العظيمِ كُنْ لى جَاراً مِنْ شَرِّ فُلَان بن فلان وشرِّ الجنِّ والإنِس وأتباعِهم أن يَفْرُطَ عليَّ أحدٌ منهم أو أن يَطْغى عزّ جارُك وجلَّ ثناؤُك ولا إله غيرُك) »(٢).

ومن ذلك ــ « أن من قرأ خواتيمَ الحشر من ليلٍ أو نهار فقُبِض فى ذلكَ اليومِ أو الليلةِ فقد أوْجَبَ الجنة »(٣).

ومن ذلك ــ « ما جاء أن النبى ﷺ دخلَ المسجدَ ذاتَ يومٍ . فَإذَا هو برجُلٍ من الأنصارِ يقال له أبو أُمامةَ . فقال : ياأبا أمامةَ . مالى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقتِ صلاةٍ . قال : همومٌ لَزِمَتْنى وديونٌ يارسول الله . قال : أفلَا أُعَلِّمُك كلاماً إذا قلتَه أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ وقَضىٰ عنك دَيْنَك قلتُ : بلى يارسولَ اللهِ قال : قل إذا أصبْحتَ وإذا أمسيْتَ . (اللهم إنى أعوذُ بك من الهَمِّ والحَزَنِ وأعوذ بك من العجْزِ والكَسَلِ وأعوذ بك من الجُبْنِ والبُخْلِ وأعوذ بك من غَلَبة الدَّين وقهْرِ الرجالِ) »(٤).

ومن ذلك ــ أن من قال حين يصبحُ وحين يُمْسى (اللهم أنت ربى لا اله إلا أنتَ خلقْتنى وأنا عبدُك وأنا على عَهْدِك ووعْدِك ما استَطَعْتُ اعوذُ بك من

---

(١) أخرجه الطبرانى .
(٢) أخرجه الطبرانى .
(٣) رواه البيهقى .
(٤) أخرجه أبو داود .

شرِّ ما صنَعْتُ أبوءُ لك بِنعمتِك عَليَّ وأبوءُ بذنْبى فاغفِرْ لى فإنه لا يغفِرُ الذّنوبَ إلا أنت) فمات مِنْ يومِه أو ليلتِه دخلَ الجنّةَ »(١).

ومن ذلك ــ أن النبى ﷺ قال لأنس رضى الله عنه ألَا أعلِّمُك ما علَّمَنى جبريلُ ، إذا كانت لك حاجةٌ إلى بخِيلٍ شحيحٍ أو سلطانٍ جائرٍ أو غريمٍ فاحشٍ تَخافُ فُحْشَهُ فقل : (اللهم إنك أنت العزيزُ الكبيرُ وأنا عبدُك الضّعيف الذليلُ الذّى لا حول له ولا قوةَ إلا بك . اللهم سَخِّرْ لي فلانا كما سَخَّرْتَ فرعونَ لموسى ولَيِّنْ لى قلبَه كما ليَّنْتَ الحديدَ لداودَ فإنه لا ينطِقُ إلا بإذْنِك ناصِيَتُهُ فى قَبْضَتِك . قلبُه فى يدِك . جلَّ ثناءُ وجهِكَ ياأرحمَ الرَّاحمين) (٢).

ومن ذلك ــ أن من قال عَشْرَ كَلِماتٍ عندَ دبُرِ كلِّ صلاة غداة وجَدَ الله عندهُنّ مُكْفِيًا مُجزِيًا خَمسٌ للدنيا وخمسٌ للآخرة (حسبي الله لدَيْنى حسبي الله لما أهَمَّنى حسبي الله لمن بَغى عَلَيَّ حسبي الله لمن حَسَدنى حسبي الله لِمَنْ كادَنى بسُوءٍ حسبي الله عندَ الموتِ حسبي الله عند المَسْأَلَةِ فى القَبْرِ حسبي الله عند المِيزان حسبي الله عِنْدَ الصراطِ حسبي الله لا اله الا هو عليه تَوكّلْتُ وإليه أُنيبُ) » (٣).

ومن ذلك ــ « ما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ فقال : خُذوا جُنَّتَكُمْ . قلنا : يارسول أمن عدُوٍّ حضرَ ؟ فقال : خذوا جُنَّتكم من النارِ قُولوا (سبحان اللهِ والحمدُ للهِ ولا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر ولا حولَ ولا قوة الّا بالله) فإنهُنَّ يأتِيَنَ يومَ القيامةِ مستَقْدِمَاتٍ مُنْجيات ومُجَنِّبَاتٍ وهُنّ الباقياتُ الصالحاتُ » (٤).

ومن ذلك ــ « أن قولَ : (اللهم إنك خلاَّقٌ عظيمٌ إنك سميعٌ عليم إنك غَفور رحيمٌ إنك ربُّ العرْشِ العظيمِ اللهم إنَّكَ أنْتَ البَرُّ الجَوادُ الكريمُ اغِفْرلى

---

(١) أخرجه الامام أحمد وغيره .

(٢) أخرجه الديلمى .

(٣) أخرجه الترمذى فى نوادر الاصول .

(٤) رواه الطبرانى بسند صحيح .

وارْحَمْنى وعافِنى وارْزُقْنى واسْتُرْني وأُجُرْنِي وارْفَعْنِي وَلَا تُضِلَّنِي وأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ برحمتِك ياأرْحمَ الراحمين) يجْمَعُ خيرَ الدنيا والآخرةِ كما جاء فى الحديث »(١) .

ومن ذلك ـــ ما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : أمانٌ لأمتي من الغَرقِ إذا ركِبوا أن يقْرءوا ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْراها ومُرْساها إنَّ ربِّى لَغَفورٌ رَحِيمٌ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يومَ الْقِيامَةِ وَالسَّمٰواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ »(٢) .

ومن ذلك ـــ « أن النبى ﷺ قال : لو أنَّ رجلا مُوْقِناً قرأها على جبلٍ لزالَ ﴿ أفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عبَثَاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُوْنَ فَتَعالٰى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إلٰهَ إلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْش الْكَرِيْمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإنَّما حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُوْنَ وَقُلْ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين ﴾ »(٣).

ومن ذلك ـــ « أن من قرأ فى مُصْبَحٍ أو مُمْسىً ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ ـــ إلى آخر السورة ﴾ لم يَمُتْ قلبُه ذلكَ اليومَ ولَا فى تلك الليلةِ »(٤).

ومن ذلك ـــ أن هذا الدعاء يُذْهِبُ الفزَعَ كما جاء فى الحدْيث : ﴿ أعوذُ بكلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مَن غَضَبِه وعقابِه ومن شرِّ عبادِه ومن همزَاتِ الشَّياطينِ وأَنْ يَحْضرُونِ » (٥).

ومن ذلك ـــ ما جاء عنه ﷺ أنه قال : ما مِنْ رجلٍ يدْعُو بهذا الدعاءِ فى أوَّلِ لَيْلِهِ وأوَّلِ نهارِه إلا عَصَمه اللهُ من إبليسَ وجُنودِه : ﴿ بسم اللهِ ذِى الشأْنِ عظيمِ البُرهانِ شديدِ السُّلطانِ ماشاءَ اللهُ كانَ أعوذُ باللهِ من الشَّيْطانِ ﴾(٦).

ومن ذلك ـــ « أن من سأل الجَنَّةَ ثلاثاً قالت الجنةُ اللهم أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ،

---

(١) أخرجه الديلمى .
(٢) رواه ابن السنى .
(٣) رواه أبو نعيم .
(٤) رواه الديلمى .
(٥) أخرجه الترمذى .
(٦) أخرجه ابن عساكر .

ومَنِ اسْتَجارَ بِاللهِ من النارِ ثلاثا قالتِ النَّارُ   اللهم أجِرْهُ من النارِ »[1].

ومن ذلك ــ « أن النبىَّ ﷺ قال : لِعَلِيٍّ رضى الله عنه قُلْ إذا أصبَحْتَ ثلاثا وإذا أمْسَيْتَ ثلاثاً ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلِيِّ العظيمِ ﴾ فإنها شِفاءٌ من تسعةٍ وتسعين داءً أيسَرُها الهمُّ »[2].

ومن ذلك ــ أن قول : « سبحانَك لا إله إلا أنت ياذا الجلالِ والإكرامِ » من الدعوات المَضْمُونَةِ الإجَابة .

كما جاء فى الحديث « أن سعدا رضى الله عنه دعا على كَلْبٍ فأهْلَكه فقال له النبى ﷺ : كيفَ دعوتَ عليه فقال : (سبحَانَك إلخ) اَهلِكْ هذا الكلْبَ . فقال ﷺ : ياسعدُ لقد دعوتَ بيومٍ وساعةٍ بكلماتٍ لو دعوتَ بها على مَنْ فى السموات والأرضِ لاَسْتُجِيْبَ لك فأبْشِرْ ياسعد »[3].

ومن ذلك ــ « أن من قال : (اللهم اكْفِنِى بحلالِك عن حرامِك وأغْنِنى بفَضْلِك عَمَّنْ سَواك) لو كان عليه مِثْلُ ثبيرٍ دَيْناً لأدّاه اللهُ عنْهُ »[4].

ومن ذلك ــ « أن النبى ﷺ قال : ماقال عبد (اللهم ربَّ السمواتِ السبْعِ وربَّ العْرشِ العظيمِ إكْفِنى كلَّ مُهِمّ من حيثُ شِئْتَ وكيف شئْتَ وأنَّى شئْتَ ومن أينَ شئْتَ) إلا أذهَبَ اللهُ تعالى هَمَّه »[5].

ومن فضائل هذه الأمة المحمدية أنها مأمورة بطلب العافية والدعاء بسلامة البدن وتمام الصحة . ولا شك أنّ هذا غاية ما يتمناه الإنسان ويشتهيه ، وبهذا صارت العبادة عادة وانقلب المألوف إلى معروف . والأمر المحبوب إلى النفس المشتهى عادة والمطلوب طبيعة هو الأمر المحبوب المطلوب إلى الله سبحانه وتعالى والمطلوب شريعةً . وفى هذا غاية العناية بهذه الأمة المحمدية .

---

(١) أخرجه الترمدى وغيره .
(٢) أخرجه المستغفرى .
(٣) أخرجه الطبرانى .
(٤) أخرجه الحاكم وصححه .
(٥) أخرجه الخرائطى .

جاء فى الحديث عن أنس رضى الله عنه أن رجلًا جاء إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أي الدعاء أفضل ؟ قال : « سَلْ رَبَّكَ العافِيةَ والمُعَافَاةَ فى الدنيا والآخرَةِ . ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال : يارسولَ الله أيُّ الدعاء أفضلُ ؟ فقال له مثلَ ذلك . ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك قال : فإذا أُعْطِيْتَ العافية فى الدُّنيا وأُعْطِيْتَها فى الآخرةِ فقَدْ أَفْلَحْتَ »(١).

ومعنى (العافية) أن تسلم من الأسقام والبلايا وهى الصحة وضد المرض ، (والمعافاة) أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك : أى يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم ، وقيل هى مفاعلة من العفو وهو أن يعفو عن الناس ويعفوهم عنه . والعفو إسم من أسماء الله تعالى وهى فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه اهـ .

وقد قام أبو بكر على المنبر ثم بكى فقال : قام فينا رسول الله ﷺ عامَ أولَ على المنبر ثم بكى فقال : « سَلوا اللهَ العفْوَ والعافيةَ فإنَّ أحداً لم يُعْطَ بعدَ اليَقينِ خيراً من العافيةِ »(٢).

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله كيف أقول حين أسأل ربى ؟ قال : « قل اللّهُمَّ إغفِر لى وارْحَمْنى وعافِنى وارْزُقْنى . ويجمع أصابعه إلا الإبهام . فإنَّ هؤلاءِ تَجْمَعُ لك دنياك وآخِرَتَكَ »(٣).

وأوصى ﷺ عمه العباس قائلا : « ياعباسُ يَا عَمَّ النبِيِّ ﷺ أَكْثِرْ من الدعاءِ بالعافيةِ »(٤).

وأخبر أن سؤال العافية هو من أحب الدعاء إليه سبحانه قال النبى ﷺ : ما سُئِل اللهُ شيئاً أَحَبَّ إليه من العافيةِ »(٥).

وفى سبيل المحافظة على العافية واستمرارها أمر ﷺ من رأى مبتلى أن يحمد الله ويشكره على نعمة العافية وأخبر أنه بحمده وشكره يُحفظ من ذلك البلاء

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الترمذى والنسائى .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .
(٥) رواه الترمذى وابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

فقال : « مَنْ رَأى صاحِبَ بلاءٍ فقال : الحمدُ للهِ الذى عافانِى مما ابتلاكَ به وفَضَّلَنى على كثيرٍ ممَّنْ خَلَقَ تفضيْلاً لم يُصِبْهُ ذلكَ البلاءُ »[1] .

فـوائد الصـــلاة على النبى
عليـه أفضـل الصـلاة والســلام

ومما أكرم الله به هذه الأمة المحمدية من الفضل والشرف ما جعله من الثواب الكبير والأجر العظيم لمن يصلى ويسلم على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ .

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ ذكر من الأذكار التى يثاب العبد على لفظها ومعناها .

فالمشتغل بها يثاب على مجرد ترديد ألفاظها كما يثاب من يردد لفظ التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح وليس كلامنا فى مقدار الثواب بالمقارنة بين هذا وهذا وإنما مقصودنا هو أن نقول أن المشتغل بالصلاة والسلام على المصطفى مثاب على مجرد تكرار الفاظ الصلاة والسلام كما يثاب من يردد الفاظ التهليل والتسبيح والتحميـد فهـو ذكـر متعبَّد بلفظه ومعنـاه ولـذلك كـان بعض السـلف يلـزم نفسه بعدد مخصوص محدد يأتى به من الصلاة والسلام عليه يلتزم به ويتقيد ومعلوم أنه لا شيء فى ذلك ما دام أنه لا يعتقد أنه مشروع وارد عن النبى ﷺ بل يعلم أن ذلك من نفسه أو من غيره لأن القضية فى الحقيقة إنما هى فى نسبة شيء إلى النبى ﷺ والحال أنه لم يرد عنه فهذا لا نرضاه بل ونحاربه ونعتقد أنه بدعة سيئة خبيثة لا يرضاها النبى ﷺ .

أما من يلزم نفسه شيئا عالما بأنه منه وإليه مبرأ مقام النبوة عنه غير معتقد فيه سنية أو مشروعية لعينه فلا شيء فى ذلك ألبتة .

وقد كان بعض السلف يفعل هذا فقد جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبزار والطبرانى .

أنه قال : (يازَيدُ بنَ وهبٍ لا تَدعْ إذا كان يومُ الجمعة أن تُصَلِّيَ يومَ الجمعة على النبى ﷺ ألفَ مرة تقول : « اللَّهم صلِ على محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ » .

ونذكر هنا جملة من فوائد الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مما ذكره العلماء وخصوصاً العلامة ابن القيم والحافظ ابن حجر الهيتمي مع التهذيب والتلخيص .

الفائدة الأولى : إمتثال امر الله سبحانه وتعالى .

الثانية : موافقته سبحانه وتعالى فى الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

الثالثة : موافقة ملائكته فيها .

الرابعة : حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة .

الخامسة :انه يرفع له عشر درجات .

السادسة : انه يكتب له عشر حسنات .

السابعة : أنه يمحى عنه عشر سيئات

الثامنة : أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها فهى تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين وكان موقوفا بين السماء والأرض قبلها .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها .

العاشرة : أنها سبب لغفران الذنوب .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه .

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة .

الثالثة عشرة : أنها تقوم مقام الصدقة لذى العسرة .

الرابعة عشرة : أنها سبب لقضاء الحوائج .

الخامسة عشرة : أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه .

السادسة عشرة : أنها زكاة للمصلى وطهارة له .

السابعة عشرة : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته ذكره الحافظ أبو موسى فى كتابه وذكر فيه حديثا .

الثامنة عشرة : أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة ذكره أبو موسى وذكر فيه حديثا .

التاسعة عشرة : أنها سبب لرد النبى ﷺ الصلاة والسلام على المصلى والمسلّم عليه .

العشـــرون : أنها سبب لذكر العبد ما نسيه .

الحادية والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة .

الثانية والعشرون : أنها سبب لنفى الفقــر .

الثالثة والعشرون : أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

الرابعة والعشرون : نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ .

الخامسة والعشرون : أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطىء بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يذكر فيه الله ورسوله ويحمد ويثنى عليه فيه ويصلى على رسوله ﷺ .

السابعة والعشرون : أنها سبب تمام الكلام الذى ابتدىء بحمد الله والصلاة على رسوله .

الثامنة والعشرون : أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره .

التاسعة والعشرون : أنه يخرج بها العبد عن الجفاء .

الثــلاثــون : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلى عليه بين أهل السماء والأرض لأن المصلى طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل فلابد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك .

الحادية والثلاثون : أنها سبب للبركة فى ذات المصلى وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلى داع ربه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه .

الثانية والثلاثون : أنها سبب لنيل رحمة الله له لأن الرحمةِ إما معنى الصلاة كما قاله طائفة وإما لوازمها وموجباتها على القول الصحيح فلابد للمصلى عليه من رحمة تناله .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها . وذلك عقد من عقود الإيمان التى لا يتم إلا بها لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره فى قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه وإذا أعرض عن ذكره واحضاره واحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء اقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوى هذا فى قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه فى قلبه والحِسُّ شاهد بذلك حتى قال الشعراء بذلك :

عجبت لمن يقول ذكرت حبى وهل أنسى فاذكر من نسيت

فتعجب هذا المحب ممن يقول : ذكرت محبوبى لأن الذكر يكون بعد النسيان ولو كمل حب هذا لمانسي محبوبه .

الفائدة الرابعة والثلاثون : أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد فانها إذا كانت سبباً لزيادة المصلى عليه له فكذلك هى سبب لمحبته هو للمصلى عليه ﷺ .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه . فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى فى قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك فى شيء مما جاء به بل يصير ما جاء به مكتوبا مسطوراً فى قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه وكلما ازداد فى ذلك بصره وقوة معرفته ازدادت صلاته عليه ﷺ .

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض إسم المصلى عليه ﷺ وذكره عنده كلما جاء من قوله ﷺ « إنَّ صلاتَكم مَعْروضَةٌ عَلَيَّ » وقوله : « إن اللهَ وكَّلَ بقبْرِى ملائكةً يُبلِغُونى عَنْ أمتى السَّلامَ » وكفى بالعبد نبلا أن يذكر إسمه بين يدى رسول الله ﷺ وقد قيل فى هذا المعنى :

ومن خطرت منه ببالك خطرة ـــ حقيق بأن يسمو وأن يتقدما .

السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبت القدم على الصراط والجواز عليه لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذى رواه عنه سعيد بن المسيب فى رؤيا النبى ﷺ « وَرَأيتُ رجُلًا مِنْ أمتى يَزْحَفُ على الصراطِ ويَحْبُو أحياناً ويتَعلَّقُ أحيانا فجاءتْه صَلاته علَيَّ فأقامَتْه علىٰ قدَميه وأنقذته »(١) .

الثامنة والثلاثون : أن الصلاة عليه ﷺ اداء لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التى أنعم الله بها علينا ، مع أن الذى يستحقه من ذلك لا يحصى علما ولا قدرة ولا إرادة ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره واداء حقه .

التاسعة والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ، ومعرفة انعامه على عبيده بإرساله فالمصلى عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله

---

(١) رواه أبو موسى المدينى وبنى عليه كتابه فى الترغيب والترهيب وقال : هذا حديث حسن جدا .

وسؤاله أن يجْزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته وهدانا إلى طريق مرضاته وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه فهى متضمنة لكل الإيمان بل هى متضمنة للاقرار وإرسال رسوله وتصديقه واخباره كلها وكمال محبته ولا ريب أن هذه أصول الإيمان . والصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك وتصديقه له ومحبته له فكانت من أفضل الأعمال .

فضل الحب فى الله والبغض فى الله

ومن مناقب هذه الأمة ومزاياها ما جاء من الفضل الكبير والخير الكثير لمن يحب أخاه المسلم لله لا غرض ولا هوى سوى ذلك ، فإذا تحقق بذلك زاد إيمانه وقوى يقينه حتى كأنه يشاهد بعينه حقائق الإيمان ويشعر بأنواره الفياضة فى قلبه ويدرك إدراكا خاصا لا يجده إلا من تحقّق بذلك المعنى . وهذا معنى قوله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوةَ الإيمان : مَنْ كانَ اللهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِوَاهُماَ ، ومَنْ أَحَبَّ عَبْداً لَا يُحِبُّهُ إلّا لله . ومَنْ يَكْرَهُ أنْ يَعُوْدَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كما يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ فى النارِ .

والمحبة ينال بها صاحبها فى الآخرة أنه ينادى عليه المولى جل شأنه على رؤوس الأشهاد فيقول : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلّى »(١) .

والمحبة فى الله يكون بها صاحبها فى الآخرة تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، كما جاء فى الحديث :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فى ظِلّهِ يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه قال ومنهم رَجُلان تحَابَّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيه وتَفرَّقا عَلَيْهِ » الحديث .

والمحب الصادق المُخلص ينال منزلة عالية فى الجنة تزيد على منزلة محبوبه إذا لم يبادله نفس الشعور . فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ أَحَبَّ رَجُلًا

لله فقالَ : إنّي أُحِبُّكَ للهِ فدَخلاَ جَمِيْعاً الجنةَ فكان الذى أَحَبَّ أَرْفَعَ من الآخرِ وأَحَقَّ بِالّذى أَحَبَ للهِ »(١).

والمحب الصادق يستحق أن يبشر بمحبة الله له على لسان رسول خاص له ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ : « أن رَجُلًا زارَ أخاً لَهُ فى قريةٍ أخرى ، فأَرْصَدَ اللهُ علىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فلما أتىٰ عَلَيه قالَ : أَيْنَ تُرِيْدُ ؟ قال : أُرِيْدُ أخاً لي فى هذِه القريةِ قاَلَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها ؟ قال : لا . غَيْرَ أَنّىأُحِبُّهُ فِى اللهِ قال : فإنّىٰ رسولُ اللهِ إليكَ إنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فِيْه »(٢).

والمتحابون هم جلساء الله يوم القيامة عن يمين العرش على منابر من نور ليسوا بأنبياء ولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء .

قال رسول الله ﷺ : « ياأَيُّهاٰ الناسُ اسْمَعُوا واعْقِلُوا أَنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عِبَاداً ليسُوا بأَنْبِيَاءَ ولا شُهداءَ ، يَغْبِطُهُمُ النَبِيُّونَ والشُّهَداءُ على منازِلِهِمْ وقُربِهِمْ مِنَ اللهِ فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وألوى بيده إلى النبى ﷺ فقال : يارسولَ الله ناسٌ من النَّاسِ ليسُوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يَغْبِطُهم الأنبياءُ والشهداءُ عَلىٰ مَجالِسِهِم وقُرْبِهِمْ مِنْ الله إنْعَتْهُمْ لنا جَلِّهِمْ لنا ـــ يعنى صِفْهم لنا شَكِّلْهم لنا ، فسُرَّ وجهُ النبى ﷺ بسؤالِ الْأَعرابي فقال رسول الله : هُمْ ناسٌ من أَفْناءِ الناسِ ونوازِعِ القبائِلِ لم تُصَلْ بينهم أرحامٌ متقارِبَةٌ تَحابُّوا فى الله وتَصَافُوا ، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ منابِرَ مِنْ نُورٍ فيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهاٰ فَيَجْعَلُ وُجوهَهم نُوراً وثيابَهُمْ نُورا يَفْزَعُ الناسُ يومَ القيامةِ ولا يَفْزَعونَ . وهُمْ أولياءُ اللهِ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزنونَ »(٣) . والمتحابون فى الله لهم فى الجنة غرف من زبرجد على عمد من ياقوت لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدريُّ(٤) .

« ولَهُمْ غُرَفٌ يُرىٰ ظَواهِرُهَا مِنْ بَواطِنِها وبَواطِنُها من ظَواهِرِها »(٥).

---

(١) رواه البزار بأسناد حسن .

(٢) رواه مسلـــم .

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٤) رواه البزار عن ابى هريرة مرفوعا .

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط عن بريدة مرفوعاً .

« وقد شهد ﷺ لمن أحَبّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله بأنه قد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ »(١).

ومن شرف المحبة الصادقة أنها تجبر الكسر ، وتأخذ بيد الضعيف فتلحقه بالأقوياء ، وتقدم المتأخر إلى الصف الأول ، فيلبس ثوبا يتأهل به لينقلب من حال إلى أحسن حال ببركة تشبهه بأهل الكمال من أفاضل الرجال وإليك هذه الأحاديث التى تؤيد هذا المعنى :

« عن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ قال : وما أعْدَدْتَ لَها ؟ قال لا شَىْءَ إلّا أنّى أُحبُّ الله وَرَسولَهُ . قال : أَنْتَ مع مَنْ أحْبَبْتَ ، قال أنس : فما فَرِحْنا بِشَىْءٍ فَرَحَناً بقولِ النبى ﷺ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قال أنس : فأَنا أُحِبُّ النَّبِىَّ ﷺ وأبا بَكْرٍ وعُمَرَ وأرجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّى إِيَّاهُمْ »(٢).

وفى رواية : أن رجلا من أهل البادية أتى النبى ﷺ فقال : يارسولَ الله ، متى الساعةُ قائمةٌ ؟ قال : وَيْلَكَ ، وما أعـدَدْتَ لها ؟ قال : ما أعدَدْتُ لها إلا أنّى أُحبُّ الله ورسولَهُ . قال : إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قال : ونحنُ كذلك ؟ قال : نَعَمْ فَفَرِحْنا يَوْمَئِذٍ فَرَحاً شَدِيْداً »(٣).

ورواه الترمذى ولفظه قال : « ما رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشىء أشد منه ، قال رجل : يارسول الله الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ على العَمَلِ مِنَ الخيرِ يَعْمَلُ به ولا يعمَلُ بِمِثْله . فقال رسول الله ﷺ : المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسولَ الله كَيْفَ تَرىٰ فى رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً ولم يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فقال رسول الله ﷺ المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »(٤).

عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : « يارسولَ الله الرَّجُلُ يُحِبُّ القومَ ولا يستطيعُ أن يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ ، قال : أَنْتَ يا أبا ذَرٍّ مع مَنْ أحبَبْتَ . قال : فإنى

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) للبخـارى .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

أُحِبُّ اللهَ ورسولَه ! قال : فإنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قال : فأعادَهَا أبو ذَرٍّ فأعادَهَا رسولُ الله ﷺ »(١) .

الخصـــال المُكَفِّــرَة للذنـــوب

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى فتح لها من أبواب الخير والبر ما يغفر لها الذنب ويستر لها العيب ، وبعض تلك الأعمال فيه ضمانة المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة .

فمن تلك الأعمال إسباغ الوضوء ، قال رسول الله ﷺ : « لا يُسْبغُ الوضوءَ عَبْدٌ إلا غَفَرَ اللهُ لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَما تَأَخَّرَ »(٢) .

ومن ذلك إجابة المؤذن : « قال رسول الله ﷺ : مَنْ قالَ حينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ يقولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللهُ .. قالَ : أشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللهُ . رَضِيْتُ بِاللهِ رَبّاً وبالإسلامِ دِيناً وبمحمدٍ ﷺ نَبِياً .. غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه »(٣) . وفى مستخرج أبى عَوانة الاسفرايينى على صحيح مسلم من رواية سعد بن أبى وقاص « غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ » فقال رجل متعجبا : ياسعدُ ، ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تأَخَّرَ ؟ فقال : هكذا سمعتُه من رسول الله ﷺ .

ومن ذلك ـــ صلاةُ التسابيح ، وفيها أن من فعلها يغفر له ذنبه أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطؤه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته .

وقد ذكرنا هذه الصلاة فى موضع آخر من هذا الكتاب ومن ذلك التأمين فى الصلاة ـــ فقد قال ﷺ : « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنُوا فإنّ الملائِكةَ تُؤَمِّنُ فَمَنْ وافَقَ تأمينُهُ تأمينَ المْلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه »(٤) .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) أخرجه النسائى والبزار فى مسنده ، وأصل الحديث فى الصحيح لكن ليس فيها وماتأخر .
(٣) هكذا فى الصحيح .
(٤) أخرجه مسلم . وهو عند البخارى ومالك وأصحاب السنن .

وفى مصنف ابن وهب « غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

قال الحافظ ابن حجر : هكذا رويناه فى المجلس الثانى من أمالي عبد الله الجرجانى .

ومن ذلك صلاة الضحى ــ فقد روى « أن من صلّاها غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر إلا القِصَاصَ » .

قال ابن حجر : إن إسنادَه ضعيف جداً .

ومن ذلك ــ القراءة بعد الجمعة .

فقد روى عن النبى ﷺ قال : « إذا سَلَّمَ الإمامُ مِنْ صلاةِ الجُمُعَةِ قَبْلَ أن يَثْنِىَ رِجْلَهُ فاتحةَ الكتابِ وقل هو الله أحَد وقُلْ أعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وقل أعوذ برب الناسِ سبعاً سبعاً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ ، وأُعْطِىَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخر »[1] .

وفى مصنف ابن أبى شيبة عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما :

«من قَرأ بعدَ صلاةِ الجمعةِ فاتحةَ الكتاب ، وقل هو الله أحدٌ ، وقُلْ أعوذ بَربِّ الفَلَقِ ، وقل أعوذُ بِربِّ الناسِ ، حُفِظَ ما بينَه وبين الجمعةِ الأُخْرىٰ » .

وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر الفاتحة وقال حُفِظَ أو كُفِىَ من مجلسه ذلك إلى مثله .

ومن ذلك ــ فضل القيام فى رمضان .

فقد جاء « أنّ من قام فى رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه »[2] .

وفى رواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخر » »[3] .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : هكذا رواه أبو الأسعد القشيرى وفيه ضعف .

(٢) هكذا رواه أصحاب الصحيح .

(٣) رواه الامام أحمد والنسائى .

ومن ذلك ــ فضل القيام ليلة القدر .

فقد جاء فى الصحيح « أن من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى رواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[1]

ومن ذلك فضل صيام عرفة .

فقد جاء فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ : « أن صيامَ يومِ عرفَةَ يُكَفِّرُ ذنوبَ السَّنَةِ الماضيةِ والمستقبَلَةِ .

وفى رواية الحافظ أبى سعيد النقاش عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » نقله الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه « الخصال المكفرة للذنوب » .

ومن ذلك ــ الإهلال من المسجد الأقصى .

فقد جاء فى الحديث عن أم سلمة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : مَنْ أَهَلَّ بحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصٰى إِلٰى الْمَسْجِدِ الحرامِ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تَأَخَّرَ أو وَجَبَتْ لهُ الجَنَّةُ » شك عبد الله . ورواه البيهقى فى شعب الإيمان وقال فيه : « غُفِرَ له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تَأَخَّرَ ووجَبَتْ له الجنةُ » .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الحاج الخالص .

جاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرَجَ الحاجُّ من بيتِه كانَ فى حِرْزِ الله تعالى فإن ماتَ قبل أَنْ يَقْضِىَ نُسُكَهُ وقع أجرُهُ على اللهِ وَإِنْ بَقِىَ حَتّى يَقْضِىَ نُسُكَهَ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وما تَأَخَّرَ وإنفاقُ دِرْهَمٍ فى ذلك الوجْهِ يَعْدِلُ ألفَ أَلْفٍ فيماٰ سِواه فى سبيل الله » .

وفى رواية : « من قَضٰى نُسُكَهُ وسَلِمَ المسلمونَ من لِسانِه ويَدِه غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تَأَخَّرَ » .

---

(١) رواه الامام أحمد والطبرانى فى الكبير .

ومن ذلك ــ الصلاة خلف مقام إبراهيم .

فقد ذكر القاضي عياض فى الشفا : «أن مَنْ صَلّى خَلْفَ مقامِ إبراهيمَ ركعتينِ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأَخَّرَ وحُشِرَ يومَ القيامةِ من الآمِنِيْنَ » (١).

ومن ذلك ــ قراءة سورة الحشر وتعليم الرجل ولده القرآن وفى ثبوتهما خلاف كبير بين المحدثين .

ومن ذلك ــ فضل التسبيح والتهليل والتكبير .

بأن من سبَّحَ مِائَةً وحَمِدَ مِائَةً وكبرَ مائة غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأَخَّر »(٢).

ومن ذلك ــ « أن من قادَ مَكْفُوفاً أربعينَ خَطْوَةً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تَأَخَّرَ »(٣).

ومن ذلك فضل السعي فى حاجة المسلم .

وقد جاء فى الحديث : « أن من سَعٰى لأخيهِ المسلم فى حاجةٍ قُضِيَتْ لَهُ أو لم تُقْضَ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأَخَّرَ وكُتِبَ له براءتانِ بَراءةٌ من النارِ وبراءةٌ من النفاقِ » والحديث بشواهده يصلح للإعتبار .

ومن ذلك ــ ما جاء فى فضل المصافحة عن النبى ﷺ حيث قال : « ما مِنْ عبدَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ فى الله ــ « وفى رواية » ما مِن مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ ويُصَلِّيانِ على النبيِّ ﷺ إِلّا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتّى يُغْفَرَ لَهُمَا ذنوبُهُما ما تقدَّمَ منها وما تأَخَّرَ »(٤).

ومن ذلك ما جاء فى فضل الحمد عقب الأكل .

---

(١) رواها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه [الخصال المكفرة للذنوب ولم يذكروا تخريجاً لها .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن حجر : رواه ابن حبان فى فوائده [قلت] وقد رواه أحمد والنسائى بألفاظ مختلفة .

(٣) قال الحافظ ابن حجر قال ابن منده : وهو غريب ، وقال الإمام أحمد وابن معين وأبو داود رواته ثقات .

(٤) أخرجه ابن حبان ورواه أيضا الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى باختلاف بعض الفاظه عن أنس ورجال أحمد رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وثقه ابن حبان ولم يضعفه أحد قاله الهيثمي .

فقد جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « من أَكَلَ طعاماً ثم قال : الحمدُ لله الذى أطعَمنى هذا الطعامَ ورَزَقَنيْهِ من غيرِ حَوْلٍ مِنىّ ولا قُوَّةٍ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تَأَخَّرَ »[1] .

ومن ذلك فضل التعمير فى الإسلام .

فقد روى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا بَلَغَ المرءُ المسلِمُ أربعين سَنَةً صَرَفَ اللهُ عَنْهُ ثلاثةَ أنواعٍ من البلاءِ ، الجنونَ والجُذامَ والبَرَصَ فإذا بَلَغَ خَمْسِيْنَ سَنَةً خَفَّفَ اللهُ عَنْهُ ذنوبَهُ فإذا بلَغَ سِتِّيْنَ سنةً رزَقَهُ اللهُ الإنَابَةَ إليه فإذا بَلَغَ سبعين سنة أَحَبَّته الملائكةُ » وفى رواية : « أهلُ السماءِ » فإذا بلَغَ ثمانين سَنَةً أُثْبِتَتْ حسَناتُه وَمُحِيَتْ سيِّئَاتُه فإذا بَلَغَ تِسْعِين سنةً غَفَر اللهُ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تَأَخَّرَ وسُمِّيَ أسيرَ اللهِ فى أَرْضِهِ وشُفِّعَ لأهلِ بَيْتِه » والحديث بطرقه يصلح للاعتبار .

سعة رحمة الله لهذه الأمة بفتح أبواب التوبة

ومن شرف هذه الأمة وفضلها ما جعله الله تعالى لها من سعة أبواب رحمته وعظيم تفضّله بفتح أبواب التوبة والترغيب فيها والحث على المبادرة إليها .

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ عز وجل يَبْسُطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مُسِيءُ النهارِ ، ويبْسُطُ يدَه بالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيْءُ الليلِ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغرِبِها »[2].

وقال ﷺ : « من تابَ قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مغرِبِها تابَ اللهُ عليه »[3].

وقال ﷺ : « إنَّ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ لَبَاباً مَسِيرةُ عَرْضِه أربعون عاماً أو سبعون سَنَةً فَتَحه الله عز وجل للتَّوبةِ يوم خلقَ السماواتِ والأرضَ فلا يُغْلِقُه حتى تطلُعَ الشمسُ منه »[4].

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن غريب قال الحافظ ابن حجر فى كتابه الخصال المكفرة للذنوب : إسناده حسن .

(٢) رواه مسلم والنسائى .

(٣) رواه مسلـم . .

(٥) رواه الترمذى والبيهقى واللفظ له وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وقد فتح لنا ﷺ باب الرجاء وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى بقوله :
﴿ لو أَخْطَأْتُمْ حتَّى تَبْلُغَ السَّماءَ ثم تُبْتُمْ لتابَ اللهُ عليكم ﴾[1] .

وقوله ﷺ : « كُلُّ ابنِ آدمَ خَطَّاءٌ وخير الخطَّائين التَّوَّابُونَ »[2] .
وقوله ﷺ : « إن عبداً أصابَ ذنباً فقال : ياربِّ إنِّى أَذْنَبْتُ ذنْباً فاغْفِرْه . فقال له ربُّه : عَلِم عَبْدِى أنَّ له ربًّا يغفِرُ الذنبَ ويأخُذُ به . فغَفَر له . ثم مكثَ ما شاء الله ثم أصاب ذنْباً آخَرَ — وربما قال — ثم أَذْنَب ذنْباً آخر فقال يا رب انى اذنبت ذنبا آخر فاغفره لى . قال ربه علم عبدى أن لهُ رباً يغفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ به. فغفَر له . ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر — وربما قال ثم أَذْنَب ذنبا آخر فقال : يارب إنى أذنَبْتُ ذنبا فاغفِرْه لى فقال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفِرُ الذنبَ ويأخُذُ به ، فقال ربه : غفَرْتُ لعبدى فَلْيعمَلْ ما شاء »[3] .

ومعنى قوله : فليعمل ما شاء ، أى أنه بعد هذا العفو المتكرر وتلك المغفرة المتتابعة سيحصل عنده بفضل الله من الحياء ما يمنعه عن المخالفة ويحجزه عن المعصية . وذلك ببركة استغفاره وتوبته . وهذا يدل على فضل الاستغفار والتوبة . وأن ملازمتها والحرص عليها والإشتغال بها تعود على العبد بخيرات كبيرة وبركات عظيمة . منها عظيم حيائه من الله الذى يعفه عن المعاصى والمخالفات حتى لو قيل له فرضا إفعل ما شئت من المعاصى فإنه لا يفعل . هذا هو المعنى الذى وقع فى قلبى وقيل غير ذلك .

ومن خصائص هذه الأمة أن التوبة الصادقة ترفع العبد إلى أعلى درجات الكمال وأرفع مراتب الجلال فيعلو ويعلو بل قد يزيد على كثير من أرباب الأعمال والمجاهدات .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه « أن امرأةً من جُهينةَ أتت رسولَ اللهِ ﷺ وهى حُبْلَى من الزِّنا فقالت يارسولَ اللهِ أصَبْتُ حدًّا فأَقِمْهُ عَلَيَّ فدعا نبيُّ اللهِ

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

ﷺ وَلِيَّها فقال : أَحْسِنْ إليها فإذا وضَعَتْ فَأْتِنِى بها ففَعَل فأمرَ نبىُّ الله ﷺ فشُدَّتْ عليها ثِيابُها ثم أمرَ بها فرُجِمت ثم صَلَّى عليها ، فقال له عُمر : تُصَلّى عليها يارسول الله وقد زَنَتْ ؟ قال لقد تابَتْ توبةً لو قُسِّمَتْ بين سبعينَ من أهلِ المدينةِ لَوَسِعَتْهم ، وهل وجدْتَ أفضلَ من أن جادَتْ بنفسِها لله عز وجل »[1].

ومن مزايا هذه الأمة « أن العبد إذا تاب أنسىٰ اللهُ تعالى الملائكةَ الذين يُحْصُون سيِّئاتِه ذنوبَه وأنسىٰ جوارحَه وآثارَه ذلك . حتى يلْقَى الله تعالى يومَ القيامةِ وليس عليه شاهدٌ من الله بذنبٍ »[2].

وقد جاء فى الحديث : « التائبُ من الذنْب كمن لا ذنْبَ له »[3].

« بل أنّ مجرد الندم توبة »[4] . وجاء عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ « أنه قال : ما علم الله من عبدٍ ندامةً على ذنبٍ إلا غفَرَ له قبل أن يستَغْفِرَه منه »[5].

وقد بشّر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بقبول التوبة والترغيب فى عدم اليأس وقذف الرجاء والأمل فى قلوب العصاة فقال : ﴿ قُلْ يٰاعِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلٰى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيْمُ ﴾

وقال فى الحديث : « والَّذِى نفْسِى بيدِه لو لم تُذْنِبوا وتستَغْفِروا لذهَب اللهُ بكم ولَجاء بقومٍ يُذْنِبون فيسْتغفِرون اللهَ فيغفِرُ لهم »[6].

وأخبر ﷺ أن المولى عز وجل يفرح بتوبة عبده أشد الفرح فقال : قال الله عز وجل: ﴿أنا عندَ ظنِّ عبدِى بى وأنا معَه حيثُ يذْكُرُنى . واللهِ لَلّهُ أفْرحُ بتوبةِ عبدِه مِنْ أحدِكم يَجِدُ ضالَّته بالفَلاةِ ومن تقَرَّبَ إليَّ شِبْراً تقَّربْتُ إليه ذراعاً ومن

(١) رواه مسلـم .
(٢) جاء ذلك فى حديث رواه الاصبهانى .
(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى .
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه الحـاكم .
(٦) رواه مسلم وغيره .

تقرَّبَ إليَّ ذراعاً تقرَّبْتُ إليه باعاً ، وإذا أقبَل إليَّ يمشِي أقبَلْتُ إليه أُهَرْوِلُ ﴾[1]

ومعلوم أن هذا التقرب المشار إليه بالشبر والذراع والباع والمشى والهرولة ليس على حقيقته المتصورة فى الذهن البشري . والدليل على ذلك ما جاء فى الحديث الآخر وهو أن النبى ﷺ بعد أن نقَل هذا الحديثَ قال : « واللهُ أعْلَى وأجَلُّ والله أعْلَى وأجلُّ والله أعلى وأجل »[2].

فقوله : والله أعلى وأجل أكبر دليل وأعظم برهان على أن حقيقة اللفظ المتبادرة إلى الذهن غير مرادة قطعا .

ومعنى الحديث أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده ويفرح أشد مما يرضى ويفرح رجل ضاعت عليه ناقته بصحراء منقطعة ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه ومتاعه وكان قد يئس منها يأساً استسلم معه إلى الموت . ويصوّر ﷺ شدة فرح هذا الرجل بقوله : ثم قال من شدَّة الفرَح . « اللَّهُمَّ أنت عبدى وأنا ربُّك ، أخطَأ مِنْ شِدَّةِ الفرح »[3].

وجاء فى الحديث : « عن أبى طويل شطب الممدود أنه أتى النبى ﷺ فقال : أرَأيت مَنْ عمِلَ الذنوبَ كلَّها ولم يترُكْ منها شيئاً وهو فى ذلك لم يتْرُكْ حاجَةً ولا داجةً إلا أتاها فهل لذلكَ منْ توبةٍ ؟ قال : فهل اسلَمْتَ ؟ قال : أمّا أنا فأشْهدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال : تفعلُ الخيراتِ وتترُكُ السيِّئاتِ فيجعلُهُنّ اللهُ لك خيراتٍ كلَّهُنَّ . قال : وغَدَراتي وفَجَراتى ؟ قال : نعم . قال : اللهُ أكبرُ . فما زال يكبِّرُ حتى توارى »[4].

---

(١) رواه مسلم واللفظ له والبخارى بنحوه .

(٢) رواه أحمد والطبرانى بإسناد حسن .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البزار والطبرانى .

ومعنى قوله : ولم يترك حاجة ولا داجة أى الحاجة الصغيرة والحاجة الكبيرة .

ومعنى غدراتى . اى أفعالى الذميمة التى نقضت فيها العهد وخنت .

ومعنى : فجراتى : إرتكابى المعاصى وفعل الموبقات .

ومعنى : حتى توارى : اى اختفى عن اعين الناظرين .

فضل البكاء من خشية الله

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ما جاء فى فضل البكاء من خشية الله . وقد أخبر ﷺ أن الباكى من خشية الله هو من السبعة الذين يُظلُّهم الله تعالى فى ظِلّه يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه وأنه لا يعذب يوم القيامة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : عينانِ لا تمسهما النارُ . عينٌ بكتْ من خشيةِ الله وعين باتتْ تحْرُسُ فى سبيلِ الله »(١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكىٰ من خشيةِ اللهِ حتَّى يعودَ اللَّبَنُ فى الضَّرْع . ولا يجْتمع غبارٌ فى سبيل الله ودخانُ جهنَّمَ »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ أفَمِنْ هٰذا الحَديثِ تَعْجَبُون وتَضْحَكُون ولا تبكونَ ﴾ بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ حِسَّهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال رسولُ الله ﷺ : « لا يَلِجُ النارَ مَنْ بَكىٰ من خَشْيَةِ اللهِ ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مُصِرٌّ على معصِيَةٍ وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجاءَ الله بقومٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لهم »(٣) .

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كل عينٍ باكيةٌ يومَ القيامةِ إلا عينٌ غَضَّتْ عن محارمِ الله . وعين سهَرت فى سبيلِ اللهِ . وعينٌ خرجَ منها مثلُ رأسِ الذُّباب من خشيةِ الله عز وجل »(٤) .

عن مسلم بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا أغْرَوْرَقَتْ عينٌ بمائها إلَّا حرَّم اللهُ سائرَ ذلك الجسدِ عَنِ النارِ . ولا سالَتْ قطرةٌ على خَدِّها فيرهَقَ ذلك

---

(١) رواه الترمذى : وقوله تحرس فى سبيل الله . أى ظلت طول ليلها يقظة ساهرة ترقب جيوش الأعداء على كثب وتحفظ مكامن جيوشها .

(٢) رواه الترمذى والنسائى والحاكم : ومعنى ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم أى ان من جاهد فى سبيل الله وحضر المعارك وجاهد لا يشم دخان النار أبداً .

(٣) رواه البيهقى .

(٤) رواه الاصبهانى .

الوجْهَ قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ ، ولو أن باكيا بكىٰ فى أُمَّةٍ من الأممِ رُحِمُوا . وما من شيءٍ إلّا له مقدارٌ وميزانٌ إلا الدَّمْعة فإنه تُطْفَأُ بها بِحارٌ من نارٍ »[1].

وقد أخبرنا ﷺ أن تلك الدموع التى تكون بسبب الخوف من الله هى أحب إلى الله سبحانه وتعالى . فقال : ليس شيءٌ أحبَّ إلى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وأَثَرَيْنِ قَطْرَةِ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وقطرةِ دمٍ تُهْراقُ فى سبيل الله . وأما الأثران فأثرٌ فى سبيل الله . وأثرٌ فى فريضةٍ من فرائض اللهِ عزَّ وجل »[2].

فضل حسن الظن بالله وعظيم الرجاء فيه

ومن فضائل هذه الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الثواب العظيم والأجر الكبير على حسن الظن به وعظيم الرجاء فى فضله .

جاء فى الحديث القدسي أن الله تعالى يقول : ﴿ ياابْنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَنى ورجوتَنى غفَرْتُ لك علٰى ما كان منكَ ولا أُبالي ، ياابنَ آدمَ لو بلَغتْ ذنوبُك عَنانَ السماءِ ثم استغْفرتَنى غفرتُ لك ، ياابنَ أدمَ لو أَتيتَنى بقُرابِ الأرْضِ خَطايا ثم لقيتَنى لَا تشركُ بى شيئاً لَأَتَيْتُكَ بها مغفرةً ﴾[3].

« وجاء أن حُسْنَ الظنِّ من حسْنِ العبادةِ »[4].

وحسن الظن بالله مُحَتَّمٌ عند الموت . لذلكٰ جاء فى الحديث « عن النبى ﷺ : لايموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله عز وجلّ »[5].

« ودخل النبى ﷺ على شاب وهو فى الموت فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو اللهَ يارسولَ الله وإنى أخافُ ذنوبى . فقال رسول الله ﷺ : لايجتمعان فى قلبِ عبدٍ فى مثلِ هذا الموطنِ إلا أعطاه الله ما يرْجو وأَمَّنَه مما يخافُ »[6]

---

(١) رواه البيهقى : قوله يرهق . أى يغطى بشدة . وقوله قتر : دخان صاعد .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٣) رواه الترمذى : وقوله قراب الارض أى ما يقارب ملأها .

(٤) رواه أبو داود وابن حبان .

(٥) رواه مسلـم .

(٦) رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا .

وعن حيّان ابى النضر قال : خرجت عائداً ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته فدخلنا عليه . فلما رأى واثلةَ بسط يده وجعل يشير إليه فأقبل واثلةُ حتى جلس فأخذ يزيد بكفَّيْ واثلة فجعلهما على وجهه . فقال له واثلة كيف ظنك بالله ؟ قال : ظنى باللهِ واللهِ حسنٌ . قال : فأبشِرْ فإنى سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : قال الله جلّ وعلا أنا عنْدَ ظَنِّ عبدى بى إنْ ظَنَّ خيراً فله . وإن ظنَّ شراً فله » [1].

ومعنى قوله : أنا عند ظن عبدى بى أى أحقّق له ما يظنه في من قبول رجعته ومغفرة خطيئته وإجابة دعوته .

ومعلوم أن العبد لا يحصل له ذلك إلا إذا كمل فيه حسن ظنه بربّه . فإذا كمل حسن ظنه بربّه حصل منه ما يناسب ذلك من صدق الإقبال وصحة التوبة وكثرة الاستغفار والدعاء وطرق أبواب الخير . فهذا كله من ثمرات حسن الظن وإذا حصل ذلك منه كيف لا يكون عنده مولاه ؟ وكيف لا يحقق ظنَّه ورجاه ؟ .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « والذى لا إلهَ غيرُهُ لا يُحسِنُ عبدٌ باللهِ الظنَّ إلا أعطاه ظَنَّهُ وذلك لأنَّ الخيرَ فى يدِه » [2].

وعن أبى هريرة رضى الله قال : « قال رسول الله ﷺ أمَرَ الله عز وجل بعبدٍ إلى النارِ فلما وقَف على شفَتِها التفَتَ فقال : أمَا والله ياربِّ إن كان ظنىّ بك لَحَسَنٌ فقال الله عز وجل : رُدُّوه أنا عند حُسْنِ ظنِّ عبدى بى » [3].

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البيهقى .

مضاعفة ثواب العاملين في زمان الفتنة

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن العمل الصالح يتضاعف ثوابه عند فساد الزمان حتى أن العامل فى زمن الفتنة له أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله .

قال ﷺ : « ائتَمِروا بالمعروفِ وانْتَهُوا عن المنكر حتى إذا رأيتَ شُحاً مُطاعاً وهوىً مَتَّبَعاً ودنيا مُؤْثَرَةً وإعجابَ كلِّ ذى رأيٍ برَأْيِهِ فعليكَ بنفسِك ودَعْ عنك العوامَّ . فإن من ورائِكم أيامَ الصَّبْرِ . الصبرُ فيهِنَّ مثلُ القبضِ على الجمْرِ للعاملِ فيهن مثلُ أجرِ خمسين رجُلًا يعملون مثلَ عملِه »[1] .

وفى رواية : قيل يا رسول الله « أجر خمسين رجلا مِنّا أو منهم ؟ قال : أجرُ خمسين منكم »[2] .

وقوله فى الحديث : فإن من ورائكم أيام الصبر ــ الحديث أى أن كبح جماح النفس عن المعاصى صعب مر ومحرق مثل القبض على النار ولكنّ فى ذلك ثوابا لمن اتقى الله واجتنب صحبة الفساق والأشرار فالعابد يعطيه الله أجر خمسين ممن عمل مثله .

وجاء عنه ﷺ أن العبادةَ فى زمنِ الفتنةِ تُساوىء فى الثّوابِ الهجرةَ إليه »[3] .

فضل الغني الشاكر والفقير الصابر

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الفضل والثواب يشمل الغنيّ الشاكر والفقير الصابر . فأما الغنىّ فبإنفاقه السَّخى وإحسانه إلى إخوانه يقرض هذا ويجبرَ كسر هذا ويسد دين هذا ويبذل فى سبيل الإسلام ونصرة الدين ومساعدة المجاهدين .

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وأبو داود بزيادة .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه مسلـــم .

وأما الفقير فبصبره وقناعته ورضاه مع توفر دواعى الشر عنده من الحقد والحسد والطمع والاعتراض والقلق وارتكاب المحرمات من السرقة والربا والخداع وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك . ويحتمل أنه طرق أبواب الدنيا وحاول الوصول ونافس الفحول ولكنه لم يفلح ولم ينجح كما هو المشاهد من الواقع الناطق المحسوس فكم من الفقراء لم يقصروا فى الأخذ بالأسباب بذلوا وسعهم وأتعبوا فكرهم فى الاحتيال فباؤا بالفشل وسوء الحال فهؤلاء بشرهم سيدنا رسول الله ﷺ ببشارات تعوضهم ما فاتهم وتجمع لهم ما ذهب عنهم وتجبر خاطرهم المنكسر فى الدنيا بخير الآخرة لأن الله تعالى أكرم من أن يجمع عليهم خسارتين ويتعسهم مرتين .

ولذلك يقول ﷺ : « اطَّلَعْتُ فى الجنةِ فرأيتُ أكثَر أهلِها الفقراءَ » [١].

« وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : هل تدْرُون أوّلَ من يدخُلُ الجنةَ مِنْ خلقِ الله عز وجل ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : الفقراء المهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقى بهم المَكارِهُ ويموت أحدُهم وحاجتُه فى صدرِهِ لا يستطيعُ لها قضاءً فيقول الله عز وجل لمن يشاءُ من ملائكتِه : ائتُوهم فَحيُّوهم فتقول الملائكة : ربَّنا نحن سُكّانُ سمائِك وخِيرَتُك من خلْقِك أفتأمُرنا أن نَأْتِيَ هؤلاء فنسلِّمَ عليهم . قال : إنهم كانوا عبادا يعبدُوننى ولا يشركون بي شيئاً وتُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقى بهم المكَارِهُ . ويموت أحدهم وحاجتُه فى صدرِهِ . لا يستطيع لها قضاءً . قال : فتأتيهم الملائكةُ عند ذلك فيدخلون عليهم من كُلِ بابٍ سلامٌ عليكم بما صبَرْتم فنِعْمَ عُقْبىٰ الدارِ » [٢].

---

(١) رواه أحمــد .

(٢) رواه أحمد والبزار وابن حبان .

قوله : تسد بهم الثغور أى يكونوا عرضة لصد هجمات الأعداء وحصــونا قوية منيعة لرد الخصــوم الكفار الفجار .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ حوضى ما بين عَدْن إلى عمَّانَ أكْوابُه عددُ النجومِ ماؤه أشَدُّ بياضاً من الثلْجِ وأحلى من العسلِ وأكثر الناسِ وُروداً عليه فقراءُ المهاجرين . قلنا يارسول اللهِ صِفْهُم لنا . قال : شُعْثُ الرؤوسِ دُنْسُ الثيابِ الذين لا ينْكِحون المتنعِّماتِ ولا تُفْتَح لهم السُّدَد الذين يُعْطون ما عليهم ولا يُعْطَون مالهم »[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « يجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراءُ هذه الأُمَّةِ ؟ قال : فيقال لهم : ماذا عمِلْتم ؟ فيقولون : ربَّنا ابْتُلِينا فصبَرْنا ووُلِّيتَ الأموالَ والسلطانَ غيرنَا . فيقول الله جل وعلا : صدقْتُم . قال : فيدخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ الناسِ . ويبقى شدَّةُ الحسابِ على ذوى الأموالِ والسلطانِ . قالوا : فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : يوضَعُ لهم كراسِيُّ من نورٍ ويظَلَّل عليهم الغمامُ يكون ذلك يومُ أقصَر على المؤمنين من ساعةٍ من نهار »[2].

وعن سعيد بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن فقراءَ المسلمين يزِفُّون كما تزِفُّ الحمامُ . فيقال لهم : قِفوا للحسابِ فيقولون : واللهِ ما تركْنا شيئا نحاسَبُ فيقول الله عز وجل : صدَقَ عبدى . فيدخُلُون الجَنَّةَ قبلَ الناسِ بسبعينَ عاماً »[3].

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « كنت عند رسول الله ﷺ يوما فطلعتْ الشمسُ فقال : يأتى قومٌ يومَ القيامةِ نورُهم كنورِ الشمْس . قال أبو

---

(١) رواه الطبرانى . وابن ماجه والترمذى بنحوه .
قوله : شعث الرءوس أى رءوسهم متغيرة متلبدة .
قوله : دنس الثياب أى ملابسهم بالية قذرة .
قوله : المتنعمات أى السيدات المترفة اللاتى لا يساعدن على تقوى الله .
ومعنى قوله : ولا تفتح لهم السدد الخ أى يؤدون الواجب وحقوق الناس كاملة وحقوقهم مهضومة وأموالهم يطمع الناس فيها لتسامحهم ولعكوفهم على العبادة .

(٢) رواه الطبرانى وابن حبان .

(٣) رواه الطبرانى وابن حبان .

بكر : نحن هم يارسول الله ؟ قال : لا ولكم خيرٌ كثيرٌ ولكنهم الفقراءُ المهاجِرون الذين يُحْشَرون من أقطارِ الأرضِ » [1] الحديث.

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا أُخبرُكم بأهلِ الجنَّةِ ؟ كلُّ ضعيفٍ مُستَضْعَفٍ لو يُقْسِمُ على الله لَأبرَّه . ألا أخبركم بأهلِ النارِ ؟ كل عتُلٍّ جَوّاظٍ مستكبرٍ » [2] .

وقد بيّن ﷺ حقيقة الغنى وحقيقة الفقر بقوله لأبى ذر :

« يأبا ذر أترىٰ كثرةَ المال هو الغِنٰى ؟ قلت نعم يارسول الله قال : فترى قلة المالِ هو الفقرَ ؟ قلت : نعم يارسول الله قال : إنَّما الغِنٰى غنى القلبِ والفقرُ فقرُ القلب » الحديث .

عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يَخِرُّ رجالٌ من قامَتِهم فى الصلاة من الخَصاصةِ وهم أصحاب الصُّفَّةِ حتى يقول الأعرابُ : هؤلاء مجانِينُ أو مجانُوْنَ فإذا صَلّى ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لَكم عند الله لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تزْدَادوا فاقةً وحاجةً » [3] .

فضل الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

ومن فضل هذه الأمة ما بشر به ﷺ المقبلين على طاعة الله المشمرين فى رضاه وطلب جنته المسارعين إلى مغفرته ورحمته الراغبين فى الآخرة المعرضين عن الدنيا ــ بشرهم بالغنى وجمع الشمل ومحبة الناس ومودتهم لهم . وتيسير أمرهم وتسخير الدنيا لهم وكفاية الله لهم .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .

(٢) رواه النسائى وابن حبان .

(٣) رواه الترمذى وابن حبان .

جاء فى الحديث القدسى : « ياابنَ أدمَ تَفَرَّغْ لعبادتى أَمْلَأْ قلبَك غِنًى . وَأَمْلَأْ يديك رِزقا . ياابنَ آدمَ لا تُباعِدْ منى أَمْلَأْ قلبك فقْراً وأملأْ يديك شُغْلا »[1].

وبقوله ﷺ : « تفرَّغوا من همومِ الدنيا ماستطعْتُم فإنه مَنْ كانت الدنيا أكبرَ همِّه أفْشَى الله ضَيْعته وجعلَ فقْرَه بينَ عينيه ومن كانت الآخرةُ أكبرَ همِّه جمعَ اللهُ عز وجل له أمورَه وجعل غِناه فى قلبه وما أقبلَ عبدٌ بقلبِه إلى الله عز وجل إلا جعَل اللهُ قلوبَ المؤمنين تَفِدُ إليه بالوُدِّ والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خيرٍ أسْرَعَ »[2].

وبقوله ﷺ : « من كانت الدنيا نِيَّتَهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهْ وجَعَلَ فَقْرهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْته مِن الدنيا إلا ماكُتِب له ومن كانت الأخرة نيَّتَه جمع الله له أمرهَ وجعَل غناه فى قلبه وأتتْه الدنيا وهى راغِمةٌ »[3].

واعلم أنه ليس المراد من هذه الأحاديث حث الناس على ترك العمل والسعى فى الدنيا والأخذ بالأسباب ـــ لا !

بل إن العمل والسعى فى طلب الدنيا فى إعتبار الإسلام عبادة مادام أنه يحفظ به نفسه وأهله وماله وينفع إخوانه .

والمقصود المعتبر عند ذوى البصائر هو ذم المقبلين على الدنيا إقبالا يقطعهم عن الأخرة بحيث تتمكن من قلوبهم فتعظم عندهم حتى يعز عليهم إنفاقها ويؤلمهم إخراجها وتملأ عليه فراغهم حتى تقطعهم عن أهم الواجبات الشخصية والفرائض العينية .

---

(١) رواه الحاكم .

قوله : أملأ قلبك غنى ، أى قناعة وبسطة ورخاء وسعة .

وقوله : أملأ يديك شغلا . أى اجعل اعمالك كثيرة بلا فائدة وأسلط عليك الدنيا تسخرك بجشعها .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى فى الزهد .

(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى .

وهذا معنى قوله فى الأحاديث السابقة (فإنه من كانت الدنيا أكبر همه) أى نهاية ما يرجو من كده . ويقابله قوله (ومن كانت الأخرة أكبر همه) ولم يقل همه — ليبين أن من اشتغل بشيء من الدنيا للمقاصد المحمودة فعمله محمود خارج عن المذمّة .

وعلى هذا تحمل جميع ألفاظ الأحاديث الواردة فى هذا الباب كقوله ﷺ : « مَنْ كانتِ الْآخِرَةُ هَمَّه جعلَ اللّٰهُ غِناه فى قَلْبه وجَمَعَ له شَمْلَه وأَتَتْه الدُّنْيا وهى راغِمَةٌ ، ومن كانتِ الدُّنْياٰ هَمَّه جعَل اللّٰهُ فَقْرَه بينَ عَيْنَيْه وفَرَّقَ عليه شَمْلَه ولم يَأْتِه من الدنيا إلّا ماٰ قُدِّر له »[1] .

ومعنى قوله جعل الله فقره بين عينيه أى أنه مهما سعى وجمع فإنه لا يرى نفسه إلا فقيراً ومهما اجتهد فى الدنيا وتعب فإنه لا يرى نفسه إلا مقصراً ومهما سهر وكدّ فإنه يرى انه لا زال محتاجا فيواصل كده وجهده وتعبه مع هذا الشعور والإحساس حتى لا يستقر له بال ولا تهدأ له نفس ولا يطمئن له قلب ولا تثبت له غاية بل يجرى فى هذه الدنيا كالحمار حتى انه لا يستفيد هو من دنياه هذه بفائدة تجمع عليه نفسه وتقرّ له عينه ، وبهذا يكون قد خسر الدنيا والأخرة .

فضل الصبر على البلايا

ومن فضائل هذه الأمة وشرفها ما جعله الله تعالى لها من الفضل والثواب على الصبر .

عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُوْرُ شَطْرُ الإيمانِ ، والحمدُ لله تَمْلَأُ المِيزانَ وسُبحانَ اللهِ والحمدُ لله تملآنِ أو تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ، والصَّلاةُ نورٌ والصَّدَقَةُ برهانٌ والصبرُ ضياءٌ والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليك كلُّ النَاسِ يَغْدُو فبائِعٌ نفْسَه فمُعْتِقُها أو مُوْبِقُها »[2] .

(١) رواه الترمـذى .

(٢) رواه مسلـم .

قال العلقمى : قال النووى : معناه الصبر المحبوب فى الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره فى الدنيا ، والمراد أن الصبر المحبوب لايزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب .

قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقال الأستاذ أبو على الدقاق : حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور فأما إظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافى الصبر . قال تعالى فى أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً ﴾ مع أنه قال :﴿ مَسَّنِىَ الضُّرُّ ﴾ .

ومعنى ﴿ والقرآن حجة لك ﴾ أى تنتفع به إن تلوته وعملت به أو عليك إن أعرضت عنه .

ومعنى ﴿ كل الناس يغدو ﴾ أى يتوجه نحو ما يريد .

وقوله :﴿ فمعتقها أو موبقها ﴾ أى فمبعدها من النار أو مهلكها . قال العلقمى : معناه أن كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها : أى يهلكها كأنه قيل : ما حال الناس بعد ذلك ؟ فأجيب : كل الناس كذا وكذا .

وقد أخبر ﷺ أن الصابر من المهتدين الآمنين .

قال النبى ﷺ : « مَنْ أُعْطِىَ فشَكَرَ وأُبْتِلِىَ فصَبَرَ وظَلَمَ فاسْتَغْفَرَ وظُلِمَ فغَفَر . ثم سَكَتَ . فقالوا يارسول الله مالَهُ ؟ قال أولئك لَهُمُ الأمنُ وهم مُهْتَدُون » (١) .

والصبر هو باب الفرج : قال النبى ﷺ « الصَّبْرُ مِعْوَلُ الْمُسْلِمِ » (٢) .
والصبر على البلاء كفارة وطهرة للعبد .

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَا ابْتَلَى اللهُ عَبْداً ببلاءٍ وهو على طريقةٍ يَكْرَهُها إلا جَعَلَ اللهُ ذلك البلاءَ كَفَّارَةً وطَهُوراً

---

(١) رواه الطبـرانى .

(٢) رواه رزين : وقوله معول المسلم : أى الذى يعتمد عليه ويستعين به فى إزالة همومه .

ما لَمْ يُنْزِلْ مَا أصابَه من البلاءِ بغيرِ اللهِ عز وجل أو يَدْعُو غيرَ اللهِ فى كَشْفِه »[1]

ومن فضائل هذه الأمة أن شدة البلاء على الواحد منا بحسب قوة الدين .

عن ابن المسيب عن أبيه عن سعد قال : « سئل رسول الله ﷺ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال : الأنبياءُ ثم الأمْثَل فالأمثَل يُبْتَلىٰ الناسُ على حسَبِ دِيْنِهم . فمَنْ ثَخُنَ دِيْنُه اشتَدَّ بلاؤُه .ومن ضَعُفَ دينُه ضعُفَ بلاؤُه . وإن الرَّجُلَ لَيُصِيْبُهُ البَلَاءُ حتّى يَمْشِيَ فى الناسِ مَا عليهِ خَطِيْئَةٌ »[2] .

أما فى الأخرة فقد جاء فى حق أهل البلاء من الثواب ما يتمنى معه أهل العافية أن لو انغمسوا فى البلاء انغماساً .

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : يُؤْتىٰ بالشهيدِ يومَ القيامةِ فيُوْقَفُ للحسابِ ثم يُؤْتىٰ بالمُتَصدِّقِ فينُصَبُ لِلْحِسَابِ ثُمَّ يُؤْتىٰ بِأهْلِ الْبَلَاء فلا يُنْصَبُ لهم مِيْزانٌ ولا يُنْصَبُ لهم دِيْوَانٌ . فيُصَبُّ عليهم الْأجْرُ صَبّاً حَتّى إن أهْلَ العافِيَةِ لَيَتمنَّوْنَ فى الموقِفِ أنّ أجْسَادَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمقَارِيضِ مِنْ حُسْنِ ثَوابِ اللهِ »[3]

وقد بشر الله سبحانه وتعالى المؤمن المبتلى بما يطمئن قلبه ويسليه ويثبته ويواسيه .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحَبَّ اللهُ عَبْداً أو أرادَ أنْ يُصَفِّيهُ صَبَّ عليهِ البَلاءَ صَباً . وثَجَّهُ عليه ثَجًّا . فإذا دَعَا العبدُ قال : يارَبَّاهْ قال الله : لَبَّيْكَ ياعَبْدِى لا تَسْأَلُنى شيئاً إلاّ أعْطَيْتُكَ إمَّا أنْ أُعَجِّلَهُ لكَ وإمّا أنْ أدَّخِرَهُ لك »[4] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْراً يُصِبْ مِنْه »[5] .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا .

(٢) رواه ابن حبان .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٤) رواه ابن ابى الدنيا .

(٥) رواه مالك والبخارى : قوله يصب منه : يوجه إليه مصيبة .

وبَشَّر الله المبتلى الصابر بمنزلة فى الجنة لا يدركها إلا بذلك البلاء . فقال :

« إنَّ العَبْدَ إذا سَبَقَتْ لهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ فلَمْ يَبْلُغْها بعَمَلٍ إبْتَلاهُ اللهُ فى جَسَدِهِ أو مَالِهِ أو فى وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَرَ على ذَلِكَ حتَّى يُبَلِّغَهُ المَنْزِلَةَ الَّتى سَبَقَتْ لَهُ من اللهِ عزّ وجلَّ »[1] .

والبلاء اختبار من الله سبحانه وتعالى ليظهر الصافى الصادق من غيره . ولذلك جاء منه ﷺ أنه قال : « ان الله لَيُجَرِّبُ أحَدَكُمْ بالبلاءِ كَمَا يُجَرِّبُ أحَدُكُمْ ذَهَبَهُ بالنارِ ، فمِنْهُ ما يَخْرُجُ كالذهب الإبْرِيْزِ فَذَاك الَّذى حَمَاهُ اللهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، ومنه ما يَخرُجُ دُونَ ذلك فذلِكَ الَّذى يَشُكُّ بعضَ الشكِّ ، ومنه ما يَخرُج كالذهبَ الأسوَدِ فذَاكَ الذى أُفْتُتِنَ »[2] .

« فإذَا أُصِيْبَ بمصيبة في مالِه أو نَفْسِه وكَتَمَهَا ولم يَشْكُهَا إلَى الناسِ كانَ حقا على الله أنْ يَغْفِرَ لَهُ »[3] .

«وإذا كثُرَتْ ذنوبُ العبدِ ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن لُيكَفِّرَها عنه »[4] .

ولا غرابة فى صبر الصابرين على شدة البلاء تطلعا إلى ما عند الله مما هو خير وأبقى .

فقد جاء فى الحديث عن عطاء بن أبى رباح رضى الله عنه قال : « قال لي ابنُ عباس رضى الله عنهما : ألا أُرِيْكَ امرأةً من أهلِ الجَنَّةِ ؟ فقلتُ : بَلَى . قال : هٰذِه المَرْأةُ السَّوْداءُ أتَتْ النبيَّ ﷺ فقالت : إنى أُصْرَعُ وإنّى أتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لي . قال : إن شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةَ . وإن شِئْتِ دعوتُ اللهَ أن يُعَافِيَكِ ؟ قالتْ : أصْبِرُ فقالتْ : إنّى أتَكَشَّفُ فادْعُ اللهَ لى أنْ لاَ أتَكَشَّفَ ، فدعَا لَهَا »[5] .

ومن البشائر العظمى التى بشر بها ﷺ المبتلى ــ أن الله تعالى يتكرم عليه فيجزى له ثواب عمله الذى كان يعمله قبل مرضه .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) جاء هذا فى الحديث المرفوع الذى رواه الطبرانى .

(٤) جاء هذا فى حديث رواه أحمد .

(٥) رواه البخارى ومسلم . وأحمد .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ابْتَلىٰ الله عز وجل العبدَ المُسْلِمَ بِبَلَاءٍ في جَسَدِهِ قال اللهُ عزَّ وجلَّ لِلْملَكِ : أُكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الذى كان يَعْمَلُ . وإن شَفَاهُ غَسَلَهَ وطَهَّرَهُ ، وإن قَبَضَهُ غَفَرَ له ورَحِمَهَ »[1] .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عَجَبٌ للمؤمِنِ وجَزَعِه من السَّقَمِ ، ولو كان يعلَمُ مَالَهُ من السَّقَمِ أَحَبَّ أن يكون سقِيماً الدهرَ ، ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه إلى السماء فضحِكَ ، فقيل يارسول الله مِمَّ رفَعْتَ رأسك إلى السماء فضحكت ؟ فقال رسول الله ﷺ عَجِبْتُ من مَلَكَيْنِ كانَا يلتمسان عبدا فى مُصَلًّى كانَ يُصَلىّ فيه فلم يجدٰاهُ فرجَعا فقالا : ياربَّناٰ عَبْدُكَ فلانٌ كنّا نَكْتُبُ له فى يومِهِ وليلَته عملَه الذى كانَ يَعْمَلُ فوجدْناه حَبَسْتَهُ فى حِبالِكَ (أى أمرضْتَه) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أُكْتُبُوا لعبدى عمَلَه الذى كان يعمَلُ في يومِه وليلَتِه ولا تَنْقُصُوا منه شيئاً وعليّ أجرُ ما حَبَسْتُهُ وله أجرُ مـاٰ كانَ يعمَلُ »[2] .

وبشر الله سبحانه وتعالى العبد الذى فقد بصره بالجنة إذا رضى وحمد .

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله عز وجل قال : إذا إبْتَلَيْتُ عَبْدى بِحَبِيْبَتَيْهِ (أى عيْنيه) فصبَرَ عَوَّضتُه مِنْهُما الجَنَّة »[3] .

وعن عائشة بنت قدامة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عَزِيزٌ على اللهِ أن يَأْخُذَ كَرِيْمتَىْ مُؤْمِنٍ ثُمَّ يُدْخِلَهُ النارَ »[4] .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ابْتُلِيَ عبدٌ

---

(١) رواه أحمـد .
(٢) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط .
(٣) رواه البخارى والترمذى .
(٤) رواه أحمد والطبرانى .

بعدَ ذَهابِ دِينِه بأشَّد من ذهابِ بَصَرِه . ومن ابْتُلِيَ بِبَصَرِه فصَبَرَ حتّى يَلْقى الله لَقِيَ الله تبارك وتعالى ولا حسَابَ عَلَيه » [١] .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لن يُبْتَلَى عبْدٌ بشيءٍ أشدَّ عليه من الشِرْكِ باللهِ وَلَنْ يُبْتَلىٰ عَبْدٌ بِشيءٍ بعد الشِّرْكِ بالله أشدَّ عليهِ مِنْ ذهابِ بَصَرِه ولن يُبْتَلىٰ عبدٌ بذهابِ بَصَرِه فصَبَرَ إلاَّ غفرَ اللهُ له » [٢] .

وقد بشر الله تعالى المريضَ ببشارات كثيرة منها أنه إذا قال : ﴿ لا إلهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكْبَرُ لا إله إلا الله وحـــده لا اله إلا الله ولا شريكَ له ، لا إله إلا الله ، له المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ لا إله إلا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله ـــ ثم ماتَ فى ذلك اليومِ أو فى تلك اللّيْلَةِ أو فى ذلك الشَّهْرِ غُفِرَ ذَنْبهُ ﴾ [٣] .

ومنها أنه إذا قال : « لاَ إلهَ إلا أنتَ سُبْحانَكَ إنىّ كنتُ من الظالمينَ ودعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أُعْطِىَ أجرَ شهيدٍ وإن بَرأ برأ وقد غُفِرَ له جميعُ ذنُوبه » [٤] .

وجاء عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « من قال : لا اله إلا الله والله أكبر صدَّقَهُ رَبُّهُ فقال : لا إله إلا أنَا وأنا أكْبَرُ . وإذا قال : لا إله إلا هو وَحْدَه قال : يقول لا إله إلا أنا وحْدىِ . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له قال : يقول : صدَقَ عبدى لا إله إلا أنا وحِدى لا شريكَ لي ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، له المُلْكُ ولهُ الحْمدُ قال : يقول لا إله إلا أنا لي المُلْكُ ولي الحمدُ ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله . قال : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلاَّ بى ، وكان يقول : من قالها فى مرضه ثم مات لم تَطْعَمْهُ النارُ » [٥] .

---

(١) رواه البـــزار .
(٢) رواه البـــزار .
(٣) رواه النسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ .
(٤) رواه الحاكم عن سعد بن مالك عن مالك عن النبى ﷺ .
(٥) رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم .

ومنها أنه إذا قال : « سبحانَ المَلِكِ القُدُّوسِ الرحمٰن الدَّيّانِ لا إله إلا أنْتَ مُسَكِّنِ العُروقِ الضَّارِبَةِ ومُنِيْمِ العُيونِ السَّاهِرَةِ ـــ شفاهُ الله تعالى »[1].

ومنها أن دعوته مستجابة ، ولذلك قال النبى ﷺ : « إذا دخلتَ على مريض فمُرْهُ يدْعُو لَكَ ! فإنَّ دُعاءَه كدُعاءِ المَلَائِكَةِ »[2].

وقال : رسول الله ﷺ : « عُوْدُوا المرضٰى ومُروهم فليَدْعوا لكم فإنّ دعوة المريضِ مُسْتَجَابَةٌ وذنْبه مغفورٌ »[3].

وقال ﷺ : « لا تُرَدُّ دعوةُ الْمَرِيْضِ حَتّى يَبْرَأَ »[4].

فضل عيادة المرضى

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على عيادة المريض .

قد جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « من عادَ مريضاً ناداه منادٍ من السماء : طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ وتبوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا »[5].

وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إنَ المُسْلِمَ إذا عادَ أخَاه المُسْلِمَ لم يَزَلْ فى خُرفَةِ الجَنَّةِ حتّى يَرْجِعَ قيل : ومٰا خُرْفَةُ الجنةِ ؟ قال : جَناها »

وعن أنس رضى الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « إنَ المُسْلِمَ إذا عادَ أخَاه المُسْلِمَ لم يَزَلْ فى خُرفَةِ الجَنَّةِ حتّى يَرْجِعَ قيل : ومٰا خُرْفَةُ الجنةِ ؟ قال : جَناها »[6].

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضأَ فأحْسَنَ

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا .

(٢) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا .

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان .

(٦) رواه أحمد ومسلم والترمذى : قوله خرفة الجنة أى ما يجتنى من نخلها .

الوُضُوْءَ وعادَ أخاهُ المُسْلِمَ مُحْتَسِباً بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ سبْعِينَ خَرِيفاً . قلتُ ياأبا حَمْزَةَ ما الخَرِيْفُ ؟ قال : العَامُ » [١].

وعن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَةً إلاّ صَلَّى عليهِ سَبْعونَ ألفَ مَلَكٍ حتَّى يُمْسِيَ . وإن عادَ عَشِيَّةً إلا صَلّى عَليهِ سبعون ألفَ مَلَكٍ حَتّى يُصْبِحَ ، وكانَ لهُ خريفٌ فى الجَنَّةِ » [٢].

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما رجُلٍ يعودُ مريضاً فإنَّما يَخُوْضُ فى الرَّحْمَةِ فإذا قَعَدَ عِنْدَ المريض غَمَرتْه الرَّحْمَةُ . قال فقلتُ : يارسولَ اللهِ هذا للصَّحِيْحِ الذى يَعُودُ المريضَ فَما للمَرِيْضِ ؟ قال تُحَطُّ عنه ذُنُوبُه » [٣].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن عاد مريضاً لم يَزَلْ يَخُوضُ فى الرَّحْمَةِ حتّى يَجْلِسَ فإذَا جَلَس اغْتَمَسَ فيها » [٤].

ومن خصائص هذه الأمة الحميدة ومزاياها العديدة ما جعله الله تعالى من الثواب لمن مات غريبا منهم .

فمن ذلك أنه يعطى فى الجنة مكانا خاصا زائدا على غيره بمقدار ما بين مولده وبين مكان موته .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : مات رجل بالمدينة ممن وُلد بها . فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال : « ياليتهُ مات بغيرِ مولِدِه قالوا : ولِمَ ذَاكَ يارسولَ اللهِ قال : إن الرَّجُلَ إذا ماتَ بغيرِ مَولِدِه قِيْسَ بينَ مولِدِه إلى مُنْقَطَعِ أثرِه فى الجَنَّةَ » [٥].

ومنها أن الذى يموت غريبا فإنه شهيد .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « موتُ غُرْبَة شهادةٌ » [٦] .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه الترمـذى .

(٣) رواه أحمد ورواه ابن ابى الدنيا والطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٤) رواه مالك بلاغا وأحمد ورواته رواة الصحيح والبزار وابن حبان والطبرانى .

(٥) رواه النسائى واللفظ له . وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

(٦) رواه ابن ماجـه .

قال رسول الله ﷺ ذات يوم : « ما تعُدُّون الشهيدَ فيكم ؟ قلنا يارسول الله . من قُتِل فى سبيل الله قال : إن شُهداءَ أُمَّتى إذا لَقلِيلٌ . من قُتِل فى سبيل الله فهو شهيدٌ والمتَردِّى شهيدٌ والنُّفساءُ شهيد والغَرِيْق شهيد والسُّلُّ شهيدٌ والحريقُ شهيد والغريبُ شهيد »(١) .

فضل القيام بأمور الموتى وشفاعة المصلين لهم وان خيار هذه الأمة شهداء الله في الأرض

ومن الفضائل التى أخبر بها ﷺ ما جاء فى فضل تغسيل الموتى وتكفينهم وحفر القبور لهم والصلاة عليهم .

فقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ قال : « من غسَل مَيْتاً فكتَم عليه غفرَ اللهُ له أربعين كَبيرةً . ومن حَفَر لأخِيه قبراً حتى يُجِنَّه (أى يَدفنَه) فكأنَّما أسْكنَه مَسكنَاً حتى يُبْعَث »(٢) .

وفى رواية : « من غسَل ميْتاً فكتَمَ عليه غَفر اللهُ له أربعين مرةً ومن كفَّن ميتاً كسَاه الله من سُنْدُسٍ وإستَبْرَقٍ فى الجنة ، ومن حفَر لميتٍ قبراً فأجَنَّه فيه أجْرَى اللهُ له من الأجرِ كأجرِ مسكن أسْكَنه إلى يومِ القيامة »(٣) .

وفى رواية : « من حَفَر قبراً بَنَى اللهُ له بيتاً فى الجنة . ومَنْ غسَل ميتاً .. خَرج من ذنوبه كيومَ ولَدتْه أمُّه ، ومَن كفَّنَ ميْتاً كَساه الله من حُلَل الجنة ، ومن عَزَّى حَزيناً ألْبسَهُ الله التَّقْوى وصَلَّى على رُوحِه فى الأرْوَاحِ ومن عَزَّى مُصَاباً كساهُ اللهُ حُلّتَين من حُلَل الجنة لا تَقُومُ لهما الدنيا ومن تَبع جَنازةً حتى يُقضَى دَفْنُها كَتَب اللهُ له ثلاثةَ قَرارِيط . القِيراط منها أعظَمُ من جبل أُحُدٍ . ومن كفَل يتيماً أو أرْملةً أظَلَّه اللهُ فى ظِله وأدْخَلَه الجنة »(٤) .

وجاء فى فضل تشييع الجنائز : « أنّ مَنْ شَهِد الجَنازةَ حتى يُصلَّى علَيها فَله

---

(١) رواه الطبـرانى .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط .

قِيراطٌ ، ومن شهِدَها حتى تُدْفنَ فله قِيْراطان . قيل : وما القِيْراطانِ ؟ قال مِثْل الجبَلَيْن الْعَظِيْمين » [١].

وقد أكرم الله تعالى الميتَ من هذه الأمة بأن جعل صلاة من يصلى عليه شفاعة له .

يقول ﷺ : « ما مِنْ مَيْتٍ يُصلّي عليه أُمّةٌ من المسلمين يَبْلُغون مِائةً كُلّهم يَشْفَعون له إلا شُفِّعُوا فيه » [٢].

وقال ﷺ : « ما من رجُل يُصلّي عَليه مِائةٌ إلا غَفَر الله له » [٣].

وعن مالك بن هبيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : « ما من مُسْلِمٍ يَموت فيُصلّي عليه ثلاثةُ صُفُوفٍ من المسلمين إلا أَوْجبَ ــ أى استَحقَّ دخولَ الجنة ــ » [٤].

وكان مالك إذا استقبل أهل الجنازة جَزّأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث .

وروى عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَزّى مُصاباً فلَهُ مِثل أجْرِ صاحِبه » [٥].

وعن كريب « أن ابن عباس رضى الله عنهما مات له ابنٌ بقُدَيد أو بعُسْفان فقال : ياكُرَيْبُ أُنْظر مااجتمَعَ له من الناس ؟ قال : فخرجْتُ فإذا ناسٌ قد اجتَمعوا فأخبَرتُه فقال : تقول هُمْ أربعُون ؟ قال : قلتُ نَعم قال : أخْرِجوه . فإنّى سِمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ما من رَجُلٍ مُسلمٍ يَموُتُ فيقوم على جَنازتِه أربعُون رجُلًا لا يُشرِكون بالله شيئاً إلا شَفَّعَهُمُ اللهُ فيه » [٦].

واكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمة أيضاً فجعَل ألسنةَ الخيار منهم علامات على الخير ودلائل على الهدى وشهادة صادقة على حسن الحال وخير المآل .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٢) رواه مسلم والنسائى والترمذى .
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .
(٥) رواه الترمذى .
(٦) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

عن أنس رضى الله عنه قال : « مُرَّ بجنازة فأُثنِىَ علَيها خيرٌ فقال نبى الله ﷺ : وجَبتْ وجَبتْ وجَبتْ ، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثْنِى عليها شرٌ فقال نبى الله ﷺ : وجَبتْ وجَبتْ وجَبتْ . فقال عمر : فِدَاكَ أبى وأُمّى . مُرّ بجنازة فأُثنِى عليها خيرٌ فقلتَ : وجَبتْ وجَبتْ وجبتْ . ومر بجنازة فَأُثنِىَ عليها شر فقلت وجَبتْ وجَبتْ وجَبتْ . فقال رسول الله ﷺ : مَن أَثْنَيْتم عليه خيراً وجَبتْ له الجَنّةُ ومن أثنيْتُم عليه شرّاً وجَبتْ لَه النارُ . أَنْتم شُهداءُ اللهِ فى الأرض » [1].

وفى رواية : قال النبى ﷺ : « أَيُّما مُسْلِمٍ شَهِدَ له أربعةُ نَفرٍ بخَيْرٍ أدخَلَه اللهُ الجَنّةَ قال : فقُلْنا : وثلاثةٌ ؟ فقال : وثَلاثَةٌ . فقلنا : واثنانَ ؟ قال : واثنانِ . ثم لَمْ نسألْه عن الواحِد » [2].

وفى رواية : قال النبى ﷺ : « مامن مُسْلِمٍ يَمُوتُ فيَشْهَدُ له أربعةُ أهلِ أبياتٍ من جِيرانِه الأدنَيْنَ أَنَّهُم لا يَعْلَمُون إلا خَيْراً إلّا قال الله : قدْ قبِلْتُ عِلمكُم فيه وغفَرْتُ له ماَ لاتَعْلمون .

تعريف الأمة المحمدية بأمور البرزخ

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة أنه حصل عندها العلم الكامل بما سيكون فى البرزخ وما يجرى فى ذلك العالم حتى صار الأمر المغيب كالمشهود المرئى .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ العبْدَ إذا وُضِع فى قبرِهِ وتَولّى عنه أصْحَابُه . وإنّه لَيَسمَعُ قَرْعَ نِعالِهم أتاهُ مَلَكانِ فَيُقْعِدَانِه فيقُولان له : ماكُنْتَ تَقولُ فى هذا الرجل مُحَمَّدٍ ؟ فأَمّا المُؤْمِنُ فيقولُ : أشْهَدُ أنه عبدُ اللهِ ورَسُولُه فَيُقال له : أُنْظُرْ إلى مَقْعَدِك من النار أبْدَلكَ اللهُ به مَقْعَداً من الجنةِ قال النبى ﷺ : فيراَهُما جميعاً ، وأما الكافرُ أو المنافقُ فيقولُ لا أدْرِى كنْتُ أقولُ ما يَقولُ الناسُ فيه . فيُقالُ : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ثم يُضرَب بِمطْرَقةٍ من حديدٍ ضَرْبَةً بين أُذُنَيْه فيَصِيحُ صَيْحةً يَسْمَعُها مَنْ يَلِيْه إلا الثَّقلَيْن » [3].

---

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى واللفظ له ومسلم .

وقد صرح ﷺ فى رواية أخرى بما يؤيد ما لهذه الأمة من الكرامة . إذ خصّها بالحديث الذى لم يَرِدْ على لسان نبىّ من قبْل ، ومَيَّزها بما أطْلعَهَا عليه من ذٰلك الغيْبِ المكْنون فقال بعد أن استعاذَ بالله من فتنةِ الدجال ومن فتنة عذاب القبر : « أمَّا فِتْنةُ الدَّجَّالِ فإنّه لم يكن نبىٌّ إلّا حَذّر أُمَّتَه وسأُحَدّثكُم بحديثٍ لم يُحَذّرْه نبيٌّ أُمَّتَهُ ، إنّه أعْوَرُ وإنّ الله ليس بأعْوَر ، مكتوبٌ بينَ عينَيْه كافِرٌ ، يقرَؤهُ كلُ مؤمنٍ فأمّا فِتنةُ القبرِ فبِى يُفْتَنون وعَنِىّ يُسْألون . فإذا كانَ الرجُلُ الصالح أُجلِسَ فى قبرِه غيْرَ فزِعٍ ولا مَشعوفٍ ثم يُقال له : فما كُنْتَ تقول فى الإسلامِ ؟ فيقالُ : ماهٰذا الرَّجُلُ الذى كان فيكم ؟ فيقول : محمّدٌ رسولُ الله جاء بالبَيِّناتِ من عندِ الله فَصَدَّقْناه فتُفرَج له فُرْجَةٌ قِبَل النار فيَنْظُر إليها يُحَطِّم بعْضُها بعضاً فيقال له : أُنْظُرْ إلى ما وقَاك الله ثم تُفرَج له فُرْجَةٌ إلى الجنة فيَنْظُر إلى زَهْرتِها وما فيها فيُقال له : هٰذا مَقْعَدُك منها ، ويقال : عَلىٰ اليَقين كُنْتَ وعَليه مُتَّ وعليه تُبْعَث إن شاء الله . وإذا كان الرجُل السُّوءُ أُجْلِس فى قبرِه فَزِعاً مشعوفاً فيُقال له : فما كنتَ تقولُ . فيقول : سمِعْتُ الناسَ يقولون قولًا فقُلْتُ كما قالُوا فيُفرَج له فُرجَةٌ إلى الجنة ، فيَنظُر إلى زَهْرتها وما فيها فيقال : له أُنظُرْ إلى ما صَرف الله عنك ثم يُفْرَج له فرجةٌ قِبَل النارِ فيَنْظُرُ إليها يُحَطِّمُ بعَضُها بعضاً ويقال : هٰذا مَقْعدُك منها ، على الشَّكِ كنتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ إن شاء الله ثم يُعَذَّبُ » [١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إنّ الميّتَ إذا وُضِع فى قَبرِه إنّه يَسْمع خَفْقَ نِعالِهم حين يُوَلُّون مُدْبِرين فإنْ كان مؤمناً كانت الصلاةُ عند رأسِه وكان الصيامُ عن يمينِه وكان الزكاةُ عن شماله وكان فِعلُ الخيرات من الصَّدَقةِ والصِّلاتِ والمعروف والإحسانِ إلى الناس عند رِجْلَيه فيُؤتَى مِنْ قِبل رأسِه فتقول الصلاةُ : ما قِبلى مَدْخلٌ . ثم يُؤْتَى عن يَمينِه فيقول الصِّيامُ : مٰا قِبَلى مَدْخَلٌ ثم يُؤْتَى عن يَساره فتقول الزكاةُ : ما قِبلى مَدْخَلٌ ثم يُؤْتَى من قِبَلِ رِجْلَيه فيقول فِعلُ الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسانِ إلى الناس : ما قِبَلِي مَدْخلٌ . فيقال له اجلِسْ فيجلِسُ قد مُثِّلَتْ له الشَّمسُ وقد أذْنَتْ للغُروبِ فيُقال له : أرأيتَك هٰذا الذى كان قِبَلَكُم ما تَقولُ فيه وماذَا تَشْهَدُ عليه فيَقُول : دَعُونى حَتّى أُصَلِّىَ فيقولون

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح .

إنّك ستفْعَلُ . أخْبِرْنا عما نَسألك عنه أرأيتَك هذا الرَّجُل الذى كان قِبَلَكُمْ ماذا تَقُول فيه وماذَا تَشْهَدُ عليه ؟ قال :

فيقول : محّمدٌ أشْهَدُ أنه رسولُ الله ﷺ وأنّه جاءَ بالحقِ من عندِ الله فيُقال له : علٰى ذلك حَيِيْتَ وعلى ذلك مُتَّ وعلى ذلك تُبعَث إن شاء الله ثم يُفتح له بابٌ من أبوابِ الجنة فيقال له : هٰذا مَقعَدُك منها وما أعدَّ اللّٰهُ لك فيها فيَزْدادُ غِبْطةً وسُرُوراً . ثم يُفْتَح له بابٌ من أبوابِ النّارِ فيقال له : هٰذا مَقْعدُك وما أعدّ اللّٰهُ لك فيها لو عَصيْتَه فيَزْدادُ غِبْطةً وسُروراً . ثم يُفْسَحُ له فى قبرِه سَبْعُون ذراعاً ، ويُنوَّر لُه فيه ويُعَاد الجسدُ كما بدَأ منه فتُجعَل نسَمتُه فى النَّسيمِ الطَّيِّبِ وهى طَيرٌ تعَلَّقَ فى شجرِ الجنّة . فذلك قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ الله الّذين آمَنوا بالقَوْلِ الثابت فى الحياة الدنيا وفى الأخرة ﴾ ـــ الآية . وإنّ الكافِرَ إذا أُتِي من قِبَلَ رأسِه لم يُوْجَد شَيءٌ . ثم أُتِي عن يَمينه فلا يوجَدُ شَيْءٌ ثم أُتِي عن شمالِهِ فلا يُوجَدُ شيءٌ ثم أُتي من قِبلَ رِجْلَيه فلا يُوجَد شيءٌ . فيقال له : اجلِسْ فيَجلِس مَرْعُوباً خائفاً . فيقال : أرأيتَكَ هذا الرجلَ الذى كان قِبَلكم ماذَا تَقُول فيهِ وماذا تشْهَد عليه ؟ فيقول : أيُّ رَجلٍ ولا يَهتدى لِاسمِه . فيقال له : محمدٌ . فيقول : لا أدْرِى سَمعتُ الناسَ قالُوا قولًا فقلتُ كما قالَ الناسُ . فيقال له : علٰى ذلك حَيِيْتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبعْثُ إن شاء الله ثم يُفتَح له بابٌ من أبْوَابِ النار . فيقال له : هذا مَقْعَدُك من النار وما أعَدَّ اللهُ لك فيها فيزَدادُ حَسْرةً وثُبُوراً ثم يُفتَح له بابٌ من الجنة . قالَ له : هٰذا مَقْعدُك منها وما أعدَّ اللّٰهُ لك فيها لو أطعتَهُ فيزدادُ حسْرةً وثُبُوراً . ثم يُضيَّق عَليه قَبْرُه حتى تَختلِفَ فيه أضلاعُه فتِلْك المعيشةُ الضَّنْكَةُ التى قال الله : ﴿ فإنّ لَه مَعيشةً ضَنْكاً ونَحشُره يومَ القيامه أعْمىٰ ﴾ [١] .

وفى رواية للطبرانى : يُؤتَى الرَجُلُ فى قبرِه فإذا أُتِي قِبلَ رأسه دفعَتْه تلاوةُ القرآن وإذا أُتِى من قِبلَ يدَيْه دفعَتْه الصَّدقةُ . وإذا أُتِي من قِبلَ رِجْليه دفعه مَشْيُه إلى المساجد .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .

البعث وأهوال يوم القيامة

ومما أكرم الله تعالى به الأمة المحمدية أن النبى ﷺ أخبرنا بما يَجرى فى البعث وفى أهوال يوم القيامة فأخبرنا عن الصُّور الذى يُنفخ فيه . وأنه قرنٌ مثل البُوق . والنفخُ فيه هو عبارةٌ عن صَيْحَةِ اسرافيل . وأخبرنا عن اسرافيل وأنه له أربعةُ اجنحةٍ جَنَاحان فى الهواء وجَناحٌ قد تَسَرْبَلَ به وجَناحٌ على كاهله والقلمُ على أُذنه . فإذا نَزل الوحْيُ كَتب القَلمُ ثم دَرستْ الملائكة . ومَلَكُ الصُّورجاثٍ على إحدىٰ رُكْبتَيه وقد نَصَب الأُخرىٰ فَالْتَقَمَ الصُور يَحْنِى ظَهْرهُ وقد أُمِر إذا رَأى إسرافيلَ قد ضَمَّ جناحَه أن يَنفُخَ فى الصُورِ »[1] .

وأخبر أن الساعة تأتى بغتةً فَجْأةً وأقسم على ذلك فقال : تَطْلُع عليكم قَبل الساعة سَحابَةٌ سوداءُ مِن قِبل المَغْرب مثلُ التُّرْسِ فلا تَزال تَرْتفِع فى السَّماء وتَنْتشر حتى تَمْلَأَ السماء ثم يُنادِى منادٍ : ياأيُّها الناسُ أتَى أمرُ اللهِ فلا تَسْتعجلُوه . قال رسول الله ﷺ : « فوالّذى نفسِى بيدِه إنّ الرَجُلَين يَنشُرانِ الثوبَ فلا يَطْويَانه ، وإن الرّجُل لَيَمْدُرُ حَوْضَه فلا يَسْقى منه شيئاً أبدا ، والرجُل يَحلُب ناقتَه فلا يَشْربهُ أبدا »[2] .

(مدر الحوض أى طيّنه لئلا يتسرب منه الماء) .

وأخبر عن النَّافِخيْنَ . فقال : « إنهما فى السماءِ الثانية رأسُ أحدِهما بالمَشْرِق ورِجْلاه بالمَغرب . أو قال : رأسُ أحَدِهما بالمَغْرِب ورِجْلاه بالمشرِق يَنْتَظِرَانِ مَتىٰ يُؤمَرَان أن يَنْفُخا فى الصُوْر فيَنْفُخانَ »[3] .

وأخبر أن الناس يُحْشرون حُفاةً عُراةً غُرْلًا[4] . قد أَلْجَمهُمْ العَرقُ وبلغَ شُحومَ الآذانِ . فقالت أُم سلمة وعائشةُ متعجبتَيْنْ : يَنظُر بَعْضُنا إلى بعضٍ ؟ فقال ﷺ :

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٣) رواه أحمد بأسناد جيد .

(٤) الغرل بضم الغين واسكان الرء جمع اغرل وهو الاقلف . والقلفة هو الزائد الذى يقطع من الحشفة بعد الولادة فهذا يرده الله تعالى على الناس بعد البعث .

« الأمرُ أشدُّ من أن يَهُمَّهُمْ ذلك فقد شُغِلَ كُلٌّ بنفسِهِ.(لِكُلِّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنِيه » [١].

وأخبر أن الكافر يُحْشَر على وجهِه مسحُوباً مُستدلّا بقوله تعالى :﴿ الذين يُحْشَرون على وُجوهِهم إلى جهنَّم ﴾ فتعجّب أنس من ذلِك فقال له ﷺ : « أليس الذى أمْشاه على الرِجْلَيْن فى الدنيا قادِرٌ على أن يُمْشِيَه على وَجْهِه ؟ قال قتادةُ حين بلَغه : بَلىٰ وعِزّةِ رّبنا » [٢].

وتحدث ﷺ عن صُوَر متعددةٍ لحشرِ الناس يومَ القيامة . فمنهم من يُحْشَر راكباً طاعِماً كاسياً . ومنهم من تَسْحَبهُم الملَائكةُ على وُجُوهِهِم وتَحْشُرهم النَّار . ومنهم من يَمشُون يَسْعَون » [٣]. « ومنهم من يُحشر على صُورة الذرِّ (أى النمل الصغير) يَطؤهُم الناسُ بأقدامِهم فيُقال : ما بَالُ هؤلاءِ فى صُوَر الذرّ ؟ فيقال : هؤلاءِ المُتكبّرون فى الدنيا » [٤].

وفى رواية : « يُحشَر المتكبّرون يومَ القيامة أمثالَ الذَرِّ فى صُوَر الرِجّال يَغْشَاهُم الذُلُّ من كل مكانٍ يُسَاقُون إلى سِجْنٍ فى جهنم يُقال له : بُولِسُ تَعْلُوهُم نارُ الأَنْيار يُسْقَون من عُصَارةِ أهلِ النار طِيْنةِ الخَبَال » [٥].

« ومنهم من يُحشَر راغِباً . ومنهم من يُحشر راهِباً . واثنان على بَعِير . وثلاثةٌ على بَعيرٍ . وأربعةٌ على بعيرٍ ، وعَشرةٌ على بعيرٍ ويَحشر بَقيّتَهم النارُ . تَقِيْلُ معهم حيث قَالُوا ، وتَبيتُ معهم حيث باتُوا ، وتُصْبِح معهم حيثُ أصبَحُوا . وتُمْسِى معهم حيث أمْسَوا » [٦].

---

(١) رواه الطبــرانى .
(٢) رواه البخارى ومسلم
(٣) رواه النســائى .
(٤) رواه البــزار .
(٥) رواه النسائى والترمذى ، قوله طينة الخبال : أى طينة الفساد الذى يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا كالجنون المؤثر فى العقل والفكر .
(٦) رواه البخــارى ومسلم .

« ومنهم من يَعْرقون يوم القيامة حتى تَذْهَبَ فى الأرض عرَقُهم سبعين ذراعاً وإنه يُلْجِمُهُم حتى تَبْلُغَ آذانَهم »[1].

« وأخبر أن الشمسَ تدنُو من الناسِ فيَعْرِقون ، فمن الناس من يَبلُغ عَرَقُهُ عَقِبَيْهْ ، ومنهم من يبلُغ نصْفَ الساق ، ومنهم من يَبْلُغ إلى رُكْبَتَيْه ، ومنهم من يَبلُغ إلى العَجُز ، ومنهم من يَبلُغ الخاصِرةَ ومنهم من يَبْلُغ منكبَيْه ، ومنهم من يَبْلُغ عُنقَه ، ومنهم من يبلُغ وسَطَه وأشار بيدِه ألْجَمهافَاهُ ، ورأيت رسول الله ﷺ يُشير هكذا ، ومنهم من يُغَطِّيْهِ عَرَقُه : وضربَ بيدِه وأشار وأمَرَّ يَدَه فوقَ رأسِه من غير أن يُصيبَ الرأسَ دَورُ راَحتَيْه يميناً وشمالًا »[2].

« وتَبْلُغ الشِدّةُ فى ذلك اليوم بالعبد مَبْلَغاً عظِيما حتى انّه لَيقول : ياربِّ أرِحْنى ولَوْ إلىٰ النار ، فإرْسَالُك بى إلى النار أهْوَنُ إلَيّ مما أجِدُ — وهو يَعْلَم ما فيها من شدّةِ العذاب وذلك اليومُ مِقدَارُهُ خمسون ألفَ سنةٍ ولكنه يخفَّف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وينَادَى فُقَراءُ هٰذه الأمةِ ومَساكِينُها فيَقُومون ، فيُقال لَهم : ماذا عملْتم ؟ فيقولُون : ربَّنا ابْتَلَيْتَنا فَصبَرْنا ، ووَلَّيتَ الأموالَ والسلطانَ غيْرَنا ، فيَقُولُ اللهُ عزَّ وجل : صدَقتُمْ ، فيدَخْلُون الجنةَ قَبلَ الناس وتبقى شدة الحِسابِ على ذَوِى الأَموالِ والسُّلطان . قالوا فَأيْنَ المؤمنون يومَئذٍ ؟ قال : تُوضَع لهم كَراسِيٌّ من نُورٍ ويُظَلّل عليهم الغَمامُ يكون ذَلك اليومُ أقْصرَ علىَ المؤمِنين من ساعَةٍ من نَهارٍ »[3].

وتختلف أحوالهم فى ذلك المقام بإختلاف أعمالهم .

« فمنهم مَن يكونُ نُورُهم مِثلَ الجَبَلِ العَظِيم يَسْعى بين يَدَيْه ، ومنهم من يُعْطَى نُورهَ أصغَرَ من ذٰلك حتى يكونَ آخِرهُم رجُلا يُعْطَى نُوْرَه علىٰ إبهامِ قَدَمِه يُضِيءُ مَرّةً ويُطْفَأ مرة ، فإذَا أضاءَ قدَمُه قَدِم ، وإذا أُطْفِىء قَامَ ، قال والربُّ تبارَكَ وتعالىٰ أمامَهُم حتى يُمَرَّ بِهم إلى النّارِ فيَبْقَى أثرهُ كحَدِّ السَّيْف . قالَ : فيَقُول :

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان والحاكم .

(٣) رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه .

مُرُّوا فيمُرّوُن علىٰ قَدْرِ نُورِهم ، منهم مَن يَمُرّ كطَرْفَةِ العَيْن ، ومنهم من يَمُرّ كالبَرْق . ومنهم من يَمُرّ كالسَّحاب ، ومنهم من يَمُرّ كانْقِضَاض الكَوكَب ، ومنهم من يَمُرّ كالرِّيْح ، ومنهم من يَمُرّ كشَدِّ الفَرس ، ومنهم من يَمُرّ كشَدِّ الرجْل حتى يَمُرَّ الذى يُعطَى نُورَه علىٰ ظَهْر قدَمَيه يَحْبُو علىٰ وَجْهه ويَدَيْه ورِجلَيْه تُجَرُّ يَدٌ وتُعلَّقُ يَدٌ ، وتُجَرُّ رِجلٌ وتُعلَّقُ رِجْلٌ وتُصيب جَوانِبَه النارُ ، فلا يَزالُ كذٰلك حتى يَخْلُص فإذا خَلَص وَقَف عليه فقال : الحمد لله الذى أعطَانى ما لم يُعْطِ أحدا إذْ أنْجَاني مِنها بعد إذْ رَأيتُها ، قال : فينطلقُ به إلىٰ غَدِيرٍ (أى نهْرٍ) عنْد بابِ الجنةِ فَيغْتَسل فيَعُودُ إليه رِيْحُ أهلِ الجنة وألْوَانُهم فيرَى ما فى الجنةِ مِنْ خَلَلِ البابِ فيقولُ : ربِّ أدْخِلْنِي الجنةَ ، فيقولُ اللهُ : ﴿ أتَسْأَلُ الجنة وقد نَجَّيْتُكَ مَن النّار ؟ ﴾ فيقول : رَبِّ اجعَلْ بينِى وبَيْنَها حِجَاباً حَتّى لا أسْمَع حَسِيْسَهٰا (أى صَوْتَها) قال : فَيدخُل الجنّةَ ويَرى أو يُرفَع له مَنزِلٌ أمَام ذلك كأنَّ ما هو فيه بالنسبة إليه حُلْمٌ . فيقُول رَبِّ أعْطِنى ذلك المَنْزِل ، فيقولُ : لعلّك إن أُعطِيتَه تَسْأَلُ غيرَه ؟ فيقول : لا وَعِزّتِك لا أسْأَلُ غَيْرَه ، وأيُّ مَنزِلٍ أحْسَنُ منهُ فيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ويَرىٰ أمامَ ذلك مَنزِلًا كأنَّ ما هُوَ فيه بالنسبةِ إليه حُلْمٌ قال : رَبِّ أعْطِنى ذلك المَنْزِلَ ، فيقول الله تبارَك وتعالىٰ له : ﴿ لعلَّك إنْ أُعطِيْته تَسْأَلُ غَيْرَه ؟ ﴾ فيقول : لَا وَعزّتِكَ ، وأيُّ مَنْزِلٍ أحسَنُ منه فيُعْطَاه فَيَنْزِلُهُ ثم يَسْكتُ ، فيقول الله جَلّ ذكرهُ : ﴿ مَالَكَ لا تَسْأَلُ ؟ ﴾ فيقولْ : ربِّ قد سَأَلْتُك حتّى استَحْيَيْتُكَ فيقولُ الله جلَّ ذِكرهُ : أَلَمْ تَرْضَ أنْ أُعطِيَك مِثْلَ الدنيا مُنْذُ خلَقْتُها إلىٰ يومَ أفْنَيْتُها وعشْرَةَ أضعافه ؟ فيقول : أتَهْزَأُ بى وأنتَ ربُّ العِزَّة ؟ قال : فيقولُ الربُّ جلّ ذِكرُه : لا ولٰكِنِّى علىٰ ذَلك قادِرٌ ، فيقولُ : ألحِقْنِى بالنَّاسِ ، فيقولُ : إلْحَقْ بالناس قال : فيَنْطلِقُ يَرْمُل فى الجَنّة حتَّى إذا دَنٰا من الناس رُفِع لَه قَصْرٌ من دُرَّةٍ فَيخِرُّ سَاجِداً ، فيقولُ إرْفَعْ رأسكَ مالَكَ ؟ فيقول : رأيتُ رَبى أو تَراءَى لي رَبِى فيُقال : إنما هُو مَنْزِلٌ من مَنازِلِك قال : ثم يأتِى رجُلًا فيَتهيَّأُ للسُجُودِ له ، فيُقال له : مَهْ (أى أكفُفْ) . فيقول : رأيتُ أنَّك ملَكٌ مَن الملائكة ، فيقول : إنما أنَا خازِنٌ من خُزَّانِك وعَبْدٌ من عَبِيدِك تَحْت يَدِي ألْف قَهْرمانٍ (هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده) علىٰ

ما أنا عَليه ، قال : فيَنْطلِق أمامَه حتّى يُفتح له بابُ القَصْر . قال : وهو من دُرّةٍ مُجوّفَةٍ سَقَائِفُها وأبْوابُها وأغْلاقُها ومَفَاتِيْحُها منها يَسْتَقْبله جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءُ مبطنة بحَمراءَ فيها سبعُون باباً . كُلُّ بابٍ يُفْضِي إلى جَوْهَرةٍ خَضْرَاء مُبَطّنَةٍ (أى لها بطانةٌ) كُلُّ جوهرةٍ تُفْضى إلى جَوْهَرةٍ على غيرِ لونِ الأُخرىٰ ، فى جوهرةٍ سُرُرٌ وأزْوَاجٌ ووَصائِفُ أدناهُنّ حَوْرَاءُ عَيْناءُ عليْها سبعون حُلّةً يُرى مُخُّ سَاقِها مَنْ وَرَاءِ حُلَلِها ، كَبِدُها مِرْآتُهُ وكَبِدُهُ مِرْآتُها ، إذا أعْرَضَ عنْهَا إعْرَاضَةً ازدَادَتْ فى عينه سبعين ضِعْفاً عما كانَتْ قبلَ ذٰلك فيَقُولُ لهٰا : والله لقَدْ ازددْتِ فى عَينى سبعِين ضِعْفاً ، وتَقولُ له : وأنت ازدَدْتَ فى عيني سبعين ضِعْفاً . فيقال له : أشْرِفْ (تَقرَّبْ وامْلِكه) فيُشْرِفُ . فيقال له : مُلْكُكَ مَسِيرَةُ مِائَةِ عامٍ يَنْفذُهُ بَصرُكَ : قال : فقال له عُمرُ : ألا تَسْمعُ ما يُحَدّثُنا ابنُ أمِ عبدٍ ياكَعْبُ عن أدْنى أهلِ الجنةَ مَنزلًا فكيفَ أعلاهم ؟ قال : ياأميرَ المؤمنين : مالا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ »[1] . الحديث

تعريف الأمة المحمدية بأُمور الحشر والنشر

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أيضا أن أطلعها على أمور الحساب وما يجرى فى هذا الباب .

« فقد أخبر أن كلَّ عبدٍ لا بُدَّ أن يُسْأَل عن أربعٍ لا مَحالَةَ ، عن عُمْرِه فيما أفْناهُ . وعن عِلْمِه ماذا عمِل به . وعن مالِه من أيْنَ أكتسبَه وفيما أنْفقه . وعن جِسْمِه فيما أبْلاه »[2] .

« ويُخرَجُ لابن آدَمَ يومَ القيامة ثلاثةُ دَوَاوِينَ : دِيْوانٌ فيهِ العَمَلُ الصَّالح . ودِيوانٌ فيه ذُنُوبُه ، وديوانٌ فيه النِّعَمُ مِن الله علَيْه فيقُولُ اللهُ عزَّ وجل لأصْغَرِ نِعْمةٍ أحسبُه قال : فى دِيوانِ النِعّم : خُذِى ثَمنَكِ من عمِله الصَّالح . فتَسْتَوعِبُ عَمَلَه الصالحِ ثم تَنَحَّى (أى تنصرف) وتقول : وَعِزَّتِك ما استوفَيْتُ وتَبْقَى الذُّنُوبُ والنِّعَم ، وقد ذهَب العَملُ الصَّالحُ فإذا أرادَ الله أن يَرْحمَ عبداً قال : ياعَبْدِى قد ضاَعفْتُ لك حسَنَاتِكَ وتَجاوَزْتُ عن سَيِّئَاتِكَ ، أحْسبُه قال : ووَهَبْتُ لك نِعمَى »[3] .

---

(١) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى واللفظ له والحاكم .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البزار .

وقد بيّن ﷺ مَقامَ نِعَمِ الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعمل العبد وأنّ عَملَ العبد لا يُساوِى شيئا فى مقابَلَةِ أقلِ نِعْمةٍ من النِّعم الإلٰهيّةِ .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما : « أن رجُلًا من الحَبشة أتَى النبيَّ « فقال : يارسولَ الله . فُضِّلتم علينا بالألْوان والنبوّة ، أفرأيْت إن آمَنْتُ بمِثْلِ ماآمَنتَ به ، وعمِلتُ بمثلِ ما عمِلْتَ به إنّي لَكَائنٌ مَعك فى الجَنَّةِ ؟ فقال النبى ﷺ : نَعَمْ ، ثم قال النبيُّ ﷺ : مَنْ قال لا اله إلا الله كانَ لَه بها عَهْدٌ (اى مِيْثَاقُ تَوْحِيْدِه) عند الله ، ومَنْ قالَ : سبحانَ الله كُتِبَ له مِائةُ ألفِ حَسَنةٍ فقال رجلٌ : يارسولَ الله كيف نَهْلِكُ بعْدَ هٰذا ؟ فقال النبيُّ ﷺ : والَّذِى نفسِى بيدِه إنَّ الرَّجُل لَيَجِيْءُ يوْمَ القيامة بعَمَلٍ لو وُضِعَ علىٰ جَبلٍ لأثْقَلَه فتَقُوم النِّعمْةُ من نِعم اللهِ فتَكادُ تَستَنْفِدُ (اى تَرْجَحُ كِفَّةُ النِّعمة) ذلك كُلَّه لولَا ما يتفضَّلُ اللهُ من رحمتِه ، ثم نَزلَتْ : ﴿ هل أَتَى علىٰ الإنسانِ حِيْنٌ من الدَّهرِ لم يكُنْ شيئاً مَذْكُوراً ﴾ إلى قوله : ﴿ وإذا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً ﴾ . فقال الحَبَشِيّ : يارسُولَ الله وهل تَرى عَيْنِى فى الجنة مِثْلَ ما تَرى عيْنُك ؟ فقال النبىّ ﷺ : نَعمْ ، فبكى الحَبَشيُّ حتى فاضَتْ نَفْسُه (أى خرَجَتْ رُوْحُه قال ابن عمر : فأنَا رأيْتُ رسولَ الله ﷺ يُدْلِيه فى حُفْرَتِه » [1] . (أى يُدخِلهُ فى قبْرِه) .

قصـة العابد المغتر بعبـادته

« عن جابر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ فقال : قال جبريلُ : يامحَمَّدُ والَّذِى بعَثَكَ بالحَقِ إن للهِ عَبداً من عِبادِه عبَدَ اللهَ خمسَمِائةِ سنةٍ على رَأْسِ جَبلٍ فى البَحْرِ عَرْضُهُ وطُوْلُه ثَلاثُونَ ذِراعاً فى ثلاثِين ذِراعاً والبحرُ محيطٌ به أربعَةُ آلافِ فرْسَخٍ من كُلِ ناحِيةٍ وأخْرَجَ له عَيْناً عَذْبَةً بعَرْضِ الأصْبُع تَفِيْض بماءٍ عَذْبٍ فيَسْتَنقِع (اى يجتمع) فى أسْفَلِ الجَبَل وشَجَرةَ رُمّانٍ تُخرِج له فى كلّ ليلة رُمّانَةً يَوْمَه . فإذا أمْسَى نَزَل فأصابَ من الوَضُوءِ وأخَذ تلك الرُمّانَةَ فأكلَها ثم قَامَ

---

(١) رواه الطبـرانى .

لِصَلاتِه . فسأَل رَبَّه عند وقتِ الأَجَل أن يَقْبِضَه سَاجِداً وإن لا يَجْعَلَ للأرضِ ولا لشيءٍ يُفْسِدُه عليْه سَبيلًا حتى يَبْعَثَه الله وهو ساجدٌ . قال : ففعَلَ فنحْنُ نَمرُّ عليه إذا هَبَطْنَا وإذا عَرَجْنا فنَجِدُ لَه فى العلم أنه يُبْعَثُ يومَ القيامة فيُوْقَف بَيْنَ يَدَي الله فَيقُولُ لَهَ الربُّ : أَدْخِلُوا عَبدِى الجنّةَ برَحْمَتِى فيقول : رَبِّ بل بعَملِى . فيقولُ : أدْخِلوا عَبْدى الجنةَ برحمتى فيقولُ : ربِّ بل بعَمَلِى . فيقولُ الله : قايسُوا عَبْدِي بنعْمتِى عَلَيْه وبعَمَلِه فتُوْجَد نِعْمةُ البَصَرِ قد أحَاطَتْ بعبادةِ خمسِمائةِ سنةٍ ، وبَقِيَتْ نِعْمِةُ الجَسَد فضْلًا عَليْه فيقول : أَدْخِلوا عَبْدِى النار فيُجَرُّ إلى النار . فيُنادِى : رَبِّ برَحْمتِك أَدْخِلْنى الجَنَّةَ . فيقول : رُدُّوهُ ، فيُوقَفُ بين يَدَيْهِ . فيَقولُ : ياعَبْدِى مَنْ خَلَقك ولم تَكُ شَيْئاً ؟ فيقولُ : أَنْتَ ياربِّ . فيقولُ : مَنْ قَوّاكَ لعبادةِ خمسِمائةِ سَنَةٍ ؟ فيقول : أنتَ ياربِّ . فيقول : مَنْ أَنْزلَك فى جَبلٍ وسَطَ اللُّجَّةِ ، وأَخْرَج لك الماءَ العَذْبَ من الماءِ المالِح ، وأَخْرَجَ لك كلَّ ليلةٍ رُمّانَةً وإنما تَخْرجُ مَرَّةً فى السَّنَة ، وسَأَلْته أن يَقبِضكَ ساجِداً ففَعَل ؟ فيقول : أَنْتَ ياربِّ . قال : فَذٰلِكَ برَحْمتى وبرحَمتِى أُدْخِلُك الجنة . أَدْخِلوا عبدِى الجَّنة . فَنِعْمَ العَبْدُ كنتَ ياعبْدِى . فأَدخَلَه اللهُ الجَنّةَ .قال جبريلُ : إنَّما الأَشْيَاءُ برحْمَةِ اللهِ يامُحَمَّدُ » [١] .

« وأخبر أنه اقتصَّ للخلق بعْضِهم من بعضٍ حتى إنَّه ليقتَصّ للشاةِ التى لَا قرْنَ لها من التى لها قرْنٌ إذا نَطَحتْهاَ فى الدُّنْياَ . وحَتّى للذَّرّة من الذَرّة ، وللعبْدِ مِنْ مَمْلُوكِه ثم يُنادِيهم الحَقُّ سبحانَه وتعالىٰ بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُد كما يَسْمَعُه مَنْ قَرُب : أنا الدَّيّانُ . أنا المَلِكُ . لا يَنبْغِي من أهْلِ النار أن يَدْخُل النّارَ ولَهُ عند أحَدٍ من أهلِ الجنة حَقٌّ حَتّى أُقصّهَ منه ولا يَنبغي لَأَحَدٍ من أهلِ الجنةِ أن يَدْخُلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهل النار عندَه حَقٌّ حتّى أُقصَّهُ منه حتى اللَّطْمَةُ » .

ويجىء الظالِمُ يومَ القيامة حتّى إذا كان على جَسْرِ جهنَّم بين الظُّلْمةِ والوَعِرَة لَقِيَه المظلومُ فعَرَفَه وعَرَف ما ظَلمه به فما يبرح الذين ظُلِمُوا يُقَصُّون من الَّذين ظَلَموا

(١) رواه الحـاكم .

حتى يَنْزِعُوا ما في أَيْدِيهم من الْحسَنَات ، فإن لم يَكُنْ لَهُمْ حَسنَاتٌ رُدَّ علَيْهم من سيِّئاتِهم حتَّى يُورَد الدرْكَ الأَسْفَلَ من النّار » .

ويأتى رجُلٌ فى ذلك اليوم بصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ ولٰكنَّه قد شتَم هٰذاَ وقَذَف هٰذا وأَكَلَ مالَ هٰذا وسَفَك دَمَ هٰذا وضَرَبَ هٰذا فيُعطَى هذا من حسَناته وهٰذا من حَسَناته فإن فَنِيتْ حسَناتُه قبل أن يُقضَى ما عَليه أُخِذ من خَطاياهم وطُرِحَتْ عليه ثم طُرِح فى النار . وذلٰك هو المُفْلِس .

ومن صُوَر الحساب الواقعةِ فى ذلك الْيوم « أن يَلْقَى العبدُ رَبَّه فيقول : أى فُلُ (أى يافلان) ألم أُكْرِمْك وأُسَوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْل والإبلَ وأذَرْك تَرْأس وَتَرْبَعُ ؟ (أى يأخذ ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه وهو ربع المغانم) . فيقول : بلىٰ يارب فيقول : أظَنَنْتَ أنك مُلاقِيَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإنّى أنْسَاك كما نَسِيْتَنِى ، ثم يَلقَى الثانى فيقولُ أى فُلُ ألم أكرمْك وأُسوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبلَ وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبع ؟ فيقول : بلىٰ ياربِّ . فيقول : أَظَنَنْتَ أنك مُلاقِيَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : إنى أنْسَاكَ كما نَسِيْتَنِى . ثم يَلْقَى الثّالِثُ فيقولُ : أى فُلُ ألم أُكْرِمْكَ وأُسوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخيْلَ والإبلَ وأذَرْكَ تَرْأسُ وترْبَعُ ؟ فيقول : بلىٰ يارب . فيقول : أظَنَنْتَ أنك مُلاقِيَّ ؟ فيقول : أيْ ربِّ آمَنْتُ بِكَ وبِكتابك وبِرُسُلك وَصلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ ويُثْنِى بخيرٍ ما اسْتَطَاع . فيقولُ : هٰهُنا إذًا . ثم يقولُ : الآن نَبْعَثُ شَاهِداً عليك . فيتفَكَّرُ فى نَفْسِه مَنْ ذاَ الذى يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فيُختَم عَلَى فِيْهِ ويُقَالُ لفَخِذِه : إنْطِقي ، فيَنْطِقُ فَخِذُه وَلَحْمُه وعِظَامُهُ بعَمَلِه وذلٰك لِيُعْذَرَ مِنْ نفسِه ، وذلٰك المنافق ، وذلك الذى يَسْخَطُ اللهُ عليه »(١) .

« ثم يُقامُ الصِراطُ على جهَنَّم فيكون النبى ﷺ هو أولَ من يَجُوز ولا يتكلُم يومئذ أحدٌ إلا الرُّسلُ ، وكَلَامُهم اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، فيَمرُّ المؤْمنون كطَرْفِ العَيْنِ

---

(١) رواه مسلـم .

وكالبَرْقِ وكالرِّيح وكالطَّيْرِ وكأجَاوِيدِ الْخَيْلِ (أى الحُصُنِ المُسْرِعَة) والرِّكاب ، فنَاجٍ مُسَلَّمٌ . ومَخْدُوشٌ (مَخْمُوشٌ ممزَّق) مرسَلٌ ، ومكدوشٌ (أى مَصْروعٌ) فى نار جهنم » .

« ثم يُؤْذَن للمؤمنين الناجين أن يَشْفَعُوا فى إخْوانِهم الذين سَقَطُوا فى جهنم فيقولون : رَبَّنا اخوانُنَا كانوا يَصُومُون معنَا ويُصَلُّون ويَحُجُّون ؟ فيقال لهم أخْرِجُوا مَنْ عرفْتُمْ ، فتُحَرَّم صُوَرُهم على النار فيُخْرِجون خَلْقاً كثيراً قد أَخَذتْ النارُ إلى نصف ساقِه وإلى رُكْبَتِه . ثم يقولُون : رَبَّنا ما بَقِي فيها ممَّنْ أمَرتَنَا به . فيُقال : إرْجِعُوا فمن وَجَدتُمْ فى قلبه مِثقالَ دينارٍ من خَيْرٍ فأُخْرِجُوه ، فيُخْرجون خَلْقاً كثيراً . ثم يقولون ربَّنا لم نَذَرْ فيها أحداً ممن أمرْتَنا . ثم يقولُ : ارجِعُوا فَمنْ وجَدْتُم فى قلبِه مِثقالَ نصفِ دينارٍ من خَيرٍ فأُخْرِجُوه فيُخْرِجون خَلقاً كثِيْراً ثم يقولون : ربَّنا لم نَذَرْ فيهَا ممنْ أمرتَنَا أحَداً .

ثم يقولُ : إرجِعُوا فمن وجَدْتُمْ فى قلبه مِثقالَ ذَرَّةٍ من خيرٍ فأُخْرِجُوه فيُخرِجُون خَلْقاً كثيراً . ثم يَقولُون : ربَّنا لم نَذَرْ فيها خيرْاً . فيقول الله عز وجل : شفَعتْ الملائكةُ وشَفَع النبيون ولم يَبْقَ إلا أَرْحمُ الراحَمين فيَقْبِض قَبْضَةً من النَّارِ فيُخْرِج منها قوماً من النارِ لم يَعْمَلُوا خيراً قط قد عَادُوا حُمماً فيُلْقِيهِمْ فى نَهْرٍ فى أَفْوَاهِ الجنة يُقال له : نَهْرُ الْحَياة فيَخرجُون كما تَخرُج الحَبَّةُ فى حَمِيْلِ السَّيْلِ . ألا تَرَوْنَها تَكُون إلى الحَجَر أو إلى الشَجَرِ ما يكون إلىٰ الشَّمسِ أُصَيْفِرَ وأُخَيْضِرَ (أى تميلُ إلى لَوْنِ الحَجر فى الصُّفْرةِ واللَّمعَانِ أو إلى الشَجَر فى الخُضْرَة) ، وما يكون منها إلى الظِلِّ يكون أبْيَضَ فقالُوا : يارسُولَ الله . كأنك كنتَ تَرْعَى بالبَادِية . قال : فَيخْرُجون كاللُؤلُؤِ فى رِقابهم الخَواتِيم يعَرِفُهم أهْلُ الجّنةِ . هؤلاء عُتَقاءُ الله الذين أدْخَلهم اللهُ الجنَّةَ بغَيْرِ عَملٍ عَمِلُوه ، ولا خيرٍ قَدَّمُوه ثم يقول : أدْخُلوا الجنة فما رَأَيْتُموه فهُوَ لكم . فيقولون : ربَّنا أعطيْتَنَا ما لم تُعْطِ أَحَداً من العالمين فيقول : لكُمْ عندِى أفضلُ من هٰذَا . فيقولون ياربَّنا أىُّ شيىءٍ أفْضَلُ من هٰذا ؟ فيقول : رِضَايَ فلا أسْخَطُ عليكُمْ أبداً »

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراط مما لم يُفَصَّلْ لأمة سابقة .

الحوض والميزان والصراط

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراط مما لم يفصَّلْ لأمة سابقة .

وأما الحوض فهو طويل جداً مسافةُ طوله نحو سير شهر بمركب مسرع ، ونواحيه واسعة متساوية . أطيب ريحا من المسك ، وأحلى من العسل وأبيض من اللبن ، وأبرد من الثلج من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، ولم يَسودَّ وجهه ، يجرى فيه ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق ، وأكوابه كعدد نجوم السماء ، وأهله من تمسك بشريعة سيدنا محمد ﷺ ولم يبدلوا ولم يغيروا ومن لم يتخذ عقيدة غير ما عليه النبى ﷺ وأصحابه . أما من غيّر أو بدّل فإنه يطرد عنه كالمرتد والمخالف لجماعة من المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة والظلمة الجائرين ، والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصى ، وأهل الزيغ والبدع والكفار .

وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، ورسول الله ﷺ على الحوض ينتظر من يرد عليه من الأمة .

« وأما الميزان فهو خلق عظيم من خلق الله لو وُزِنَتْ فِيْهِ السَّمٰوات والأرض لو سعت ، به ملك موكل فإذا جىء بابن آدم وقف بين كفتى الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ذلك الملك بصوت يُسمع الخلائق : سَعِدَ فلان سعادةً لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه نادى ذلك الملك بصوت يُسمع الخلائقَ : شقى فلان شقاوةً لا يسعد بعدها أبداً » .

وأما الصراط : فهو جسر ممدود على متنْ جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف مَدْحَضَة مَزَلَّةٌ (أى مزلقة) عليه كلاليب (أى خطاطيف من حديد) من نار يخْطَف بها ، فَمُمْسَك يهوى فيها ومصروع ، ومنهم من يمر كالبرق فلا يَنْشَبُ (أى يقع فيما لا مخلص له منه ولم يلبث) ذلك أن ينجو . ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى الفرس ، ثم كرمَل الرِّجْل . ثم كمشى الرِّجْل .

« وقد ذكرت السيدة عائشة رضى الله عنها النارَ فبكت . فقال رسول الله ﷺ : مايُبْكِيكِ ؟ فقالتْ : ذَكَرْتُ النّارَ فبكَيْتُ فهل تَذْكُرون أهْلِيكم يومَ

القيامة ؟ فقال : أمَّا فى ثلاثةِ مَواطنَ فلا يَذْكُر أحَدٌ أحَداً . عند الميزان حتى يَعْلَمَ أيخِفُّ ميزانُه أم يَثْقُل ؟ وعند تَطايُر الصُّحُف حتى يعلَم أين يَقَعُ كتابُه فى يَمينِه أم وَراء ظَهره ؟ وعند الصراط إذا وُضِع بين ظَهرَىْ جَهنَّم حتى يَجُوز »

وقد سأل أنس رسول الله ﷺ أن يَشْفَع لهُ فقال ﷺ : أنَا فاعِلٌ إن شاء الله يقول أنسٌ : قلتُ : فأيْنَ أطْلُبُك ؟ قال رسولُ الله ﷺ : أوَّلَ ما تَطْلُبُنى على الصِّراط . قال أنسٌ : قلت : فإن لَمْ ألْقَك على الصِّراط ؟ قال : فَاطْلُبْنى عندَ المِيزْانِ . قال : قلتُ : فإن لَمْ ألْقَكَ عندَ الميزانِ ؟ قال : فاطلبْني عند الحَوْضِ فإنى لا أُخْطِئُ هٰذِه الثَّلاثةَ مَواطِنَ .

اختصاص نبينا محمد ﷺ بالشفاعة العظمى

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن جعل نبينا محمداً ﷺ هو شافع ذلك الموقف .

« كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كنا مع النبى ﷺ فى دَعْوَة ، فرُفِع إليه الذِّرَاعُ ، وكانتْ تُعْجِبُه فنَهَس منْهَا نَهسةً وقال : أنا سَيِّدُ الناسِ يوْمَ القِيامة ، هل تَدْرُون مِمَّ ذاك ؟ يَجْمعُ الله الأوّلِين والآخِرين فى صَعِيْدٍ وَاحِدٍ فيُبْصِرهُم النّاظِرُ ويَسْمَعُهم الدَّاعِى وتَدْنُو مِنهم الشَمْسُ فَيبْلُغُ الناس من الغَمّ والكَرْبِ مَا لايُطِيقُون ولا يَحْتَمِلُون . فيقول الناسُ : ألَا تَرَوْنَ إلى ما أنْتُمْ فِيه ، وإلىٰ ما بلَغكُمْ ألَا تَنْظُرون مَنْ يشفَعُ لَكُم إلىٰ رَبِكُمْ ؟ فيقولُ بَعْضُ الناسِ إلىٰ بَعْضٍ ، أبُوكُم آدَمُ . فيأتُونَه فيقولُون : ياآدَمُ أنْتَ أبُو البَشر ، خلَقَك الله بيدِه . ونَفَخ فيكَ مِنْ رُوْحِه وأمَر الْملَائكةَ فسَجَدُوا لك ، وأسْكَنكَ الجنَّةَ . ألَا تَشْفَعُ لنا إلى رَبّك . ألَا تَرىٰ مَا نَحنُ فِيه وما بَلَغنا . فقال : إنّ ربى غَضِب اليَوْمَ غَضباً لم يَغْضَبْ قَبْله مِثْلَه ، ولَا يغْضَب بعدَه مِثْلَه ، وإنّه نَهانى عن الشَّجَرةِ فعَصَيْتُ نفْسِى نَفْسِى نَفسِى . إذْهَبُوا إلى غَيْرِى . اذهَبُوا إلىٰ نوحٍ . فيأْتُون نُوحاً فيَقُولُون : يانُوْحُ أنتَ أوَّلُ الرُسُلِ إلىٰ أهلِ الأرْضِ ، وقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عبداً شَكُوراً . ألَا تَرى

إلىٰ ما نَحنُ فيه ، أَلَا ترى إلى مَا بَلَغنا ، ألا تَشْفعُ لنا إلىٰ رَبك ؟ فيقولُ : إنَّ ربىّ غضِبَ اليومَ غَضَباً لَمْ يغضَبْ قَبْلَه مثْله ولن يَغضب بَعْدَه مثْله وإنّه قد كانَ لِي دَعْوَةٌ دَعوْتُ بها علىٰ قَوْمِي . نفْسِي نفْسِي نفْسِي . إذْهَبُوا إلىٰ غيْرِى إذْهَبُوا إلى إبراهيم . فيَأْتُون إبراهِيم فيقولُون : أنتَ نَبيُّ الله وخَلِيْله مِنْ أَهْلِ الأرْضِ إشْفَعْ لَنا إلى ربّك ألا تَرىَ إلىٰ ما نحْنُ فيهِ ؟ فيَقُولُ لَهم : إنَّ رَبِى قد غضِب الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَه ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مِثْلَه ، وإنّى كنتُ كذَبْتُ ثلاثَ كذَباتٍ فَذَكَرها . نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي إذْهَبُوا إلى غَيْرِى . إذهَبُوا إلىٰ مُوسٰى . فيَأْتُونَ مُوسٰى فيقولُون : يامُوسٰى أنت رَسولُ الله فضّلَك اللّٰهُ برِسَالاتِه وبكلامِه على الناسِ . إشْفَعْ لنَا إلى ربّكِ أمَا ترىٰ إلى ما نَحْنُ فيه . فيَقُولُ إن ربّى قد غَضِبَ اليومَ غضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَه مَثْلَه ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْده مِثْلَه ، وإنىّ قَدْ قتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بقتْلِها . نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي إذْهَبوُا إلىٰ غَيْرِى . إذْهَبُو إلى عِيْسٰى ، فيَأْتُونَ عِيسٰى فيَقُولُون : يَاعِيسٰى أنتَ رَسُوْلُ الله وكَلِمتُه أَلْقَاها إلىٰ مريَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وكلَّمْتَ النَّاسَ فى المَهْد . إشْفَعْ لَناَ إلىٰ رَبك . أَلَا تَرىٰ إلىٰ مَا نحْنُ فِيه ؟ فيَقُولُ عِيسٰى : إنّ رَبّي قد غَضِبَ اليومَ غضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَه ، ولن يَغْضَبَ بَعْدَه مِثله ، ولم يَذكُرْ ذَنْباً . نفسى نَفْسِي نَفْسِي إذْهَبوُا إلىٰ غَيْرِى . إذْهَبُوا إلىٰ محّمدٍ ﷺ فيأْتوننى فيَقُولُون : يامُحَمّدُ أنْتَ رسُولُ الله ، وخَاتَمُ الأَنْبياء ، وقَدْ غفرَ اللّٰهُ مَا تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تَأَخَّرَ . إشْفَعْ لنَاَ إلىٰ رَبكّ . ألا تَرىٰ إلىٰ ما نحْنُ فيه ؟ فانْطلِقُ فآتِى تَحْتَ العرش ، فأَقَعُ ساجداً لرَبّي ثم يَفْتَحُ اللّٰهُ علَيَّ من مَحَامِدهِ وحُسْنِ الثَّناءِ عَليهْ شيئاً لم يَفْتَحْهُ علىَ أحدٍ قَبْلِى ثمّ يُقَالُ يامحمدُ إرْفَعْ رأسَكَ سَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأَرْفَعُ رَأْسِى . فأقولُ : أمتى يارَبّ أُمّتى يَارَبّ أمتى يَارَبّ . فيُقَالُ : يامحمدُ أدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عليهم مِن الباب الأَيْمَنِ من أبوْابِ الْجَنَّةِ وهُمْ شُركَاءُ الناسِ فيما سِوىٰ ذٰلِك مِنَ الأَبْوَاب . ثم قال : والّذِى نفسِي بيدِه إنّ ما بَيْنَ الِمصْرَاعَيْنَ مِنْ مَصاريِعِ الجَنّةِ كما بَيْن مكةَ وهَجَرَ . أو كما بَيْنَ مَكّةَ وبُصْرٰى »[1] .

---

(١) رواه البخـارى ومسلـم .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوضَعُ للأنبياءِ مَنابِرُ من نُورٍ يَجْلِسُون علَيْها ويَبْقَى مِنْبَرِى لا أَجْلِسُ علَيْه . أو قالَ : لا أَقْعدُ علَيْه ، قائما بين يدَيْ ربِّى مَخافَةَ أن يُبْعَثَ بِى إلىٰ الجَنّةِ وتَبْقَى أُمّتِى بَعْدِى فأقُولُ : يارَبِّ أُمّتِى أمّتِى . فيَقُولُ اللهُ عزَّ وجل : يامُحَمّدُ ما تُرِيدُ أن أصنَعَ بأُمّتِك ؟ فأقُولُ : يارَبِّ عَجِّلْ حِسابَهُمْ . فيُدعٰى بِهِمْ فَيُحاسَبُون . فمِنْهُم مَنْ يَدخُل الجَنَّةَ برحْمَتِه ، ومِنهُم مَنْ يَدْخُل الجَنّةَ بشَفَاعَتِى . فما أَزَالُ أَشْفَعُ حتى أُعطَى صِكَاكاً برجالٍ قَدْ بُعِث بِهم إلىٰ النّارِ حتَّى إن مالِكاً خازِنَ النار لَيَقُولُ : يامحمّدُ ما تَرَكْتَ لغَضَبِ رَبِكّ فى أُمّتك من نِقمةٍ »[1] .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أشْفَعُ لأمّتِى حتى يُنادِيَنِى رَبِى تبارك وتَعالىٰ فيقولُ : أقَدْ رضِيتَ يامُحَمّدُ ؟ فأقُولُ : أيْ ربِّ قَدْ رَضِيتُ »[2] .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « خُيّرْتُ بَيْنَ الشَّفاعَةِ أو يَدْخُلَ نِصفُ أُمتّى الجنةَ فاخْتَرْتُ الشَّفاعَةَ لأنَّها أعَمُّ وأكْفى ، أمَا إنّها ليسَتْ للمؤُمنين والمُتقدّمِين (أى السلف الصالح) . ولكنّها للمُذْنِبين الخَطَّائِيْنَ المُتَلَوّثِيْنَ » .

النار وأحوال أهلها

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن وفّر حظها من العلم التفصيلي بالنار وأحوال أهلها ، وذلك بلسان النبوة الصادقة .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « جاء جبريلُ إلى النبى ﷺ فى حينٍ غيرِ حينِه الذى كان يَأتيه فيه فقَامَ إليه رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى فى البعث .
ومعنى . الصكاك . الكتاب .

(٢) رواه البزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

ياجِبْرِيلُ مالى أراك متغيرٌ اللَّون ؟ فقال : ما جِئتُك حتى أمرَ الله عزّ وجل بمَنافخ النار . فقال رسولُ الله ﷺ : ياجبريلُ صِفْ لي النار وانعَتْ لي جهَنَّم فقال جبريلُ : إن الله تبارك وتعالى أمَر بجهنم فأُوقِد عليها ألف عَامٍ حتى ابيضَّتْ ثم أمَر فأُوقِدَ عليها ألفَ عام حتى احمرَّتْ ثم أمر فأُوْقِدَ عليها ألفَ عام حتى اسودَّتْ . فهي سَوداءُ مظلمةٌ لا يُضِيء شَرَرُها ولا يُطفأُ لَهَبُهَا ، والذى بعثَك بالحقّ لو أنَّ قدْرَ ثَقْبِ إبرةٍ فُتِح مِن جهنَم لماتَ مَن فى الأرضِ كلُّهم جميعاً مِن حَرّه ، والذى بعثَك بالحقِّ لو أنّ خازناً مِن خزَنَةِ جهنَّم برز إلى أهلِ الدنيا لماتَ مَنْ فى الأرض كلُهم مِن قُبْحِ وجْهِه ومِن نَتْنِ رِيحِه ، والذى بعثَك بالحقّ لو أن حَلْقَةً من حِلَق سِلسِلَةِ أهلِ النارِ التى نعتَ الله فى كتابه وُضِعتْ على جبالِ الدنيا لاَرْفَضَّتْ (تَدَكْدَتْ) وما تَقَارَّتْ (أى لم يوجد لها قرار) حتى يُنتهَى إلى الأرضِ السُفلىٰ . فقال رسولُ الله ﷺ : حَسبِى ياجبريلُ لا يَنصدِعُ قلبى فأمُوتُ . قال : فنظَر رسول الله ﷺ إلىٰ جبريلَ وهُو يَبكى . فقال : تبكِي ياجبريل وأنتَ من الله بالمَكان الذى أنتَ به ؟ فقال : ومَا لِي لا أبكِي ؟ أنا أحَقُّ بالبكاء لَعَلّى أكونُ فى علمِ اللهِ على غيرِ الحالِ التى أنا علَيها وما أدرِى لَعَلّى أُبْتَلىٰ بما ابتُلِى به إبليسُ . فقد كان من الملائكةِ وما أدرى لعلى أُبتلَى بما ابتُلِى به هارُوت وماروتُ . قال : فبكَى رسول الله ﷺ ، وبَكى جبريلُ عليه السلام فما زالاَ يَبكِيان حتى نودِيَا أنْ ياجبريلُ ويامحمدُ إن الله عز وجل قد أمَّنَكُمَا أن تَعْصِياه . فَارْتَفَعَ جبريلُ عليه السلام وخَرج رسول الله ﷺ فمَرّ بقومٍ من الأنصار يَضْحَكُون ويَلْعبون فقال : أتَضْحَكون ووراءكم جهنَّمُ فلو تَعْلَمون ما أعلَمُ لضحِكْتُم قليلا ولبكَيْتُم كثيراً ولَما أسَغْتُمْ الطعامَ والشَّرابَ ولخرجتُمْ إلى الصَّعَدات (أى الطُرق) تَجْأَرُونْ إلى الله (أى تَلجؤن إليه وتتضرعون بإزالة كَرْبِه » [1] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤتَى بالنارِ يومَ

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

القيامة لها سبعون ألفَ زِمامٍ (أى ناحيةٍ أو جهةٍ أو ثَغرةٍ مفتُوحةٍ فيها) مع كُلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ ملكٍ يَجُرُّونَها » [١] .

« أما شدة حرها فقد قال ﷺ : نَارُكم هٰذه ما يوقِد بنو آدم جُزءٌ واحِدٌ من سبعين جزأً من نارِ جهنَّم قالوا واللهِ إنْ كانتْ لكافِيةً . قال : إنها فُضِلّتْ عليها بتسعةٍ وستين جُزأً كلُّهن مثلُ حَرِها » [٢] .

وفى رواية : « وضُرِبتْ بالبحرِ مرَّتين ولولا ذٰلك ما جعل الله فيها منفعةً لأحدٍ » [٣] .

وفى رواية : « أن رسول الله ﷺ قال : تَحسِبون أنَّ نارَ جهنم مِثلُ نارِكم هٰذه ؟ هِيَ أشدُّ سواداً من القَار ، هى جُزءٌ من بِضعةٍ وسِتّين جُزْأً منها أو نَيِّف وأربعينَ » [٤] .

وقال ﷺ : « ولو كان فى هٰذا المسجد مائةُ ألِفٍ أو يَزيدُون وفيهم رجُلٌ من أهلِ النار فتنفَّسَ فأصابهم نَفَسُه لاحترَقَ المسجدُ ومَن فيه » [٥] :

وفى جهنم وَادٍ من قَيحٍ ودمٍ يُسمى (مَوبِقة) وهو الذى ذكره المولٰى بقوله (وجعلنا بَينهم موبقاً) .

وفى جهنَم وادٍ تتعوّذ منه جهنم كُلَّ يوم سبعين مرة أعدّه الله تعالى للقُراءِ الْمُرائِيْنَ يُسمّى (جُبَّ الحَزَنِ) .

وفى جهم قصرٌ يقال له : هَوَى . يُرمَى الكافُر من أعلاه أربعين خَرِيفاً قبل أنَ يبلُغ أصلَه ، وهو المُشارُ إليه بقوله تعالى : ﴿ ومن يَحلِلْ عليه غضَبِى فقد هَوٰى ﴾ أى تردَّى وهلَك .

---

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى .

(٣) رواها أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

(٤) رواهـا البيهقى .

(٥) رواه أبو يعلى .

وفى جهم واد يُدعى (أثـامًا) فيه حَيّاتٌ وعَقاربُ إحداهن مقدارُ سبعين قلّة سُمٍّ ، والعَقربُ مِنهنّ مثلُ البَغْلة الموكَفَة (أى الضَخْمةِ السمينةٍ) تَلدَغ الرَّجُل ، ولا يُلهِيه ما يجد من حَرّ جهنم عن حَمْوَةِ لَدْغَتِهَا (أى مادّةِ سُمِّها) فهو لمن خُلِق له .

وفى جهنم سبعون داءً كُل داء مثُل جزءٍ من أجزاءِ جهنم وفى جهّنَم سبعون ألفَ وادٍ وفى كل وادٍ سَبعُون ألف شِعْبٍ فى كِلّ شِعبٍ سبعون ألفَ جُحرٍ وفى كل جُحرِ حَيّةٌ تأكُل وُجوهَ أهْلِ النّار .

وفى رواية : فى كلّ شِعبٍ سبعون ألفَ دارٍ . فى كل دار سبعون ألفَ بيتٍ . فى كل بيت سبعون ألفَ بئرٍ . فى كل بئر سبعون ألف ثُعبانٍ . فى شِدْقِ كلِ ثُعْبان سبعون ألفَ عَقرب لا يَنتهى الكافِرُ أو المنافِقُ حتى يواقِع ذٰلِك كلَه .

وإنّ فى النار حياتٍ كأمثالِ أعناقِ البُخْت (الابل) تَلْسع إحداهُنّ لَسْعَةً فيَجد حَرَّها سبعين خَريفاً .

وإن لجهنَّم لَجباَباً (أى آباراَ) فى كل جُبٍّ ساحِلا كساحِلِ البحر فيه هوامٌّ (أى حشرات) وحَيّاتٌ كالبُخاتِى وعقاربُ البغَالَ الذُلِّ .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن غَرْباً من جهنَم جُعل فى وسَط الأرض لأذىٰ نتنُ ريحِه وشِدَّةُ حَرّه ما بَين المشرِق والمغرِب ، ولو أنّ شَررَة من شَررِ جهنَّم بالمشرِق لوُجد حَرُّها من المغرب »[1] . والغرب بفتح الغين المعجمة واسكان الراء بعدها باء موحدة هى الدلو العظيمة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لمّا خلق اللهُ الجنةَ والنارَ أرسلَ جبريلَ إلى الجنّةِ . فقالَ : أنظرْ إليها وإلىٰ ما أعدَدْتُ لأهلِها فيها . قال : فجاءَ فنظَرَ إليها وإلىٰ ما أعدَّ اللهُ لأهلِها فيها . قال : فرجَع إليه قال : وعِزّتِكَ

(١) رواه الطبـرانى .

لا يَسمعُ بها أحَدٌ إلّا دَخلها . فأُمِر بها فحُفَّتْ بالمَكارِهِ . فقال : ارجِعْ إليها وانظُرْ إلىٰ ما أعددتُ لأهلِها فيها . قال : فرجَع إليها . فإذا هى قد حُفَّتْ بالمَكارِهِ فرجَع إليه فقال : وعِزّتِك لقد خِفْتُ أن لا يَدخُلَها أحدٌ . وقال : اذهَبْ إلى النار فانظُرْ إليها وإلىٰ ما أعْدَدْتُ لأَهْلِها فيها . قال : فنظَر إليها فإذا هى يَركَبُ بعضُها بعضاً . فرجَع إليه فقال : وعِزّتِك لا يَسمع بها أحدٌ فيدَخُلَها . فأُمِر بها فحُفَّتْ بالشَّهَواتِ . فقال ارجِعْ إليها . فرجَع إليها فقال : وعِزّتِك لقد خشِيتُ أن لَا ينجُوَ منها أحَدٌ إلّا دَخلها . »

وفى جهنم واد يسمى (ويل) يهوى الكافر فيه أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعرَه وفيها جبل من نار وهو الذى أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله (سأرهقه صَعوداً) يتصعّد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوى به كذلك أبداً .

وفى جهنم واد يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات يسمى (غيا) وهو الذى أشار إليه المولى جل شأنه بقوله : ﴿ فسوف يَلْقَوْنَ غياًّ ﴾ فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وقلوبهم وما شاء الله من ذلك فتَكْشِطُهاَ فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران ويُسلَّط عليهم الجربُ حتى إنَّ أحدهم لَيَحُكُّ جلده حتى يبدو العَظْمُ فيقال : يافلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم فيقال له : ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين .

أما شرابهم فالحميم . كما قال تعالى : ﴿ وسُقوا ماءً حَميماً فَقَطَّعَ أمعاءهم ﴾ وإنه لَيُصَبُّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فَيَسْلِت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان يسقون من ماء صديد . كما قال تعالى : ﴿ ويُسْقىٰ من ماءٍ صديدٍ يَتَجَرَّعهُ ﴾ يُقَرَّبُ إلى فيه فيكرهه فإذا أُدْنِى منه شَوَى وَجْهَه ووقعت فروة رأسه . فإذا شربه قطَّع أمعاءهم حتى يخرج من دبره كما قال تعالى ﴿ وسُقُوا ماءً حميماً فقطّع امعاءهم ﴾ وقال : ﴿ وإن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ ﴾ ولو أن دلوا من غساق يُهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا والحميم والغساق : هو ما يسيل من جلود أهل النار .

أما طعامهم فالزقوم : ولو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معائشهم فكيف بمن يكون طعامه .

ومن طعامهم شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج وهو ما ذكره تعالى بقوله : وطَعَاماً ذَاغُصَّةٍ .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يُلقَى على أهلِ النار الجُوعُ فيَعدِل ما هم فيه من العَذاب فَيسْتغِيثون فيُغاثون بطعامٍ من ضَريعٍ لا يُسْمِن ولا يُغنِى من جُوعٍ فيَستغيثون فيُغاثون بطعامٍ ذى غُصّةٍ فَيذكرون أنهم يُجيزون الغُصَص فى الدنيا بالشَّرابِ فيَستغِيثون بالشراب فيُدْفَع إليهم الحَمِيم بكَلاليبِ الحديدِ فإذا دَنتْ من وُجوههم شَوَتْ وُجوهَهم . فإذا دخَلتْ بطونَهم قطَعتْ ما فى بطونِهم فيقولُون : أُدعُوا خزَنَةَ جهنم فيقولون : «أَلَمْ تَكُ تأتيكم رُسُلكم بالبيناتِ . قالُوا بلى قالُوا فادعُوا وما دعاءُ الكافرين إلّا فى ضَلال) قال : فيقولون : أُدعوُا مالِكا فيقولُون : (يامالكُ لِيَقْضِ علينا ربُّك) قال : فيُجِيبهُم : إنكُم ماكِثون .

قال الأعمش : « نُبِّئْتُ أنَ بين دعائِهم وبين إجابة مالِكٍ إيَّاهم ألْفَ عام — قال : فيَقولُون : أُدعُوا ربكم فلا أحدَ خيرٌ منَ ربّكم فيقولون : (ربَّنا غَلبتْ علينا شِقْوَتُنا وكُناّ قوماً ضالِّين . ربنا أخرجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُون) قال : فيُجيبهُم : (اخسَئُوا فيهاَ ولا تُكلِّمُونَ) قال : فعند ذٰلك يَئِسوا من كلِّ خيرٍ ، وعند ذلك يأخُذون فى الزَّفير والحَسْرةِ والويلِ »[1] .

ويتفاوت أهل النار فى العذاب فأهونهم عذابا رجلٌ منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى كعبيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى ركبتيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد اغتمر (أى عم جميع جسمه) .

---

(١) رواه البيهقي والترمذى .

الزفير : تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ، والحسرة : تقطع الانفاس وزيادة الملل والضجر .

ويقول ﷺ فى الحديث : ياأيها الناسُ ابكوُا فإن لم تبكوُا فتباكَوْا . فإنّ أهلَ النارِ يَبكُون فى النار حتى تَسِيلَ دموعُهم فى خدُودِهم كأنّهاَ جداوِلُ (أى أنهارٌ) حتى تَنقطعَ الدمُوعُ فيَسِيل يعنى الدمَ فيُقرِح العُيونَ .

تعريف الأمة المحمدية بالجنة وأحوالها

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن وفَّرَ حظَّها من العلم الْمُفَصَّلِ عن الجنة وصفتها بلسان النبوة المطهرة . إذ أخبر ﷺ أنَّ أبوابَ الجنة ثمانيةٌ ولكلِّ أهلِ عَمِلٍ بابٌ من أبواب الجنة . يُدْعوْن منه بذلك العمل فللصائمين بابٌ خاص يسمى باب الريان . يَدخلُ منه الصائمون يوم القيامة لا يَدْخُل معهم غيرُهم . يقال : أين الصائمون . فيدخلون منه . فإذا دخل آخرهُم أُغلِق فلم يَدخل منه أحدٌ .

وهناك باب يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ : أين الذين كانوا يُديمون على صلاة الضحى ؟ هذا بابُكم فادخُلوا برحمة الله .

وهناك بابٌ خاص لا يَدخُل منه إلا من أطعم مؤمناً حتى يُشْبِعه لا يَدخُل معه إلا مَن كان مثله .

وهناك باب الصلاة . فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة .

وهذه الأبواب تفتح كلها لبعض أرباب الأعمال فى الدنيا فمن توضأ وأسبغ الوضوء ثم قال : اَشْهَدُ أنْ لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الخ ... فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء .

وفى رواية بزيادة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق .

ومن مات له ثلاثة من الولد دون البلوغ تتلقاه أولاده من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .

والمرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي من أي ابواب الجنة شئتِ .

ومن كان له ابنتان أو أختان أو عمتان أو خالتان وعالهن فتحت له ثمانية أبواب الجنة .

وقد أخرج مسلم عن عقبة بن غزوان قال : ذُكِرَ لنا أن ما بين المصراعَيْنِ من مَصاريع الجنة مَسِيرةُ أربعين سنةً ولَيأْتيَنَّ علَيه يَومٌ وهو كَظِيظٌ من الزحام .

وفى رواية يقول ﷺ : « والذى نفسُ مُحَمَّدٍ بيدهِ إنّ ما بين مِصْراعَيْنِ من مَصارِيعِ الجَنَّة لَكَما بَيْنَ مكَّةَ وهَجَر . أوْ كما بَيْنَ مكَّةَ وبُصْرىٰ .

يقول قتادة رضى الله عنه : هى أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها : انفتحِى انغلقى .

وقد أخبرنا ﷺ بما تلاه علينا من القرآن الكريم فى كثير من آياته — عن الجنة وأوصافها العامة . فأخبرنا أنه جنة المأوى ودار الخلد ودار السلام ، وفيها الروح والريحان والنعيم المقيم ، وأن عرضها السموات والأرض وهى معدة مهيأة للمتقين مفتحة لهم الأبواب .

وكذلك تحدث ﷺ عن الجنة وأوصافها العامة فى كثير من الأحاديث النبوية والقدسية وأقسم برب الكعبة أنها نُورٌ يَتَلأْلأ ورَيْحانٌ وقصرٌ مَشِيْدٌ ونَهْرٌ مطّردٌ وثمرةٌ نَضِيجةٌ وزَوجةٌ حَسناءُ جميلة وحُلَلٌ كثيرةٌ ومُقَامٌ فى أبدٍ فى دارٍ سليمة وفاكِهةٌ وخَضِرةٌ وحَبرة ونعمةٌ فى محلة عاليةٍ بَهيَّةٍ لا تقاس بالدنيا بما فيها . فأقلّ شىء فى الجنة هو أعظم من أعظم شىء فى الدنيا . بل إن موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وإن قاب قوس واحد من أهل الجنة فيها خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ولو أن رجلا من أهل الجنة طلع فبدت زينته وحليته وأساوره لَطمس ذلك ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ولا يَستطيع العقل البشرى مهما اتسعت مداركه وآفاقه العلمية أن يتصور حقيقة ما فى تلك الدار من أنواع النِعَم وموائد الكرم ولذة النعيم ومتعة النظر إلى الوجه الكريم ولطائف الأنس فى حظيرة القدس ، لأن الله تعالى نفى وجود العلم الكامل التام بحقيقة ما فى ذلك المقام ، فقال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُم مِنْ قُرَّة أَعْيُن ﴾ . وهذا هو الذى أشار إليه النبى ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله : « أَعْدَدْتُ لِعبادِى الصالحين ماَ لا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلْبِ بشَرٍ » .

ولذلك فإن الانسان إذا رأى ذلك النعيم وانغمس فيما أعده الله له من خير ومقام وانصبغ فى الجنة صبغة يمتلىء قلبه ونفسه بالبهجة والحبور والفرح والسرور وينسى ما كان فيه فى الدنيا من بؤس وشدة وتعب وضنك حتى انه ليقال له : ياابنَ آدمَ هل رَأَيْتَ بُؤْساً ؟ هل مَرَّ بِكَ شِدّةٌ ؟ فيقول : لا واللهِ يارَبِّ ما مَرّ بِى بُؤْسٌ قطّ ولا رَأَيْتُ شِدّةً قط .

ففى هذا السبيل تبذل المهج وتباع الأنفس ويتسابق المجدون ولأجل هذه السلعة الغالية يسارع المؤمنون معتقدين أن من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ،

وإن المنزل هو سلعة الله الغالية ، وإن سلعة الله هى الجنة فلا يصل إلا الموفق المحفوظ والمؤيد الملحوظ الذى لا تغره الشهوات المحيطة بالنار ولا تضره المكاره التى حفت بالجنة .

لأن الله تعالى لما خَلق الجَنَّةَ قال لجبريل : إذْهَبْ إليها فذهَبَ فنظَرَ إلَيْها فقال : أيْ ربِّ وعِزَّتكَ لا يَسْمعُ بها أحَدٌ إلا دَخلها ثم حَفَّها بالمَكارِهِ . ثم قال : ياجِبريلُ إذهَبْ فانْظُرْ إليها فذهب فنَظَر إليها ثم جاءَ فقال : أى ربِّ لقَدْ خَشِيتُ أنْ لا يَدخُلهَا أحَدٌ فلما خلَق اللهُ النّارَ قال ياجِبريلُ إذهَبْ فانظُرْ إليها فذهبَ فنَظَر إليْهاَ ثم جاءَ فقال : أيْ ربّ وعزتِك لا يَسمع بها أحدٌ فيَدْخُلها فحَفَّها بالشَّهَوَاتِ ثم قال : ياجِبرْيلُ إذهَبْ فانظُرْ إلَيْها فذَهَب فنظَرَ إليْها فقالَ : أىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لقَدْ خَشِيتُ أن لَا يَبْقَى أَحَدٌ إلّا دَخَلها .

ولَمّا خلق اللهُ تعالى الجنة ودَلَّى فيها ثِمارَها وشقَّ فيها أنْهارها نظر إليه فقال لها : تكَلَّمِى فقالتْ : طُوبَى لِمَنْ رَضِيْتَ عليَه قد أَفْلَحَ المُؤْمِنون فقال : وعِزَّتِي وجَلَالى لا يُجاوِرُنى فيك بخيلٌ ، فلا يَصِلُ إليها بسلام وأمان إلا المُفْلِحون ولا يُفْلِحُ إلّا المؤمِنُون الَّذين رضِىَ اللهُ عنهم ورَضُوا عَنْه .

ولما كان الانعام والإكرام الأخروى فى الجنة متفاوتا لاختلاف أعمال الناس اقتضى ذلك أن تكون منازلهم فى الجنة أيضا على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة ليظهر فضل الفاضل وسبق الكامل وجهد العامل .

وأعلى هذه الدرجات وأعظمها هى الفردوس .

فالفردوس أعلاها درجة وفوقه عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة .

ولذا فقد أمرنا رسول الله ﷺ إذا سألْنَا الجنة أن نسألَ اللّه الفردوسَ ، وبيَّنَ

لنا سبيلَ إدراكِ أعلى هذه الدرجاتِ وطريقَ الوُصُول إلى أشْرفها وأبوابَ الإرْتِقاءِ فيها وهى :

إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة .

ومن تلك الأبواب — الجهاد فى سبيل الله وحفظ القرآن مع ملازمة تلاوته واسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وإكثار من ذكر الله وكلمة طيبة ترضى الله ورسوله يتكلم بها الرجل من رضوان الله لا يلقى لها بالا ، وصبر جميل على بلاء مكروه عظيم وشفاعة حسنة عند ذى سلطان فى دفع مكروه أو مبلغ بر وعفو عمن ظلم وإعطاء لمن حرم ووصل لمن قطع ، وقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الناس بدرجات معينة لا ينالها غيرهم ولا يدركها إلا من عمل بعملهم ، فهناك درجات مخصوصة لا ينالها إلا أرباب الهموم والتفكير فى السعى على العيال بالحلال .

وان العبد ليرفع بصره وهو فى الجنة فيلمع له برق فيتعجب الناظر ويأخذه الفزع من ذلك اللامع الذى كاد يخطف بصره ويقول ما هذا ؟ فيقال : هذا نور أخيك فلان ، فيرى نوره أعظم من نوره ودرجته أعلى من درجته فيقول : أخى فلان كنا نعمل فى الدنيا جميعا فكيف قد فضل علي هكذا ؟ فيقال له : إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل فى قلبه الرضا حتى يرضى .

وإن الرجل وعبده يدخلان الجنة فيكون عبده أرفع درجة منه فيقول : يارب هذا كان عبدى فى الدنيا فيقال : إنه كان أكثر ذكراً لله منك .

ولهذه الأمة باب مختص يدخلون منه دون سائر الأمم يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : إنّ أبوابَ الجنة هكذا بَعضُها فوْقَ بعضٍ ، ثم قرأ ﴿ حَتَّى إذا جَاءُوها وفُتِحتْ أبْوابُها ﴾ إذا هُم عندها بشجَرةٍ فى أصلِها عينان تجرِيان فيشربون من إحداهما فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم

قرأ ﴿ طِبْتُم فَادْخُلُوها خالِدِين ﴾ فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ، ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول : أنت رأيته ؟ فتقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء إلى سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر . ثم يرفع رأسه إلى سمك بيته ، فلولا أنه خلق له لألْتَمع بصره . فيقول ﴿ الحمدُ للهِ الّذى هَدٰنا لهٰذَا وما كُنّا لِنَهْتَدِىَ لولَا أنْ هَدَانا الله ﴾ وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ جَنّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحةً لَهُمْ الأَبْوَابُ متكِئِينَ فيها يَدْعُونَ فيها بفاكهةٍ كَثِيرةٍ وشَرَابِ ﴾ معنى بديع ورائع ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها . كما قال الله تعالى : ﴿ إنّها عليهم مُؤْصَدَةٌ ﴾ أى مطبقة مغلقة ومنه سمى الباب وصيداً ، وهى مؤصدة ﴿ فى عَمَدٍ ممَدَّدَة » قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الابد .

وأيضا فإن فى تفتيح الأبواب له إشارةً إلى تصريفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤا ودخول الملائكة عليهم فى كل وقت بالتحف والألطاف ودخول ما يسرهم عليهم فى كل وقت .

وأيضا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا . قال فيه : ولما كانت درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنة التى تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت فعاليها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة .

ولعل هذا وجه الخلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب . فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

وقد تحدث ﷺ عن صفة دخول أهل الجنة الجنة فقال : « والذى نفسى بيده إنّهم إذا خرجُوا من قُبورهم استُقبلوا بنُوقٍ بِيْضٍ لَهَا أجْنِحةٌ عليها رِحَالُ الذَّهب ، شُرُكُ نِعالِهم نُورٌ يتلألأُ كُلُّ خَطْوَةٍ منها مِثْلُ مَدِّ الْبصَر ، وينْتهُون إلى بابِ الجنّة فإذَا حَلْقَةٌ من يَاقُوتَةٍ حَمْراءَ على صَفَائحِ الذَّهَب ، وإذَا شَجَرةٌ عَلى باب الجنة يَنْبع مِنْ أصْلِها عَيْنَانِ فإذَا شَرِبُوا من أحَدِهما جَرَتْ فى وُجُوهِهِمْ بنَضْرةِ النَّعِيم وإذا تَوَضَّؤُوا من الأُخْرىٰ لَمْ تَشْعَثْ أشْعَارُهُم أبَداً فيَضرِبُون الحَلْقَة بالصَّفِيحة (فلو سَمِعتَ طَنينَ الحَلْقَةِ ياعليُّ) فيَبْلُغ كُلَّ حَوْرَاءَ أنَّ زَوْجَها قد أقْبَل فتَسْتَخِفُّهَا العَجَلة فتَبْعَثُ قَيِّمَهَا (أى خَادِمَها والقائم بَأمْرِها) فَيَفْتَحُ لهُ البابَ ، فلولَا أنّ الله عز وجل عَرَّفَهُ نفسَه لَخَرَّلَهُ سَاجِداً مِمّا يُرىٰ من النُّورِ وَالْبَهاءِ . فَيَقُول : أنا قَيِّمُكَ الّذى وُكِلْتُ بأمْرِك فَيَتْبَعهُ فَيَقْفُو أثَرَهُ فَيَأْتِى زَوْجَته فَتَسْتَخِفُّهاَ العَجَلَةُ فَتَخْرُجُ مِنَ الْخَيْمَةِ فَتُعَانِقُه وتَقُولُ : أنْتَ حِبِّي وأنَا حِبُّك ، وأنَا الرَّاضِيَةُ فلَا أسْخَطُ أبَداً . وأنا الناعِمةُ فلَا أبْأسُ أبداً ، وأنَا الْخَالِدَةُ فَلَا أَظْعَنُ أبَداً فَيَدْخلُ بَيْتاً مِنْ أسَاسِهِ إلىٰ سَقْفِهِ مِائَةُ ألِفِ ذِراعٍ مبنىٌّ على جَنْدَل اللُّؤلُؤ والياقوت طَرائِقُ حُمْرٌ ، وطَرَائقُ خُضْرٌ ، وطَرائِق صُفْرٌ . ما مِنْها طَرِيْقَةٌ تُشَاكِلُ صَاحِبَتَها فَيَأْتِى الأَرِيكَة (ما يتكأ عليه من فراشٍ وَثير) فإذَا عَليها سَرِيْرٌ عَلى السَّرير سَبْعُون فِراشاً . عَلىٰ كِلّ فراشٍ سبعون زوجةً . عَلَى كلّ زوجةٍ سَبْعُون حُلّةً . يُرىٰ مُخُّ سَاقِها مِنْ باطِن الحُلَلِ . يَمضى جماعُهُنّ فى مقدارِ لَيْلةٍ تَجْرِى مِنْ تحتِهم أنهارٌ مطَّرِدَةٌ . أنْهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ (أى لم يتغير طعمه وريحه) صافٍ لَيْسَ فيه كَدَرٌ ، وأنْهارٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى لم يَخْرُج مِنْ بُطون النَّحْلِ وأنْهَارٌ مِنْ خَمْرةٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبين لم تَعْصِرْه الرجَال بأقْدامِها ، وأنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتغَيَّر طَعْمُه لَم يَخْرُجْ من بُطُونِ الْمَاشِية . فإذا اشْتَهَوْا الطَعامَ جاءتْهُم طَيْرٌ بِيْضٌ فترفَعُ أجْنِحَتَها فَيأْكلون من جُنُوبِها من أيِّ الألْوانِ شاءُوا ثم تَطِيْرُ فَتَذْهَبُ ، وفِيهاَ ثِمارٌ مُتَدَلِّيَةٌ إذَا اشتَهَوْهَا انْبعثَ الغُصْنُ إلَيهِمْ فيأْكلُون مِنْ أيّ الثمارِ شَاءوُا إن شاءَ قائماً وإن شاء مُتّكئاً ، وذلك قولُه تعالىٰ : ﴿ وَجَنَا الجَّنتَيْنِ دانٍ ﴾ وبَينْ أيديهم خُدَّمٌ كاللُّؤلُؤ »

ويَدخُل أهلُ الجَنة الجنةَ جُرْداً مُرْداً مكَحَّلين بَنِى ثلاثٍ وثلاثِين لَا يُفنَى شَبابُهم

ولَا تَبْلىٰ ثِيابُهُم لَا يبْزُقون فيها ولَا يَبُولُون ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يتَغَوَّطُون آنيتُهم الذَّهَب ، ورَشْحُهم المِسْكُ ، ومَجامِرهُم الألُوَّةُ .

« أمّا أدْنَاهم منزلةً فيها فرجلٌ كان مُخَلِّطًا فى الدنيا يمر على الصراط وهو يحبو على وجهه ويديه ورجليه تَخِرُّ يَدٌ (أى تسقط) وتُعلَّقُ يَدٌ وتَخِرّ رِجلٌ وتُعلَّق رِجلٌ وتُصِيبُ جوانِبَه النَّارُ . فلا يَزال كذلك حتى يَخْلُصَ . فإذا خَلَص وقَفَ عليها فقال : الحمد للهِ الذى أعْطانِى ما لم يُعْطِ أحداً إذنَجَّانِى مِنْهَا بعد إذْ رأيتُهَا . قال فَيَنطَلِقُ بِه إلى غَدِيرِ (أى نهرٍ) عِنْد بابِ الجنةِ فيَغْتَسِل ، فيَعُود إليه رِيحُ أُهلِ الجنَّة وألْوانُهم فيرَى ما فى الجنّةِ من خَلَلِ البابِ . فيقَولُ رَبِّ أدْخِلنِى الجَنّةَ فيقولُ : له أتَسألُ الجَنَّةَ وقَدْ نَجّيْتُكَ مِن النَار ؟ فيقولُ : ربِّ اجْعَلْ بَيْنِي وبَيْنَها حِجَاباً لا أسْمعُ حسيسها . قال : فَيدْخُل الجنَّة ويَرى أو يُرفَع له مَنزِلٌ أمام ذَلك كأنَّ ما هو فيه إليه حُلْمٌ (أى رؤيا فى المنام) فيقول : رَبِّ أعْطِنى ذَلك المَنْزِلَ . فيَقولُ : لَعلَّك إن أعْطَيْتُكه تَسْألُ غيْرَه فيقولُ : لَا وعِزَتِكَ لا أسألُكَ غْيرَه وأىُّ مَنْزِلٍ أحسَنُ منه ؟ فيُعْطَاه فيَنْزِلُه ، ويَرَى أمَامَ ذلَك مَنْزِلًا كأنَّ مَاهُو فيه حُلْمٌ قالَ : ربِّ أعْطِنى ذلكَ الْمَنزِلَ فيَقُولُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ له : فَلعَلَّك إن أَعْطَيْتُكه تَسْألُ غَيرَه ؟ فيقولُ : لا وعِزَتِك يارَبِّ . وأىُّ مَنْزِلٍ أحْسَنُ منه ؟ فيُعْطَاه فَينزِلُه ثم يَسْكُت فيَقولُ اللهُ جَلّ ذِكْرُه : مالَكَ لَا تسْألُ ؟ فيقولُ : ربِّ قد سَألْتُكَ حتَّى استَحييْتُكَ وأقسَمْتُ حَتّى اسْتَحْيَيْتُكَ . فيَقُولُ اللهُ جلَّ ذكْرُهُ : ألم تَرْضَ أن أُعطِيك مثلَ الدنيا مُنْذ خلَقْتُها إلىٰ يومَ أفنيتُها وعشرةَ أضْعافِه ؟ فيقول : أتهْزَأُ بى وأنتَ ربُّ العزّة ؟ فيَضحك الربُّ تبارَك وتعالىٰ من قوله قال : فَرأيتُ عبدَ اللهِ بن مسعود إذا بلغَ هٰذا المكاَن من هذا الحديثِ ضَحِك حتى تبدُوَ أضْراسُه ، قال : فيقول الربُّ جلَّ ذكرُهُ : لا ولكنّى علىٰ ذلك قادرٌ . سَلْ . فيقول : ألحِقْنى بالنّاس . فيقولُ الحَقْ بالناس . فينطلق يَرمُل فى الجنةِ حتى إذا دنا من الناسِ رُفع له قَصرٌ من درة فيَخِرّ ساجداً فيقال له : ارفَعْ رأْسك . مالَك ؟ فيقول : رأيتُ ربى أو تَراءىٰ لي رَبىّ فيقالُ : إنما هو مَنزلٌ من مَنازِلك . قال : ثم يَلْقَى رجلًا فيتَهيَّأُ للسُجودِ له فيُقالُ له : مَهْ . فيقول : رأيتُ أنّك مَلكٌ من المَلائكة . فيقولُ : إنما أنا خازِنٌ من خُزّانِك وعبدٌ من عَبيدك تحت

يَديَّ ألفُ قَهرْمَانٍ على ما أنَا عليه قال فيَنطلِق أمامَه حتى يُفتَح له القصرُ قال : وهو من دُرَّةٍ مجوَّفةٍ سَقائفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومَفَاتِيْحُها منها تَستقبِله جَوهرةٌ خضراءُ مُبطّنةٌ بحمراءَ فيها سبعون باباً . كلُّ بابٍ يُفضِى إلى جَوهرةٍ خضراءَ مُبطّنةٍ . كلُّ جوهرةٍ تُفْضى إلى جَوْهرةٍ على غيرِ لون الأُخْرىٰ فى كلّ جوهرةٍ سُرُرٌ وأزواجٌ ووصائفُ (أى إماءٌ) أدناهن حَوْراءُ عَيناءُ عليها سبعون حُلَّةً يُرىٰ مُخُّ ساقِها من وراءِ حُلَلِها كَبدُها مِرآتُه وكَبدُه مِرْآتُها إذا أعْرَض عنها إعراضةً ازدادَتْ فى عيْنِه سبعين ضِعفاً . فيقال له أشْرِفْ . فَيُشْرِفُ فيقال له : مُلكك مَسيرةُ مِائةِ عامٍ يَنفذُهُ بَصرُك قال : فقال عُمر : ألا تَسْمَعُ ما يُحّدِثنا ابنُ أمِ عبدٍ ياكعبُ عن أدنىٰ أهل الجنةِ مَنزِلًا فكيف أعْلاهم ؟ قال : ياأميرَ المؤمنين . ما لاعَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ . إن الله جلّ ذِكرُه خَلَق دَاراً جَعَل فيها ما شَاءَ من الأَزواج والثمراتِ والأشرِبَةِ ثم أطْبَقها فلم يَرها أحدٌ من خَلقِه لا جبريلُ ولا غَيرُه من الملائكة ثم قَرأ كعبٌ : ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِىَ لهم من قُرّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يَعمَلون ﴾ قال : وخلقَ دُون ذلك جنّتين وزيَّنَهما بما شاءَ وأراهما مَن شاء مِن خَلقِه ثم قال : من كاَن كتابُه فى عِلِّيِّيْنَ نَزلَ فى تلك الدارِ التى لم يَرها أحدٌ حتى إن الرجُلَ من أهلِ عليين لَيَخْرُجُ فيَسيرُ فى مُلْكِهِ فلا تَبقى خَيمةٌ من خِيَم الجنةِ إلّا دخَلها من ضَوءِ وَجهِه فيَستبشِرون بريحِه . فيقولون : وَاهاً (أى عجبا) لهذا الريح . هذا ريحُ رجلٍ من أهل عِلِّيِّيْنَ قد خَرج يَسِيرُ فى مُلكِه قال : وَيْحَك ياكعبُ إنّ هٰذه القلوبَ قد استَرْسلَتْ فاقبِضْها . فقال كعبٌ : إنّ لجهنّم يومَ القيامة لَزَفْرةً (أى نفسا) مامِن مَلَكٍ مقرَّب ولا نبىٍّ مرسَل إلا خَرَّ لِرُكْبَتَيْهَ . حتى إنّ إبراهيمَ خليلَ الله لَيقولُ : رَبِّ نفسِى نفسِى . حتى لو كان لكَ عَملُ سبعين نبياً إلى عملِك لظننتَ أن لا تَنجُو »[1] .

وأما غناء حور العين فقد جاء فى الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أزواجَ أهلِ الجنة لَيُغَنِّيْنَ أزواجَهُن بأحسنِ أصواتٍ ما سَمِعها أحَدٌ قط . إن مما يُغَنِّيْنَ به (نحنُ الخَيراتُ الحِسان .. أزواجُ قومٍ

---

(١) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى والحاكم .

كِرامٍ .. يَنظُرون بقُرَّة أعيان) . وإنّ مما يغنّين به : (نحنُ الخَالِداتُ فلا نَمُتْنَهْ .. نحن الآمِنات فلا نَخَفْنَهْ .. نحن المُقِيماتُ فلا نَظْعَنَهْ) »[1] .

ســـوق الجنـــة

عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم . أخبرنى رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة إذا دَخلوا نزَلوا فيها بفضلِ أعمالهم فيُؤذَن لهم فى مِقدارِ يومِ الجمعة من أيامِ الدنيا فَيزُورون الله ويُبْرِزُ لهم عَرشَه ويَتبدّى له فى رَوضةٍ من رياض الجنة . فتُوضَع لهم منابرُ من نُورٍ ومنابِرُ من لُؤلُؤٍ ومنابرُ من ياقوتٍ ، ومَنابرُ من زَبَرْجَدٍ ، ومَنَابِرُ من ذهبٍ ومَنابُر من فضةٍ ، ويَجْلِسُ أدناهم وما فيهم دنِيٌّ على كُثْبانِ المِسك والكافور (أى على القِطَع المجتمعة الكبيرة مثل كثيبِ الرَمل)ما يَرْوْن أنّ أصحابَ الكراسِيِّ أفضلُ منهم مجلِساً . قال أبو هريرة : قلت يارسول الله هل نرىَ ربَّنا ؟ قال : نعمْ هل تَتمارُوْن فى رُؤيةِ الشمسِ والقمر ليلةَ البدرِ ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك لاتَتمارون فى رُؤيةِ ربكم عزّ وجل ولا يَبقى فى ذلك المجلس أحَدٌ إلا حاضَره الله (كلّمه) محاضَرةً . حتى إنّه ليقول للرجل منكم : ألا تَذكُر يافلان يومَ عملتَ كذا وكذا ؟ يُذَكِّرُه بعضَ غَدراته فى الدنيا (أى هفواتِه وعصيانِه) . فيقول : ياربِّ أفلم تغفر لى ؟ فيقولُ : بلى فبِسَعَةِ مغفرتى بلَغتَ منزلتَك هٰذه . فبينما هم كذلك غشِيَتْهم سحابةٌ من فَوقهم فأمطَرتْ عليهم طِيباً لم يجدوُا مثلَ ريحِه شيْئاً قطّ . ثم يقولُ ربُّنا تباركَ وتعالىٰ : قُومُوا إلى ما أعددتُ لكم من الكَرامةِ فخذُوا ما اشتَهيتُمْ قال : فنَأتي سُوقاً قد حَفَّت به الملائكةُ فيه ما لم تَنظُر العُيونُ إلى مِثله ، ولم تَسمعْ الآذانُ ، ولم يَخْطُرْ على القلوب قال : فَيُحْمَلُ لنا ما اشتَهْينا ليس يُباع فيه شىءٌ ولا يُشتَرى ، وفى ذلك السوقِ يَلقَى أهلُ الجنَّةِ بَعضُهم بعضاً قال : فيُقْبِل الرَجلُ ذُو المنزلةِ المُرتفعةِ فيَلقَى مَن دُونَه وما فيهم دَنِىٌّ فيرُوْعُه (أى يُزعِجه) ما يَرى عليه

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

من اللباسِ فما يَنقضى آخِر حديثِهِ حتى يَتمثَّل عليه أحسنُ منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحدٍ أن يحزن فيها . قال : ثم نَنْصرِف إلى مَنازِلنا فتتَلقَّانا أزواجُنا فيقُلْن مرحباً وأهلًا لقدْ جِئتَ ، وإنّ بك من الجمال والطيب أفضلَ مما فارقتَنا عليه . فيقولُ : إنا جالَسنا اليوم ربَّنا الجبارَ عز وجل ، ويحقنا أن نَنْقلِب بمثل ما انقلَبنا »[1] .

ومن نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب (أى الجمال الطوال الأعناق) وانهم يُؤتون فى الجنة بِخيل مُسْرَجة ملجمة لا تَروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ فيشتَاق الإخوانُ بَعضُهم إلى بعضٍ فيَسير سَريرُ هٰذا إلى سَريرِ هٰذا وسَرِيرُ هٰذا إلى سريرِ هٰذا حتى يجتمعاَ فيتّكىءُ هٰذا ويتكىءُ هٰذا فيقول أحَدهُما لصاحِبه : أتَعلمُ متى غفَر الله لنا ؟ فيقولُ صاحبُه : نعمْ يومَ كُنّا فى موضع كذا وكذا فدعَونا اللّهَ فَغَفر لنا »[2] .

« وعن عبد الرحمن بن ساعدة رضى الله تعالى عنه قال : كنت أُحبّ الخَيلَ فقلتُ يارسول الله هل فى الجنةِ خيلٌ ، فقال . إنْ أدْخَلك الله الجنةَ ياعبدَ الرحمن كان لك فيها فرسٌ من ياقوتٍ له جنَاحان تَطِيرُ حيث شِئتَ »[3] .

رؤية رب العالمين

ومن نعيم أهل الجنة أنهم يتشرفون بزيارة الحق سبحانه وتعالى يأتيهم ملك فيناديْهم ويقول : ان الله يأمُركم أن تزُورُوه ، فيَجتمعون . فيأمر الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام . فيَرفع صوتَه بالتسبيح والتهليل ثم تُوضع مائِدةُ الخُلدِ قالُوا يارسولَ الله : وما مائِدةُ الخُلدِ ؟ قال : زاوِيةٌ من زوَاياها أوسَعُ مما بين المَشرِق والمَغربِ

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والبزار .

(٣) رواه الطبرانى ورواته ثقات .

فيُطْعَمُون ثم يُسقَون ثم يُكسَون فيقولُون لم يَبق إلّا النّظرُ فى وجهِ ربنّا عزَّ وجل ، فيتَجلَّى لَهُم فيَخِرُّون سُجّداً فقال لَستُمْ فى دارِ عملٍ ، إنّما أنتُم فى دارِ جَزاءٍ »[١] .

فلما تجلى لهم الحق تعالى فى عَظمتِه العظيمة قالوا : ربَّنا أنت السلام ومنك السلام ولك حقُ الجَلالِ والإكرامِ . فقال لهم ربُّهم : إنى أنا السلامُ ومِنّى السلام ولي حقُّ الجَلَال والإكرام فمرحباً بعبادى الذين حَفِظوا وَصِيَّتى ورعَوْا عَهدِى وخافُونِي بالغَيب وكانُوا منّي على كلِ حالٍ مُشْفِقين . قالوا : أمَا وَعزّتِك وجلالِك وعلوّ مكانِك ما قَدَرْناك حق قدرِك ولا أدَّينا إليك كلَّ حقِك فَأْذَن لنا بالسُجود لك ؟ فقال لهم ربُهم تبارك وتعالىٰ : إنى قد وضعتُ عنكم مُؤنةَ العبادةِ وأرَحتُ لكم أبدانكَم فطالَما أنصبتُم (أتعبتم) الأبدانَ وأعنَيْتم الوجُوهَ فالآن أفضَيتُم إلى رَوْحي ورَحمتى وكرَامتِى . فسَلُونى ماشئتُم وتَمنُّوا علَيّ أُعْطِكُمْ أمانِيَكم . فإنى لن أجزيَكم اليومَ بقدرِ أعمالِكم ولكنْ بقَدرِ رَحمتِى وكرامتِى وطَوْلى وجَلالى وعُلوّ مَكانى وعظمةِ شأنِى . فما يَزالون فى الأَماني والمواهب والعَطايا . حتى إنّ المُقَصِّرَ منهم ليتمنَّى مثلَ جميعِ الدنيا منذُ يومَ خَلقَها الله عز وجل إلى يومَ أفْناها . قال رَبُّهم : لقد قَصَّرتُم فى أمانِيكم ورضِيتُم بدُونِ ما يَحِقّ لكم . فقدْ أوجبتُ لكم ما سألتُم وتَمنّيتُم وزدتُكم على ما قصُرتْ عنه أمانِيكم فانظُروا إلى مواهبِ رَبِّكُمْ الذى وهَبَ لكم . فإذا بقِبابٍ فى الرَّفيعِ الأعلىٰ وغُرَفٍ مَبنيّةٍ من الدُرِّ والمَرجان أبوابُها من ذهبٍ وسُرُرُها من ياقُوتٍ وفُرشُها من سُنْدُسٍ وإستَبْرَقٍ ومَنابُرها من نورٍ . يَثُور (ينتشر) من أبوابِها وأعراضِها نورٌ كشُعاعِ الشمسِ مثلُ الكوكب الدُّرِّيِّ فى النَّهار المُضيِءِ وإذا قُصُورٌ شامِخةٌ فى أعلىٰ عِلِيّينَ من الياقُوتِ يَزْهَرُ نُورُها فلولا أنّه سُخِّرَ لاَ لْتَمعَ الأبصارَ فما كان من تلك القُصور من الياقوتِ الأبيَضِ فهو مَفْروشٌ بالحريرِ الأبيضِ ، وما كانَ منها مِنَ اليَاقُوْتِ الأحْمرِ فهو مفْروش بالعَبْقَرِيِّ الأحمر ، وما كان منها من الياقوتِ الأخضرِ فهو مَفروشٌ بالسُّندُسِ الأخْضَر ، وما كان منها من الياقوتِ الأصفر مَفروشٌ بالأرْجُوان

---

(١) رواه أبو نعيم فى صفة الجنة .

الأصفر مُمَوَّهٌ بالزُّمُرُّدِ الأخضر والذهب الأحمرِ والفضّةِ البَيْضاءِ . قواعِدُها وأركانُها من الياقوت وشُرفُها (أى أعاليها) قِبابُ اللؤلؤ . وبروجُها غُرَفُ المرجان (أى أماكنها ومأواها) . فلما انصرَفُوا إلى ما أعطاهم ربُّهم قُربّتْ لهم براذِينُ (خيلٌ مطهمةٌ) من الياقوتِ الأبيضِ منفوخٌ فيها الرُّوح يَجْنُبُهَا (يقودُها) الوِلْدان المخَلّدُون وبيدِ كل وَليدٍ منهم حَكَمَةُ برْذَوْنٍ ، ولُجُمُهاَ وأعِنَّتُهاَ من فضةٍ بيضاءَ مُتَطَوَّقَةٍ (أى مُحاطة) بالدُّر والياقوتِ وسُرُجُها سُرُرٌ مَوضونةٌ مفروشةٌ بالسُّنْدُس والإِسْتَبْرَق فانطلَقتْ بهم تلك البَراذِين تَزُفُّ بهم وتَنظُر رِياضَ الجنّة فلما انتَهوا إلى منازِلهم وجَدُوا فيها جميعَ ما تَطوَّل به (أى تفضل به) ربُّهم عليهم مما سألُوه وتَمنَّوا ، وإذا على بابِ كلِ قصرٍ من تلك القُصور أربعُ جِنانٍ . جَنّتَان ذَواتا أفنانٍ ، وجنَّتان مدُهامّتَان (أى خضروان)وفيها عينان نَضّاخَتان (فوّارتان) وفيهما من كل فاكهةٍ زَوجانِ (صِنفان) وحُورٌ مَقصورَاتٌ فى الخِيامِ فلما تَبوّءُوا منازلَهم واستَقرَّ بهم قَرارَهم قال لهم ربُّهم : هل وَجدْتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقّاً ؟ قالُو : نعمْ . رضِينا فَارْضَ عَنّا قال : برِضَايَ عنكم حلَلتُم دارِى ونَظَرْتم إلىٰ وَجهِى وصافَحتْكُم ملائكتِى فهنِيئاً هنِيئاً عَطاءً غير مَجذُوْذٍ ليس فيهِ تَنغيصٌ ولا تَصريدٌ فعند ذلك قالُوا : الحمد لله الذى أذهَب عنّا الحَزنَ وأحَلّنا دارَ المُقامَة من فَضله لا يَمسُّنا فيها نَصَب (أى تعب) ولا يَمسُّنا فيها لُغوبٌ (ملَل) إن ربَّنا لَغفورٌ شكُور »[1] .

ومن نعيم أهل الجنة انهم يتشرفون بالنظر إلى المولى جل شأنه قال رسول الله ﷺ : إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ يقولُ الله عزّ وجل : تُريدون شيئاً أزِيْدُكُم ؟ فيقولُون ألم تُبيِّضْ وجُوهَنا . ألَمْ تُدخِلْنا الجَنَّةَ ، وتُنَجنّاَ من النار ؟ قال : فيُكشَفُ الحِجابُ فما أُعطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربّهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ للذين أحسَنوا الحُسنىٰ وزيادةٌ »[2] .

وقد قال العلماء إن الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر إلى الحق سبحانه وتعالى .

فنسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة ويجعلنا من أهل الحسنى والزيادة .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم .

(٢) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

انتهى بحمد الله ما تيسر لنا من الجمع فى هذا الموضوع . ولم نلتزم فيه بالأحاديث الصحيحة بل إننا توسعنا فيه بالنقل اعتمادا على قبول الضعيف فى فضائل الأعمال . وقد نص على ذلك الإمام النووى فى التقريب ، والعراقى فى شرحه على الفيته وابن حجر العسقلانى فى شرح النخبة والشيخ زكريا الأنصارى فى شرح الفية العراقى والحافظ السيوطى فى التدريب وابن حجر المكى فى شرحه على الأربعين . وللعلامة اللكنوى رسالة تسمى الأجوبة الفاضلة له فيها بحث مستفيض فى ذلك ولسيدى الإمام الوالد السيد علوى المالكى رحمه الله رسالة خاصة فى أحكام الحديث الضعيف وعلى هذه القاعدة جرينا فى كتابنا هذا .

نفع الله تعالى به وجعله خالصا لوجهه الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد بن علوى المالكى الحسنى

خادم العلم بالحرمين الشريفين

مكة المكرمة

١٧ رمضان ١٤٠٤هـ



محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

SAHAR PRINTING PRESS  مطابع سحر
Tel. 6370073 - 6370081 - 6373653 تلفون : ٦٣٧٠٠٧٣ ـ ٦٣٧٠٠٨١ ـ ٦٣٧٣٦٥٣

النــاشر
دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع
محمد أحمد بكرى وأخوانه

المدينة المنورة ـــ باب الكومة ـــ ص.ب ١٩٣
تلفون ٨٢٥٣٣٨٠ ـــ تلكس ٤٧٠٠٢٦ هشام إس جى

طبع بترخيص من وزارة الاعلام رقم ٩٢٧/م/ج

بتاريخ ١٠/٧/١٤٠٤هـ